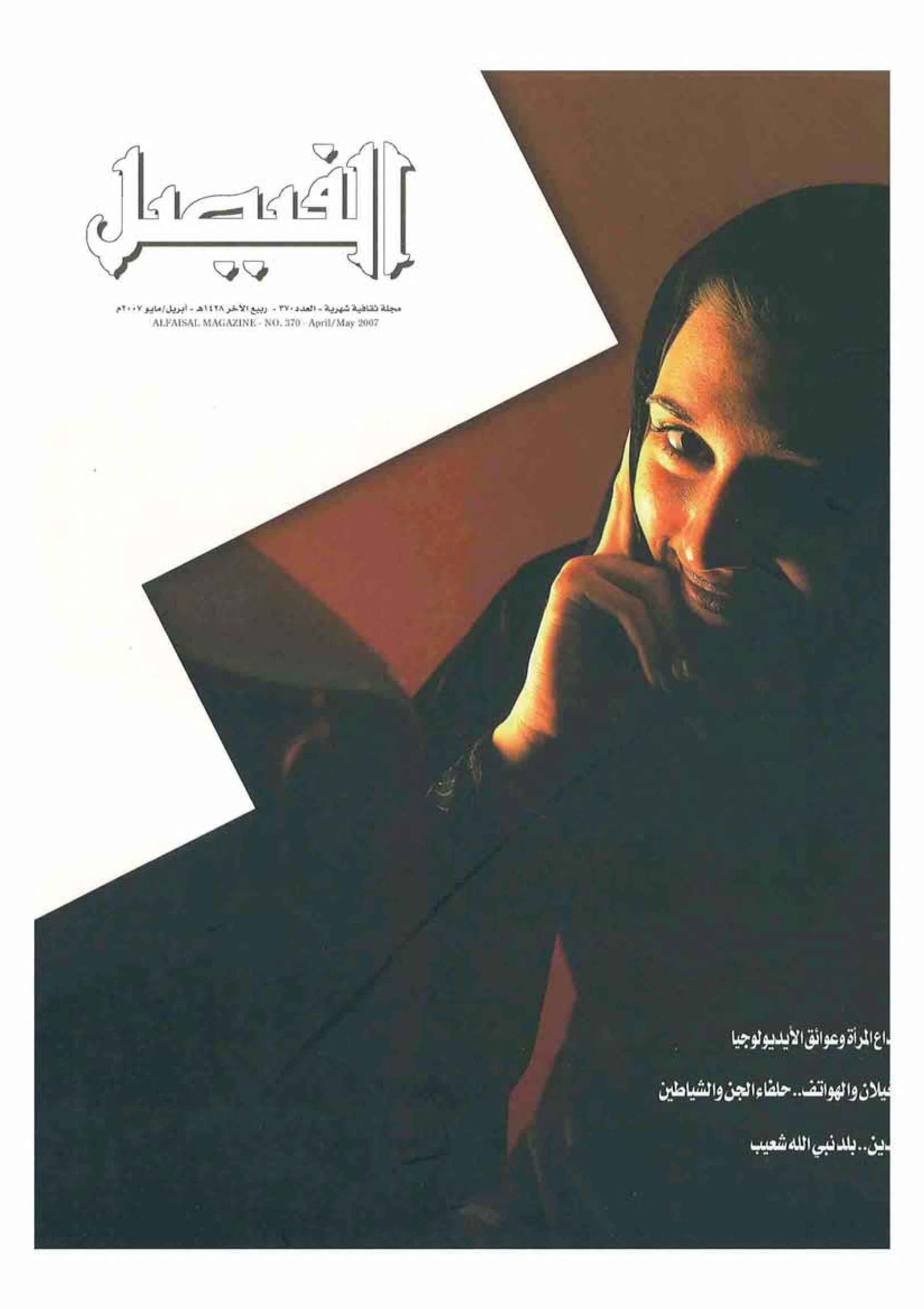
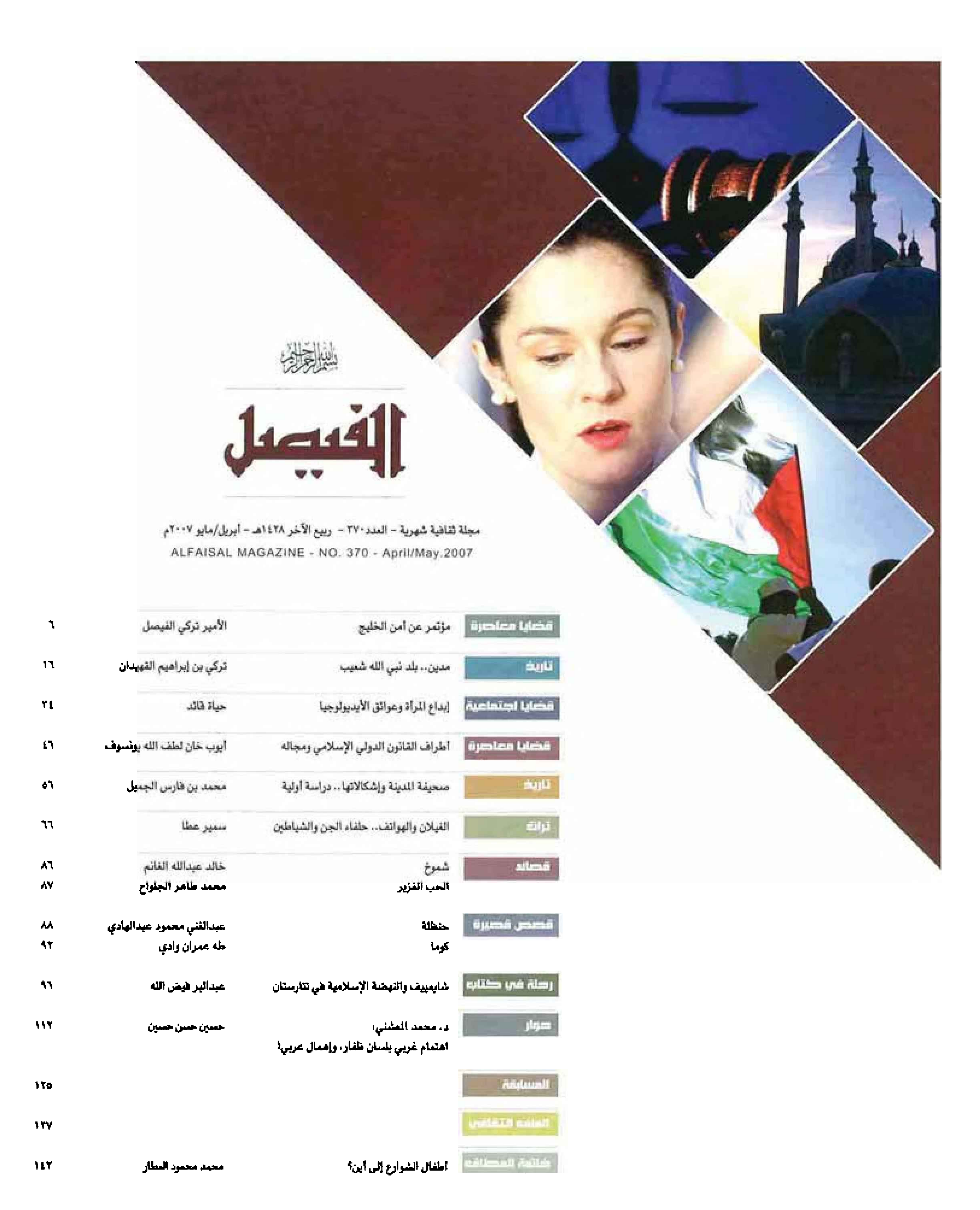


الفيصل
مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٧٠ - ربيع الآخر ١٤٢٨هـ - أبريل/مايو ٢٠٠٧م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 370 - April/May 2007
داع المرأة وعوائق الأيديولوجيا
عيلان والهواتف.. حلفاء الجن والشياطين
دين.. بلد نبي الله شعيب



بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٧٠ - ربيع الآخر ١٤٢٨هـ - أبريل/مايو ٢٠٠٧م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 370 - April/May.2007

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر، ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا نمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

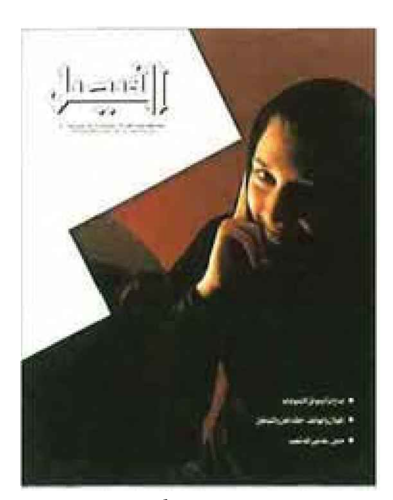
السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلس . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٨جنيهات . السودان ١٥٠ دينارًا . المغرب ١٠ دراهم . تونس ٢٥٠ ، ١دينار . الجزائر ٨٠ دينارًا . العراق ٨٠٠ فلس . سورية ٤٥ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد .

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢.... سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٧٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١، ٩٦٣، ٠٠ تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٦نهج المغرب . ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ . ٧١ . ٢١٦ ٠٠ . قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٩٧٤ ٠٠ . الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦، ٩٦٢ ٠٠ . البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣٦٢٨١ . ٩٧٣ ٠٠ . الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٣٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٩٧١ ٠٠ . الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٩٦٥ ٠٠ . المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٢٢ . ٢١٢ ٠٠ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ . الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ . ٢ . ٩٦٧ ٠٠ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







إبداع المرأة وعوائق الأيديولوجيا

ما صحة الفكرة القائلة: إن هنالك علاقة بين نوع الجنس ومستوى الإبداع؟ هل هويتنا الجنسية تحدد قدراتنا الإبداعية؟ وما الذي يفسر قلة إنتاج المرأة الإبداعي مقارنة بإنتاج الرجل؟ هل قدرات المرأة الذهنية لا تؤهلها لبلوغ مستويات عليا من النبوغ والإبداع؟ أم أن هناك أسبابًا أخرى لتأخر النساء إبداعيًا؟

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٣٧ . ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

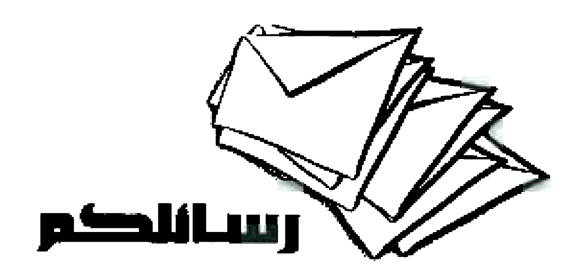
١٥٠ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٣

ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨



تبسيط العلوم

أتابع منذ مدة طويلة مجلتكم الموَقَّرة، وأُعجب بمقالاتها المتنوعة، واسمح لي أن اقترح عليكم إضافة باب جديد هو «الثقافة العلمية» التي تعد أحد أهم روافد الثقافة في القرن الحادي والعشرين. ولتضيف بعدًا جديدًا ومتفردًا لمجلتكم الغراء، مع رجاء العلم بأنني أرسلُ مع مقالاتي وقصصي الصور الملوّنة بالغة الدقة التي تتناغم مع مقالاتي وقصصي، وتشتمل منظومة «الثقافة العلمية» على:

- تبسيط العلوم.
- الخيال العلمي.
- المستقبلية.

- تبسيط العلوم

لا يكاد يبزغ فجر، أو تشرق شمس حتى يتوصل العلماء - في كل أنحاء العالم - إلى عدد من الاختراعات المبتكرة المتفردة، تدفع حياة الناس اليومية نحو دروب جديدة في عالم المستقبل، وتضع آفاقًا رائعة للزمن الآتي ومجتمع الغد.

إن نشر مقالات الثقافة العلمية - وهي إحدى روافد الثقافة في القرن الحادي والعشرين - شيء مثير وممتع للقارئ، فمع التطورات التقنية اليومية، يجب أن نعرف ما يجري حولنا؛ لكي نصل إلى الاختيارات الذكية الملائمة لحياتنا. ومقال الثقافة العلمية الذي ينبني على حقيقة علمية واحدة بسيطة، ثم يستمر في الاتساع أفقيًا ورأسيًا، سوف يقود القارئ أخيرًا إلى النقطة الرئيسة، وهي: أهمية الاكتشاف العلمي للإنسان، وأثره في مجتمع الغد، ويتعين - دائمًا - على كتاب المقالات العلمية أن يبسّطوا الأمور المعقدة من خلال تعبيرات سهلة، يفهمها قارئ المجلة الثقافية غير المتخصص.

ويحتاج ذلك إلى بعض التشبيهات، والاستعارات، والقياسات، والصور الكلامية. وفي أثناء الكتابة يجب البحث عن الكلمات والجمل الدقيقة، ووضع علامات الوقف الصحيحة، واستخدام كل وسيلة متاحة لمساعدة القارئ على تفهم مقال الثقافة العلمية، مثل عرض الصور المعبرة، والكتابة بشكل مبسط وشائق للوصول إلى الهدف، وعدم الاعتقاد أن المعلومات التي يعرفها الكاتب منذ زمن، يعرفها كل الناس.

- الخيال العلمي

يهدف الخيال العلمي الجاد إلى تقديم المعلومات العلمية بأسلوب مبسط وشائق في داخل نسيج درامي من الأحداث المتتابعة، توضح أثر التقدم التكنولوجي في الإنسان في مجتمع المستقبل. آخذًا في الحسبان المستقبل هو نتاج تصرفات البشر، فنحن الذين نصوغ الغد، أو نحاول ذلك على الأقل، والمأساة هي عندما نخفق. وأعظم الجرائم هي عندما نخفق حتى في أن نحاول!.

إن قارئ الخيال العلمي الجاد قارئ خاص، من واقع أنه يرغب في التعامل مع الحياة بأسلوب علمي مستقبلي، فهو لا يفضل أن يحملق في جوانيته

العاطفية بالطريقة التي تتطلبها الأشكال الأدبية الأخرى، بل أن يكون على أهبة الاستعداد؛ لتلقي ما يثيره التنوع اللامتناهي للكون والمستقبل في نفسه.

ويمكن أن يطلق على قصص الخيال العلمي الجاد «قصص المعرفة» إذ إنها تهتم بالمعرفة المعاصرة في كل المجالات، وامتدادها إلى المستقبل وأثرها في السلوك الإنساني، ويعد العلم في هذه القصص العامل المساعد على التطور الملائم للحبكة القصصية.

- المستقبلية

إنّ نظرتنا المعاصرة إلى دراسات المستقبل (المستقبلية) جديدة نسبيًا في سجل الخبرات الإنسانية، والاتجاه المتزايد لجعل الغد ،وضوعًا للملاحظة المنهجية والمعرفية العقلانية - وليس مجالاً للرجم بالغيب - ترجع جذوره إلى مجموعة مركبة من التطورات الاجتماعية والثقافية والعلمية، وأصبح النظر الدائم إلى مَوْطِن التقدم تفكيرًا عفا عليه الزمن، واستبدل التطلع إلى الأمام به، واستشراف آفاق المستقبل، ويستخدم خبراء المستقبل معرفتهم وخبرتهم في تنمية فهم الإمكانات المستقبلية، ويؤكدون أن الغد هو بؤرة اهتمام السلوكيات البشرية.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

رؤوف وصفي

القاهرة - مصر

التحرير:

نشكر لك اهتمامك، وما قدمته من اقتراحات بخصوص تبسيط العلوم، ونحن نرحب بإسهاماتك، سواء في مجلة الفيصل الثقافية، أو في مجلة الفيصل العلمية، وسوف نرسل إليك نسخًا من الأعداد الأخيرة، لعلها تعينك على تقديم ما يتناسب مع سياستها في النشر.

مجلات "الفيصل"

أنا من المتابعين لمجلة «الفيصل» والمساهمين بالكتابة فيها منذ أكثر من عشر سنوات، والآن وبعد ظهور «الفيصل الأدبية»، و«الفيصل العلمية»، فقد قلت فرص النشر بالمجلة الأم إلا للمقالات الكبيرة، ولا أستطيع الكتابة إلى المجلة العلمية بسبب عدم معرفتي طبيعة المقالات التي تحبذها المجلة، وذلك لعدم وصول المجلة إلى السودان..

أرجو منكم أولاً: إرسال بعض الأعداد من المجلة هدية، وكذلك النظر في موضوع إشراك السودان في قائمة الدول التي تبعث المجلة إليها..

عبدالسلام كامل عبدالسلام

أمدرمان - السودان

التحرير:

نشكر لك اهتمامك ومتابعتك الدائمة للمجلة، وسوف نرسل إليك أعدادًا من «الفيصل العلمية» و«الفيصل الأدبية» لتشارك فيها بالكتابة إلى جانب «الفيصل» الأم، ونطمئنك بأن حل مشكلة وصول المجلة إلى السودان سيكون في القريب إن شاء الله.





الأمير تركي الفيصل

في مؤتمر عن أمن الخليج:

تحول الخلاف المذهبي إلى فعل سياسي

خطر داهم

أقام مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية مؤتمره السنوي الثاني عشر بعنوان "النظام الأمني في منطقة الخليج العربية: التحديات الداخلية والخارجية" في المدة من (١٥- ١٧ صفر ١٤٢٨هـ/ ٥ - ٧ مارس ٢٠٠٧م)، بقاعدة زايد بن سلطان آل نهيان في مقر المركز بمدينة أبوظبي. وناقش المؤتمر القضايا المؤثرة في أمن الخليج من المنظورات العسكرية والإستراتيجية، والاقتصادية والاجتماعية.

وقد ألقى صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل - رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وسفير خادم الحرمين الشريفين السابق في كل من المملكة المتحدة، وأيرلندا، والولايات المتحدة الأمريكية - محاضرة في هذا المؤتمر بعنوان «التهديدات والمخاطر التي تواجه دول مجلس التعاون» تناول فيها محاولات إشعال نار الطائفية في المنطقة، داعيًا إلى ألا يؤدي الخلاف المذهبي إلى أي نوع من العداء والكراهية، وأن يكون التعاون من أجل البناء والشراكة طابعًا للعلاقات بين دول المنطقة.

ودعا سموه إلى هلال خصيب يمتد من العراق حتى لبنان عوضًا عن الحلم بهلال شيعي، أو التخوف من هذا الهلال ..

وهذا هو نص المحاضرة كاملاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن تلاهم بإحسان إلى يوم الدين.



أشكر سمو الأخ الشيخ محمد بن زايد آل نهيان على دعوته الكريمة للحضور. كما أشكر الدكتور جمال السويدي لما يقوم به من خلال هذا المركز لإثراء التفاهم، وإذكاء حب المعرفة في من يهمه أمر ذلك.

أيها الأخوات والإخوة:

لقد واجهني عنوان هذه المحاضرة «التهديدات والمخاطر التي تواجه دول مجلس التعاون» يوميًا حين عملت سفيرًا لخادم الحرمين الشريفين في كل من المملكة المتحدة وإيرلندا والولايات المتحدة، وما يلي هو تبيان لما خالجني من أفكار ومعلومات طوال السنوات الأربع الماضية في محاولة للتصدي لهذا الموضوع الشائك والحيوي لنا أبناء الخليج العربي.

يواجه مجلس التعاون لدول الخليج العربية أزمة تعكر صفو الاستقرار فيه، وتهدد أمنه الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، وحالة الأزمة أصبحت ظاهرة تخطّى الحديث عنها النطاق الإقليمي، فغدت محور كتابات كثيرة تحللها، وتبحث عن دوافعها، وتقترح لها الحلول، يغذي بعضها روح الكراهية والعداء مستفيدة في ذلك من

خلافات مذهبية وسياسية تطرأ بين طرفي الخليج: دوله السُّنيّة على شواطئه العربية، وإيران الشيعية على الشاطئ الآخر. وهذه الكتابات والتحليلات الصادرة عن محللين سياسيين يعيشون بعيدًا عن المنطقة جعلت من إيران محورًا لمدّ شيعي يسعى حثيثًا إلى مدّ نفوذه في منطقة الهلال الخصيب (العراق - سورية - لبنان) وهذا يعني تقويض حركة التعايش السلمي بين أطياف المجتمع العربي بمختلف مذاهبه وعقائده، التي ظلت قائمة على مدى قرون طويلة، ومن ثم كما يزعم هؤلاء المحللون بروز إيران قوة مهيمنة في المنطقة، وقد ساعد على قبول مثل هذه التحليلات غير الإيجابية بروز قوى حديثة التكوين في المنطقة تدور في فلك إيران، اشتطت في تحديها لكل ما يخالف توجهاتها، فلجأت إلى العنف لتصفية حساباتها مع إخوانهم السنة، فسمتهم تارة بالوهابية، وتاره أخرى بالتكفيريين رأت فيها أنها ساندت اضطهادها في فترة صدام حسين في العراق، ولقد كان صدام عادلاً في اضطهاده لكل العراقيين بكل أطيافهم وطوائفهم، وفي المقابل فإن هناك عناصر انطلقت من عالمنا السني بدعوة بغيضة لقتل من تسميهم بالرافضة والتنكيل بهم، واجتمعت الفئتان في العراق الذي أصبح ملقى ومسرحًا لشتى أنواع الكره والبغض والمنكر.

وهنا يبرز السؤال عن حقيقة ما يوصف بالخطر الإيراني، وربطه بأحداث العراق ولبنان، وانعكاسات ذلك على أمن دول مجلس التعاون واستقرارها.

لقد رأينا قبيل يومين اللقاء بين خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز والرئيس أحمدي نجاد، وقد اتفقا على إخماد نار الطائفية المشتعلة في العراق، وإطفاء شعلتها في لبنان، ولذلك فإنني أفضّل النظر إلى إيران دولة جارة وصديقة تربطنا بها روابط تاريخية، ومصالح اقتصادية، وتقارب في نمط الحياة الاجتماعية، وإذا كان هناك خلاف مذهبي بين إيران ودول المجلس فيجب ألا يؤدي هذا الخلاف المذهبي إلى أي نوع من العداء والكراهية؛ لأنه خلاف قديم يصعب علاجه بين يوم وليلة، وتجاوزه يكون بتحكيم العقل، والرجوع إلى جوهر الدين الإسلامي الحنيف، وتحكيم كتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتوعية عامة الناس بأن التعايش مطلوب من أجل توفير الأمن للمنطقة، وأن لا فائدة من تسخير جزئيات من السلبيات المذهبية في زمن يحتاج فيه الناس إلى التقارب والألفة لتحقيق الرفاهية والاستقرار لشعوب المنطقة برمتها. إن إيران ودول مجلس التعاون نسيج باهر من السنة والشيعة يشبه في دقة حياكته أبرع ما ينسج من زرابي في تبريز أو نائين أو شيراز.

إننا يجب أن ندرك أن جزءًا كبيرًا من الخلاف المذهبي تحول إلى فعل سياسي صرف، وإذا ما تم الركون إليه تحول إلى خطر عظيم؛ لأنه سوف يصبح باعثًا على الخوف من الآخر، والتوجس منه، والارتياب من أفعاله، ومن هنا فلا معنى لوجود نفوذ إيراني في العراق أو لبنان، وفي المقابل فلا معنى لوجود نفوذ سعودي فيهما، يتصدى له الآخر في لبنان أو العراق، وما يفترض أن يكون هو تعاون من أجل البناء، وشراكة بين دول متجاورة

في العراق قوى سياسية لم تتعلم بعد فن التعايش وتقاسم السلطة، واللجوء إلى العقل في إعطاء كل ذي حق حقه، بدلاً من السعي إلى استئصال الآخر ونفيه وتشريده. إن هذه القوى بحاجة إلى أن يقدم لها العون كي تنهج النهج القويم



اتفاق خادم الحرمين الشريفين والرئيس الإيراني أحمدي نجاد على إخماد نار الطائفية في العراق

تعمل معًا من أجل إخراج المنطقة من الأزمات الخانقة، التي تواجهها اليوم. فلماذا لا نأتي البيوت من أبوابها، ونتطلع إلى استثمار سعودي في مشهد أو شيراز مقابله استثمار إيراني في مدينة الملك عبدالله الاقتصادية أو

خطر حقيقي دهمنا، ولا يزال بفعل، ولن يتوقف إلا بموقف حاسم ضده، يرفضه، ولا يسوغه ولا يوظفه بأي شكل من الأشكال، وهو خطر التطرف والغلو في الدين، عنيفًا كان يستخدم السلاح، أم لفظيًا كان يستخدم اللسان والبيان، فيشيع الكراهية والبغضاء

في الجبيل، وبذلك نُذهب عنا رجس التوجس والشك.

إن دول الخليج كلها، وليس دول مجلس التعاون وحدها تواجه تحديات ومصاعب جمة تحتاج إلى حلول عقلانية أهم من تأجيج الصراعات، من مثل الصراع بين السنة والشيعة في العراق، أو البحث عن هلال شيعي، أو مدّ سني هنا أو هناك؛ ففي إيران بطالة وصعوبات اقتصادية واجتماعية متزايدة، وزيادة في عدد السكان مطّردة.. ومثلها عندنا في دول مجلس التعاون، وإن اختلفت الأرقام؛ مما يستدعي الاجتهاد والعمل استنادًا إلى المعارف التي أكسبنا إياها الخالق وتعاون مشترك، وحالة استقرار تساعد على تطبيق خطط التنمية.

وأما الذين يبحثون عن حلول غيبية غير واقعية بواسطة مهدي منتظر أو إمارة إسلامية مزعومة تستمد

من الموروث التاريخي فإنما يعترفون بعجزهم عن معالجة تحديات اليوم، بوسائل دنيوية بشرية، وفق السنن الإلهية، التي وضعها الله عز وجل واشترطها لإعمار الأرض، وجعل من مستلزماتها العمل، ثم العمل، ثم العمل، مع الإخلاص، وبذل الجهد والشورى، ثم يكون توفيق الله بعد ذلك ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

إن الاستجابة لتطلعات شعوب المنطقة - وجلهم من الشباب - يجب ألا تكون بتخديرهم، وجعلهم ينتظرون (مائدة من السماء) ولا بنشر أفكار متطرفة بينهم، تشل قدراتهم الإنتاجية، وتُورث التواكل، وتُشيع التعصب والاختلاف.

ومن هنا فإن التحدي الأول الذي يواجهنا، على جانبي الخليج، هو أن نعمل بإخلاص على العودة إلى الله وكتابه وسنة نبيه، والاقتداء به عليه الصلاة والسلام في تأسيس فكر سياسي بنّاء يخص أمور الدنيا، من دون إغراق في الغيبيات، ومن ثم نشرع في فتح آفاق للتعاون والبناء المشترك، والتبادل الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لمواجهة التحديات الحقيقية.

إن دول مجلس التعاون العربي تسعى إلى استتباب الأمن لجميع دول المنطقة روحيًا واقتصاديًا، ولذلك فلقد أكدت المملكة العربية السعودية وشريكاتها في مجلس التعاون ضرورة خلو منطقة الشرق الأوسط من جميع أنواع أسلحة الدمار الشامل، وحق جميع دول المنطقة المشروع في الاستخدام السلمي لجميع أنواع الطاقة، بما فيها الطاقة النووية، ولقد حثّت دول المجلس إيران لمرافقتها في هذا المجال. ولا يحق للمجتمع الدولي أن يكيل بمكيالين فيحرمنا وإيران، بل يندد بنا جميعًا عندما نسعى إلى اقتناء أسباب المعرفة النووية من جهة، ويغض الطرف، بل ويدير ظهره لما قامت، وتقوم به إسرائيل التي أصبحت تملك القنبلة النووية.

ما ذكرته - سابقًا - يدخل في إطار التمني والأمل، وإن كنت أقر بأن الحكمة لا تزال غالبة في جانبي الخليج، ومن ضمن ما أتمناه هو أن نغير نظرتنا تجاه ما يمكن أن نطلق عليه (عقدة العيب)، التي تظهر عند ربط الاهتمام بالمصالح المادية. إن العلاقة القائمة على مصالح مادية بين الدول مفيدة وإيجابية، فلا نقيسها بالعلاقات الإنسانية الخالصة بين رجل وشقيقه، أو صديق وصديقه، وأعطي مثالاً على ذلك بعلاقة المملكة بدول الخليج، وهي علاقات ممتازة وأخوية، ولكن البحرين، ودبي هما أقرب من غيرهما بحكم الاستثمارات السعودية الهائلة فيهما، وحجم التبادل التجاري المتزايد بينهما والمملكة. وفي هذا السياق تسعى المملكة، وتضع في قائمة أولوياتها التنموية التكامل الاقتصادي بينها وبين جميع دول الخليج العربي.

ولنا في لبنان أنموذج آخر، فهذه العلاقة والمصالح مع لبنان جعلت المملكة تنشغل بتطورات الوضع هنالك منذ استقلال لبنان حتى التنازع الأخير بين الحكومة والمعارضة، الذي خرج عن الإطار المقبول، واقترب من حالة الفتنة السياسية والأدهى منها، الطائفية، ولما كان

دول مجلس التعاون الخليجي تسعى إلى استتباب الأمن لجميع دول المنطقة





نعم للتعايش الحضاري لا للصراع في لبنان

طرف النزاع الرئيس مرتبطًا فكريًا وعضويًا بإيران، وأقصد هنا حزب الله، كانت المملكة ودول الخليج ولا تزال مرتبطة بكل لبنان، فلا يمكن القول: إن حلفاءنا هناك سُنّة من دون غيرهم؛ لأن موقع المملكة الريادي في العالم الإسلامي يحتم عليها أن تكون لكل الفرقاء، من دون تفريق بين طائفة وأخرى، مسلمة أو غير مسلمة، ودفعًا للتنافس والشقاق فقد وجدتِ المملكة أنه من الضروري فتح حوار مع إيران بدلاً من الصراع معها في لبنان؛ لأن الصراع سيضر أولاً باللبنانيين كلهم، ثم بالعلاقة بين الجارين الكبيرين على ضفتي الخليج، وأخيرًا وهو الأمر الأهم سوف يضر أي صراع بالعلاقة المتوترة أصلاً بين السنة والشيعة، وهي علاقة لم نبذل بعد الجهد الكافي لمعالجتها بطرائق تؤدي إلى تأصيل أسس للتعايش الحضاري في إطار روح التسامح الهائلة التي يفيض بها ديننا الحنيف، فإن لم نستطع فعل ذلك فعلى الأقل نمنع الاحتراب بين أتباع المذهبين.

ومما لا شك فيه ان أي صراع ينشا بين السعودية وإيران في لبنان سوف يمتد إلى خارجها، ولن يجد له من مشجعين سوى المتطرفين في الجانبين، الذين لا يعيشون، ولا يزدهر منطقهم السقيم والأعوج المخالف



ضرورة تعاون سعودي خليجي إيراني لرأب الصدع في العراق

للإسلام الصحيح إلا في زمن الفتن والنزاعات، فإذا غابت الفتن أثاروها، وإذا اصطلح الناس فتنوا بينهم، وأججوا الخلاف والشقاق، أما المشجع الآخر فاجنبي غريب، يعيش على خلافاتنا، ويسوغ وجوده بيننا بنزاعاتنا؛ ولذلك فنحن نتشاور مع كل اللبنانيين، ونسدي النصح لهم؛ ونستمع إلى ما يخالجهم من اهتمامات وهموم، وتقارب، وتوازن، ولكننا حريصون كل الحرص على ألا نخدش سيادة لبنان، أو أن نقدم مصلحتنا على مصالح الشعب اللبناني.

إن الأزمة اللبنانية مستمرة، وهذا أمر لا يمكن



إخفاؤه، ولكن يمكن القول: إن حدتها خفّتْ بعض الشيء بفضل التواصل السعودي الإيراني، الذي أدّى بالتعاون مع القوى اللبنانية المختلفة إلى تجاوز لحظات حرجة كادت أن تفجر كل شيء، ولا تزال المساعي مستمرة، وعسى أن تكلل بنجاح قريبًا.

إن المبدأ الذي تستمين به المملكة في التفاوض ليس التهديد، أو القوة العسكرية، أو الضغوط السياسية، وإنما هو مبدأ يستند على حقيقة قوامها أن شعوب المنطقة تريد العيش الكريم، والأمن، والاستقرار، مع الحرية والكرامة؛ كي يسعى كل مواطن في طلب ما قسمه الله له من رزق، يوفر له بيتًا يؤويه، وتعليمًا لأبنائه، وصحة تغنيه. إنه منطق سليم، عندما نتفق عليه مع الطرف الآخر نستطيع أن نحل كل مشكلاتنا، ولا يبقى حينها اختلاف حول تشكيل محكمة دولية تقضي بالحق في قضية اغتيال الرئيس الراحل رفيق الحريري، رحمه الله، وهذه المحكمة إن أدّتْ دورها فلن تكون بدافع سياسي، بل بدافع أمني يحتاج إليه كل مواطن في لبنان. كما أنه لا معنى للاختلاف على حقوق الشيعة في لبنان؛ إذ إن من البديهي أن لهم التمتع بكل الحقوق، التي يفترض أن يتمتع بها أفراد المجتمع اللبناني كافة للمشاركة في بنائه، والاستفادة من خيراته. لا يبغون، ولا يهمشون، طرف في الحكومة، فلا يُقصون عن قرار، ولا يفرضون على الشعب قرارًا.

وإذا انتقلنا إلى مشكلة العراق فسوف نجد أن هناك حاجة ملحة وضرورية إلى تعاون سعودي خليجي عربي إيراني يسعى حثيثًا إلى رأب الصدع هناك من دون انتظار حل الأزمة في لبنان، وإن كان حلها هناك سوف يساعد على توفير أرضية تشكل قاعدة يمكن البناء عليها، ولكنه كما قلت قبل قليل إن وضع العراق لا يمكن تأجيله إلى حين حل أزمة لبنان؛ فالعراق ينزف الآن وكل يوم ويفزارة، وثمة حاجة إلى التعاون فيه للم الشمل.

أيها الأخوات والإخوة:

إنه لمن المؤسف أن في العراق قوى سياسية لم تتعلم بعد فن التعايش وتقاسم السلطة، واللجوء إلى العقل في إعطاء كل ذي حق حقه، بدلاً من السعي إلى استئصال الآخر ونفيه وتشريده. إن هذه القوى بحاجة إلى أن يقدم



جانب من جمهور المحاضرة

لها العون كي تنهج النهج القويم الساعي إلى تحقيق العدالة والمساواة والحرية لأفراد المجتمع العراقي، وعلينا ألا نسمح لها باستغلالنا من أجل تصفية حساباتها، والتمدد القسري بعضها على بعض مستخدمة سلاح التشدد والمذهبية، لتغطية أطماعها السياسية والدنيوية المادية، وتحقيق شهوة الزعامة والتسلط. ونطالبها بالكف عن المزايدات، إن كانت عرقية أو مذهبية، وبالإخلاص في النية، والصفاء في القلوب. وعلينا نحن أن نترفع بأنفسنا عن استخدامهم، واستغلال حاجاتهم، واستثمار خلافاتهم، من أجل تصفية حساب مع عدو بعيد، أو كورقة ضغط على طامع قريب.

أيها الأخوات والإخوة:

أريد أن اختتم بالتحذير من خطر حقيقي دهمنا، ولا يزال يفعل، ولن يتوقف إلا بموقف حاسم ضده يرفضه، ولا يسوغه، ولا يوظفه بأي شكل من الأشكال، وهو خطر التطرف والغلو في الدين، عنيفًا كان يستخدم السلاح، أم لفظيًا كان يستخدم اللسان والبيان، فيشيع الكراهية والبغضاء، ويفرد الأرضية المناسبة لشركائه، حاملي السلاح، وناشري القتل والتدمير والتفجير في مجتمعاتنا، وهو موقف يجب أن يشترك فيه مع الحكومات علماء الدين وأهل الرأي، فمثلما اكتوينا نحن السنة بنار (القاعدة) وفتنتها، هاهم أولاء الشيعة يكتوون

بنار فئة طائفة جديدة بينهم تدعى (جند السماء) رأينا شرها، وفعلها المنكر، من النجف في العراق إلى زاهدان في إيران. فالتطرف والغلو مهلكة، وأي مهلكة، سنيًا كان أم شيعيًا، يهوديًا كان ام مسيحيًا. وعندما يحضر هؤلاء بين أي فرقاء، فلا يمكن لأي مفاوضات أن تنجح، أو لاتفاقيات أن تحترم، أو لثقة أن تؤسس، وليكن العراق الساحة الأولى التي نؤسس فيها لموقف حازم ضد التطرف بكل أشكاله سنيًا كان أم شيعيًا، فهؤلاء هم الذين فرقوا بين العراقيين، ودفعوهم إلى حالة من الاستقطاب، انتهت إلى ما نشهد اليوم من إرهاصات لتطهير عرقي قبيح، قد يلغي العراق كما نعرفه وطنًا واحدًا، وحالة إخاء وعيش مشترك، عمره ليس مئة عام، كما يزعم بعضهم، إنما عراق عربي مسلم عمره أكثر من الف واربعمئة عام.

وأدعو إلى موقف مماثل ومكمل لما سبق، لحرمان هؤلاء الغلاة والخوارج من سلاحهم المفضل والأقوى، وهو سلاح الموت، وتفضيله على الحياة، ونشر ثقافته وفقهه الباطل، العمليات الانتحارية، واستباحة دماء العامة، ومن يسمونهم المخالفين، وكلنا مخالفون لهم. لقد توقفنا عند ضحايانا الذين يسقطون كل يوم في العراق، رجالاً ونساءً وشيوخًا وأطفالاً، من دون خوف أو توجس من الوقوع في كبيرة القتل، ولو مضى الأمر كما يتمنون لكانت كل أوطاننا عراقًا، وأذكّر هنا بموقف شجاع اتخذه علماء المملكة، حاسم لا يقبل التأويل في تحريم العمليات الانتحارية كلها، ضد مسلم أو غير مسلم، ضد عدو محتل أو جندي يحمي الوطن، إن تساهل بعض العلماء في تحليل هذه العمليات الانتحارية التي لا تخلو من شبهة قتل النفس، التي حرمها الإسلام وفقهاؤه عبر العصور، ولم تفتح ثغرتها إلا في زماننا هذا، يدل على شبهة كبيرة تحيط بها، ولا يستطيع احد أن يزايد على علماء المملكة في التزامهم الفتوى بمنهج السلف، وهم صريحو التبعية له. فمن الممكن أن يُتخذ هذا الموقف والبناء عليه ليكون موقفًا إسلاميًا شاملاً وموحدًا ضد فقه الموت، الذي غرر بكثير من أبناء الأمة، وكلفنا وكلف الإسلام وصورته النقية المتسامحة كثيرًا.

فدعوني أقولها بملء فمي: فعوضًا عن الحلم بهلال شيعي، أو التخوف من هلال شيعي، فيمكن أن نعمل معًا لبناء هلال خصيب يمتد من العراق حتى لبنان، تكون لسورية صدارة فيه، وللأردن حصة فيه، ولفلسطين زاوية فيه، وينشغل بالبناء والرخاء والسعادة، وتستفيد منه دول الخليج كافة، وليكن هلالاً نتفق عليه، لا هلالاً نختلف عليه. ولكن ومع هذا كله، فلا يزال هناك جرح يدمي بين ضفتي الخليج الا وهو جرح الاحتلال الإيراني للجزر الإماراتية. فكيف لنا أن نتفق مع إيران في العراق ولبنان، وهي لا تزال تحتل أرضًا من اراضينا؟ أتمنى على إيران أن تواجه نفسها، وتقر بأن هذا الاحتلال لا يمكن أن يدوم، وأطلب من الشعب الإيراني قبل حكومته وقياداته بأن ينصفنا، ولا يجور علينا، وما أقسى جور الصديق والجار!

وشكرًا لكم جميعًا، وادعو الله جل وعلا أن يكون غدنا افضل من يومنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لا يحق للمجتمع الدولي أن يكيل بمكيالين فيحرمنا وإيران، بل يندد بنا جميعًا عندما نسعى إلى اقتناء أسباب المعرفة النووية من جهة، ويغض الطرف، بل ويدير ظهره لما قامت، وتقوم به إسرائيل التي أصبحت تملك القنبلة النووية





مدين.. بلد نبي الله شعيب

تركي بن إبراهيم القهيدان

القصيم - السعودية.

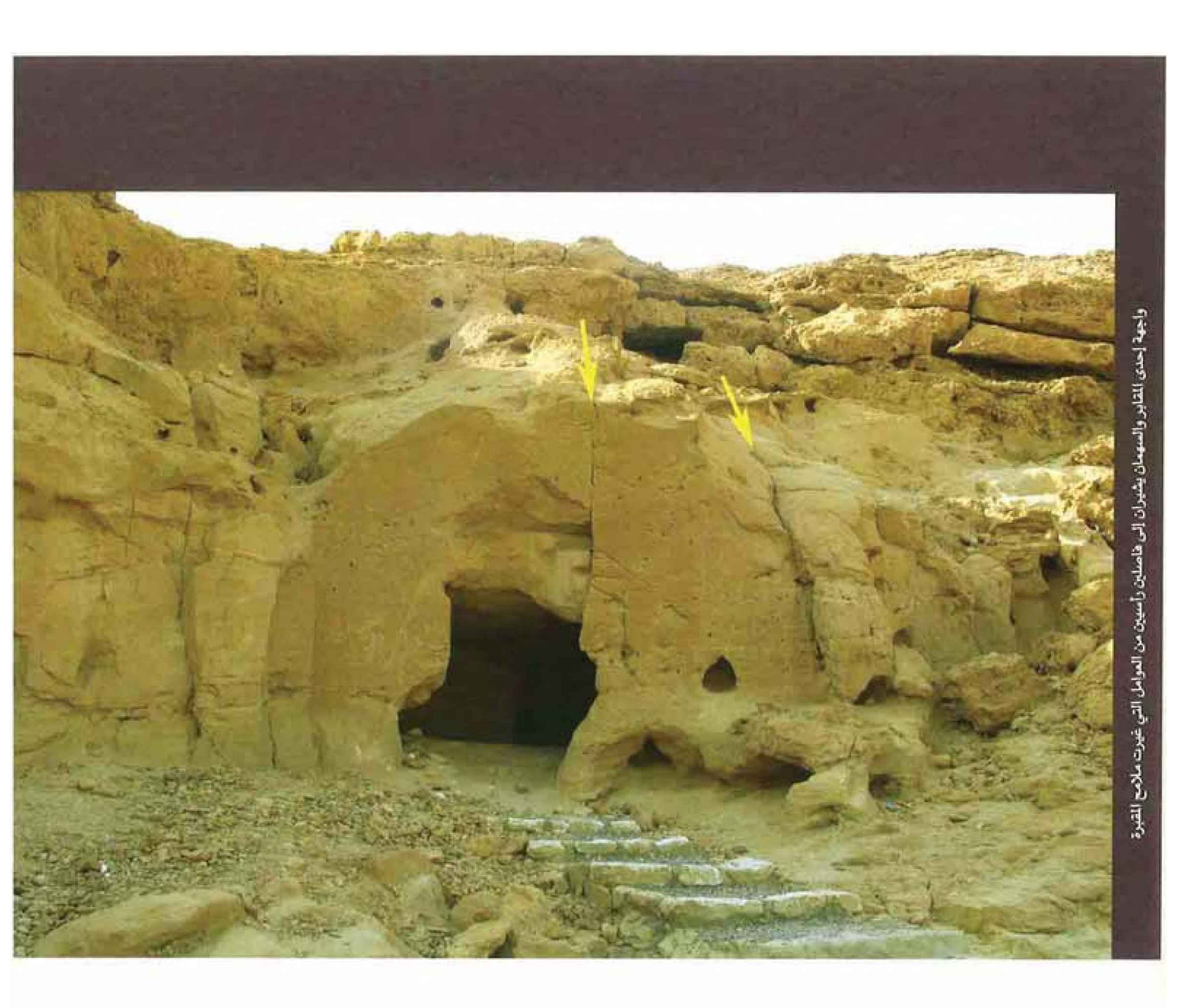
مَدْيَن هي بلد نبي الله شُعَيْب عليه السلام. قال الله تعالى: (وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) القصص: ٤٥. وشُعَيْب من أنبياء العرب يسكن بلاد العرب، وقد أكد ذلك ابن منظور في كتابه المشهور (لسان العرب) حين قال: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "خمسة أنبياء من العرب وهم: محمد، وإسماعيل، وشعيب، وصالح، وهود، صلوات الله عليهم"

هذا يدل على أن لسان العرب قديم، وهؤلاء الأنبياء كلهم كانوا يسكنون بلاد العرب، فكان شعيب وقومه بأرض مدين، وكان صالح وقومه بأرض ثمود ينزلون بناحية الحجر، وكان هود وقومه عاد ينزلون الأحقاف من رمال اليمن (١).

المدلول الاصطلاحي لمَدْيَن

مَدْيَن اسم القبيلة، وقيل: مدينة قوم شعيب، سُمِّيَتْ بمَدْيَن بن إبراهيم عليه السلام، يقول المؤرخ الإغريقي إيو سيبوس: إن مدين بن إبراهيم كان أول من سكنها فسميت باسمه حسبما ذكر موسل(٢). ومن المحتمل أن يكون اسم مَدْيَن يطلق على القبيلة والأرض. فقد ورد اسم مَدْيَن على القوم. قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ الأعراف: ٨٥. كما جاء علماً على الأرض. قال تعالى: ﴿أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ القصص: ٤٥.

وفي صحيح البخاري: قول الله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ إلى أهل مدين: لأن مدين بلد، ومثله ﴿واسأل القرية﴾ واسأل العير يعني أهل القرية(٣).



واجهة إحدى المقابر والسهمان يشيران إلى فاصلين رأسيين من العوامل التي غيرت ملامح المقبرة

وقال ابن منظور: «مدين اسم أعجمي وإن اشتققته من العربية فالياء زائدة وقد يكون مفعلاً، وهو أظهر، ومدين اسم قرية شعيب على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، والنسب إليها مَدْيَنِيٌّ (٤)».

وذكر الطبري في تاريخه: «ولد لإبراهيم إسماعيل وهو أكبر ولده وأمه هاجر، وهي قبطية، وإسحاق وكان ضرير البصر وأمه سارة.. ومدن، ومدين، ويقسان، وزمران، وأسبق، وسوح، وأمهم قنطورا بنت مقطور من العرب العاربة. فأما يقسان فلحق بنوه بمكة، وأقام مدن ومدين بأرض مدين فسميت به (٥)». وقال صاحب كتاب (الطبقات الكبرى): «أقام مدين بأرض مدين فسميت به (٦)». كما ذكر أبو الحسن الشيباني: «أهل مدين قوم شعيب من ولد مدين (٧)».

الحدود

حدود أرض مَدْيَن متغيرة، ومتبدلة تبعاً لقوتها. لذا لا نجد تحديداً قاطعاً لامتدادها. فبعضهم يضمها إلى الشام. أما ابن خُرّداذْبَةْ فيضم مَدْيَن إلى المدينة المنورة،



منظر عام للتل الغربي الذي يضم مقابر منحوتة في الصخور على عدة مستويات

كثيره من المؤرخين المسلمين؛ لأن مَدْيَن في عصره كانت كَذَلِكَ. ومع ذلك يمكننا القول إن أرض مَدْيَن تقع بين العُلا والشام، على امتداد بحر القلزم (٨). تحديداً تمتد ما بين المويلح جنوباً، إلى العقبة شمالاً. كما تمتد شرقاً حتى تبوك. والدراسات الحديثة تميل إلى الاستنتاج بأن حدود مدين امتدت لتشمل مدينة تيماء في زمن من تاريخها. كما يؤكد الباحث جرومان A. Grohman أنها كانت إحدى مدن مدين (٩). قال الطبري في تاريخه: «فلما كثر مال إبراهيم ومواشيه احتاج إلى السعة في المسكن والمرعى، وكان مسكنه ما بين قرية مدين - فيما قيل - والحجاز إلى أرض الشام (١٠)». والسؤال هنا أين موقع قرية مَدْيَن؟

يدل لجوء موسى إلى مَدْيَن على أنها لم تكن تحت سيطرة فرعون مصر. ومما يؤكد ذلك ما ذكره صاحب كتاب (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) حين قال:

قيل في مدين: اسم بلد وقطر، وقيل: اسم قبيلة. وقيل: هم من ولد مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام. فمن رأى أن مدين اسم رجل لم يصرفه؛ لأنه معرفة أعجمي. ومن رآه اسمًا للقبيلة، أو الأرض فهو أحرى بألا يصرفه



جانب من غرفة الدفن في مقبرة والسهم العلوي يشير إلى بقايا مادة الجبس والسهم جهة اليسار يشير إلى نفايات وبقايا أطعمة

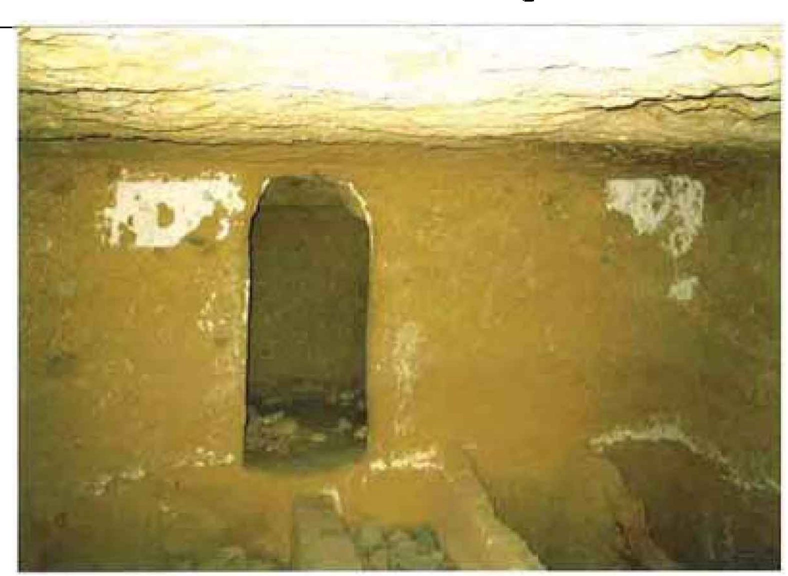
«وجاءت سيارة (قافلة من المسافرين) من قبل مدين يريدون مصر، فتحيروا في الطريق فأخطؤوا الطريق فجعلوا يهيمون في الأرض حتى وقعوا في الأراضي التي فيها الجب، وهي أرض دوثن بين مدين ومصر، فنزلوا عليه فارسلوا واردهم فارسل كل قوم طالب الماء وهو ساقيهم فوافق جب يوسف مالك بن دعر رجل من العرب من أهل مدين(١١)».

كما يذكر الواقدي في كتابه (فتوح الشام) أن أرض مَدْيَن في العصر الإسلامي المبكر ليست من بلاد الشام ومصر حين قال: «فقالوا: إنا قوم من المتنصرة العرب وكنا كنا أصحاب الشام، فلما هزمتم الملك هرقل رحلنا من أرض الشام ونزلنا أرض مدين، ونحن على خوف منكم، وكاتبنا صاحب مصر، وهو المقوقس، لعله أن يأذن لنا أن نكون من أصحابه، ونكون له عونًا عليكم، فلما أجابنا إلى ذلك بعثنا الخيل العربية إلى ولي عهده وصاحب الأمر من بعده، فلما كان في هذه الأيام جاءتنا خلعة ورسالة بالدخول إلى مصر، فرحلنا إليهم فوقعتم بنا». فلما سمع خالد منهم ذلك قال: «من حفر لمسلم قليبا أوقعه الله فيه قريبًا»، ثم عرض عليهم الإسلام، فأبوا، فأمر بقتلهم، فقتلناهم عن آخرهم، وقسمنا رحالهم وما كان معهم، ووجدنا معهم الخلع التي وجهها إليهم ابن المقوقس، ففرقها خالد على المسلمين، وفيها خلعة سنية، وكانت لمقدم القوم، فأعطاها رفاعة، وساروا حتى قربوا من الجبل المقطم فرأوا جيش القبط، فأرسل خالد رجلاً من قبله وهو نصر بن ثابت، وقال له: امض إلى هذا الملك، وقل له: إن العرب أصحاب مدين قد أتوا لنصرتك(١٢)».

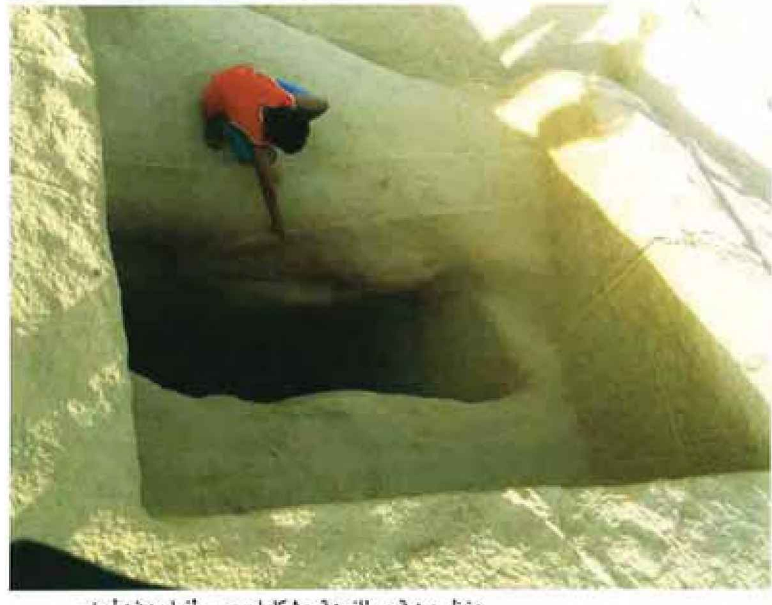
كما بيَّن لنا المقريزي ان مَدْيَنَ بين الحجاز وفلسطين ومصر بقوله: «كان بأرض مدين عدة مدائن كثيرة، قد باد أهلها وخربت، وبقي منها إلى يومنا هذا، وهو سنة ٨٢٥ نحو الأربعين مدينة، منها ما يعرف اسمه، ومنها ما جهل اسمه، فيما بين أرض الحجاز وبلاد فلسطين وديار مصر ست عشرة مدينة(١٣)».

كَذَلِكَ بيَّن الأُستاذ حمد الجاسر - رحمه الله - امتداد

بدأ شمال غرب الجزيرة العربية بحضارات ما قبل التاريخ، ثم حضارة عاد وثمود في ما قبل الألف الثالث ق.م. ثم حضارة مدين. وكانت مَدْيَن واحدة من المدن المهمة في شمال غرب الجزيرة العربية في عصر مملكتي مدين وأدوم



غرفة دفن صغيرة في مقبرة وتحيط بمدخلها وبفوهات المدافن الأرضية مادة من الجبس



منظر من قرب للفوهة، وشكلها يوحي بأنها مدفن أرضي

مَدْيَن حين قال: «يطلق هذا الاسم على الأرض الممتدة من طرف خليج العقبة شمالاً إلى قرب ميناء الوجه جنوباً، هذا في العهد القريب، وقديماً كانت تشمل قسماً من فلسطين وسيناءَ على ما يفهم مما ذكر المقريزيُّ (١٤)».

الطرق

تكتسب بلاد مَدْيَن أهمية كبرى لموقعها الإستراتيجي، فهي تربط بين جنوب الجزيرة وغربها من جهة، ومراكز حضارية في العالم القديم - مثل بلاد مصر والشام - من جهة ثانية. لذا كانت مركزًا تجاريًا مهمًا في العصور الماضية، كما تُعدُّ من أهم المحطات على الطريق التجاري القديم، وكانت أيضًا إحدى المحطات الرئيسة على دربي الحاج: الشامي، والمصري، ويفترق عندها الطريق إلى مسارين، أحدهما: يتجه إلى المدينة المنورة مروراً بمحطات شغب، وبدا، ووادي القرى، والآخر: يتجه إلى مكة المكرمة مروراً بضبا، والوجه (١٥).

وفي العصر الإسلامي المبكر أصبحت مَدْيَن من أهم المحطات على طريق الحج الشامي والمصري. قال اليعقوبي: «ومن أراد أن يخرج منها (أي: مَدْيَن) إلى مكة أخذ على ساحل البحر المالح إلى موضع يقال له عينونا، فيه عمارة ونخل ومطالب يطلب الناس فيها الذهب (١٦)».

كما قال ياقوت: «ولأهل مصر وفلسطين إذا جاوزوا مدين طريقان إلى المدينة، أحدهما: على شغب، وبدا، وهما قريتان بالبادية، كان بنو مروان أقطعوهما الزهري المحدث، وبها قبره، حتى ينتهي إلى المدينة على المروة، وطريق يمضي على ساحل البحر حتى يخرج بالجحفة

في العصر الإسلامي المبكر أصبحت مَدْيَن من أهم المحطات على طريق الحج الشامي والمصري. قال اليعقوبي: "ومن أراد أن يخرج منها (أي: مَدْيَن) إلى مكة أخذ على ساحل البحر المالح إلى موضع يقال له عينونا، فيه عمارة ونخل ومطالب يطلب الناس فيها الذهب

فيجتمع بهما طريق أهل العراق، وفلسطين، ومصر (١٧)».

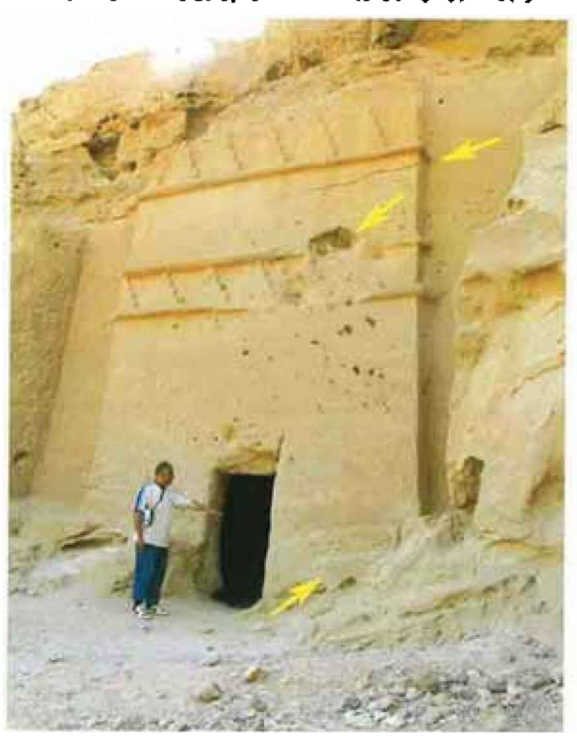
ومما سبق يتبين لنا أنه يمر عبر بلاد مَدْيَن عدة طرق قديمة، فعبرها كانت تمر عدة طرق تجارية، وكذلك طرق الحج التي تربط بلاد الشام ومصر بالأماكن المقدسة، ويمكن حصر أهمها كالآتي:

- طريق الحج الساحلي: من أيْلة، ثم حقل، فمَدْيَن، ثم مَقْنَا، حتى عينونا، ويسير محاذياً للساحل ماراً بالمويلح، وضباء، وقلعة الأزلم، وبركة عنتر، ثم الوجه، حتى الحوراء بأملج.

- طريق الحج الداخلي: يمر بحقل، ثم الشرف، ثم البِدْع (مغائر شعيب) فالأغراء، ثم الكلابية حتى شغب، فبدا، ثم يتجه إلى الحجر، فالمدينة المنورة (١٨).



واجهة مقبرة، وتظهر فيها علامات نقر الإزميل وصفان من الشرفات



أهم مدن مَدْيَن

ذكر المقريزي أنه في عام ٨٤٥ق. هـ كان لمدين اريمون مدينة عامرة عدّ منها: مدينة الأيكة (١٩)، (قيل: إنها تبوك في الوقت الحالي) (٢٠). كما عد بعض المؤرخين ميناء مَقْنَا، وأيلة من مدن مدين.

ومن المحتمل أن تكون مدين العاصمة أو قاعدة كبيرة (٢١). فقد ذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس (القرن الأول م) اسم مدينة مدين، وهي التي فرّ النبي موسى عليه السلام إليها. وفي تعريفه بها قال: «إنها تقع على البحر الأحمر، وأنها تحمل اسم أحد أبناء النبي إبراهيم من زوجته قطورة » (٢٢).

والعقبة وريثة مدينة أيلة القديمة، خضعت لحكم الأنباط، ثم اليونان، فالرومان.. وفي صدر الإسلام صالح أهلها الرسول - صلى الله عليه وسلم - على الجزية، فقد سار إليه يوحنا بن رؤبة، وكان قسها عندما كان عليه الصلاة والسلام بتبوك، فصالحه على الجزية.. وفيها يلتقي حجاج الشام ومصر (٢٣).

كما اورد بطليموس عدداً من المدن التي عدها في الداخل، ومنها مقنا.. وبداس. فهل يقصد البِدْع؟ (٢٤).

أما في كتاب (مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية) الصادر عن وكالة الآثار والمتاحف، فقد ورد أن البِدْع: واحة قديمة سماها بطليموس بالعيينة (٢٥). ويقول المقدسي: «أما الشراة فجعلنا قصبتها صغر، ومدنها مآب، معان تبوك أذرح، ويلة، مدين (٢٦)».

وفي عام ١٩٨٠م أسفر مسح للمنطقة الشمالية الغربية عن اكتشاف أربعة عشر موقعًا، يوجد على سطحها كسور من فخار «مدين» المطلي المتميز (٢٧). كما عثر في «وادي شرمة»، و«عينونة» على مخلفات

أثرية، وجد فيها بقايا مستوطنات مقترنة بحضارة «مدين» (نحو ١٧٠٠- ١٤٠٠ ق.م) والمراحل الأخيرة من الحضارة النبطية (٢٨).

زمن نبي الله شُعَيْب عليه السلام

بدأ شمال غرب الجزيرة العربية بحضارات ما قبل التاريخ، ثم حضارة عاد وثمود في ما قبل الألف الثالث ق.م، ثم حضارة مدين (٢٩). وكانت مَدْيَن واحدة من المدن المهمة في شمال غرب الجزيرة العربية في عصر مملكتي مدين، وأدوم، وهما من الممالك العربية المبكرة التي ظهرت في الألف الثاني قبل الميلاد حتى منتصف الألف الأول قبل الميلاد (٣٠).

وقدّر مؤلفو كتاب (البِدع) مدة سيدنا موسى عليه السلام القرن الثالث عشر قبل الميلاد (١٢٧٩ - ١٢١٣ق.م) (٣١). أما موسل فقد قدّر تاريخ فرار نبي الله موسى بمطلع القرن الخامس عشر قبل الميلاد (٣٢). وأما القثامي فقد حدد زمن شُعَيْب عندما تحدث عن البيوت في البِدْع بقوله: هذه الأضرحة كانت نبطية وعلى هذا فهي قد تأسست بعد ما لا يقل عن ٢٥٠٠ سنة من زمن جيثرو (شعيب) (٣٣).

وقال ابن كثير: ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس أن شعيبًا عليه السلام كان بعد يوسف عليه السلام (٣٤).

وعندما تحدث صاحب كتاب (الأنس الجليل) عن بناء سليمان (مدينة بيت المقدس ومسجدها افادنا بأن زمن سليمان بعد موسى بنحو خمسة قرون حين قال: «لما كان في السنة الرابعة من ملكه في شهر ايار، وهي سنة تسع وثلاثين وخمسمئة لوفاة موسى ابتدأ سليمان في عمارة بيت المقدس حسبما تقدم به وصية أبيه إليه، وكانت مدينة بيت المقدس في زمن بني إسرائيل عظيمة البناء متسعة العمران وكانت أكبر من مصر، ومن بغداد على ما يوصف، فيقال: إن العمارة والمنازل كانت متصلة من جهة القبلة إلى القرية المعروفة يومئذ بدير السنة، ومن جهة الشرق إلى جبل طور زيتا، واستمرت العمارة بطور زيتا إلى حين الفتح العمري، ومن جهة الغرب إلى ماء ملا، ومن جهة الشمال إلى القرية التي بها قبر النبي شمويل عليه السلام(٣٥)».

قصّة شُعَيْب عليه السلام في القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: ٨٥.

قال ابن كثير: «مدين تطلق على القبيلة وعلى المدينة، وهي التي بقرب معان من طريق الحجاز. قال الله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون﴾ وهم أصحاب الأيكة».

قال القرطبي: «قيل في مدين: اسم بلد وقطر. وقيل: اسم قبيلة، كما يقال: بكر وتميم. وقيل: هم من ولد مدين ابن إبراهيم الخليل عليه السلام. فمن رأى أن مدين اسم

أرض مَدْيَن تقع بين العُلا والشام، على امتداد بحر القلزم، تحديداً تمتد ما بين المويلح جنوباً، إلى العقبة شمالاً. كما تمتد شرقاً حتى تبوك. والدراسات الحديثة تميل إلى الاستنتاج بأن حدود مدين امتدت لتشمل مدينة تيماء في زمن من تاريخها



جانب من غرفة الدفن في مقبرة، والسهم جهة اليسار يشير إلى جانب أزيل (كشط) من أرضية المقبرة

رجل لم يصرفه؛ لأنه معرفة أعجمي. ومن رآه اسمًا للقبيلة، أو الأرض فهو أحرى بألا يصرفه».

قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ الأعراف: ٨٨.

تكتسب بلاد مَدْيَن أهمية كبرى لموقعها الإستراتيجي، فهي تربط بين جنوب الجزيرة غربها، ومراكز حضارية في العالم القديم - مثل بلاد مصر والشام. لذا كانت مركزًا تجاريًا مهمًا في العصور الماضية. كما تُعدُّ من أهم المحطات على الطريق التجاري القديم

قال ابن كثير: «هذا خبر من الله تعالى عما واجهت به الكفار نبيه شعيبًا، ومن معه من المؤمنين في توعدهم إياه، ومن معه بالنفي عن القرية، أو الإكراه على الرجوع في ملتهم، والدخول معهم فيما هم فيه».

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ﴾ الأعراف: ٩٠.

قال ابن كثير: «يخبر تعالى عن شدة كفرهم وتمردهم وعتوهم، وما هم فيه من الضلال، وما جبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحق؛ ولهذا أقسموا، وقالوا: ﴿لئن اتبعتم شعيبًا إنكم إذًا لخاسرون﴾.

وقال القرطبي: «أي: قالوا لمن دونهم، أي: هالكون».

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا

الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ الأعراف: ٩٢.

قال ابن كثير: قال تعالى: ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أي: كأنهم لما أصابتهم النقمة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا إجلاء الرسول عليه السلام وصحبه منها، ثم قال تعالى مقابلاً لقيلهم: ﴿الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ هود: ٨٤.

قال ابن كثير: «يقول تعالى: ولقد أرسلنا إلى مدين وهم قبيلة من العرب، كانوا يسكنون بين الحجاز والشام، قريبًا من معان. بلادًا تعرف بهم يقال لها مدين».

قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ هود: ٨٧.

قال ابن كثير: «يقولون له على سبيل التهكم - قبحهم الله - ﴿أصلاتك﴾ قال الأعمش، أي: قراءتك ﴿تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ أي: الأوثان والأصنام، أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء، فنترك التطفيف عن قولك: وهي أموالنا نفعل فيها ما نريد».

قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ هود: ٩١.

قال ابن كثير: «يقولون: ﴿يا شعيب ما نفقه﴾ ما نفهم «كثيرًا» من قولك ﴿وإنا لنراك فينا ضعيفًا﴾ قال سعيد بن جبير، والثوري: وكان ضرير البصر. وقال الثوري: كان يقال له: خطيب الأنبياء. قال السدي: ﴿وإنا لنراك فينا ضعيفًا﴾ قال: أنت واحد، وقال أبو روق يعنون ذليلاً؛ لأن عشيرتك ليسوا على دينك ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾ أي قومك لولا معزتهم علينا لرجمناك قيل بالحجارة وقيل لسببناك ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ أي: ليس عندنا لك معزة».

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ هود: ٩٤.

قال ابن كثير: «قال الله تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا

حدود أرض مَدْيَن متغيرة، ومتبدلة تبعاً لقوتها، لذا لا نجد تحديداً قاطعاً لامتدادها. فبعضهم يضمها إلى الشام. أما ابن خُرْداذْبَة فيضم مَدْيَن إلى المدينة المنورة، كغيره من المؤرخين المسلمين؛ لأن مَدْيَن في عصره كانت ؟ لك

مجموعة من المدافن الأرضية في التل الأوسط



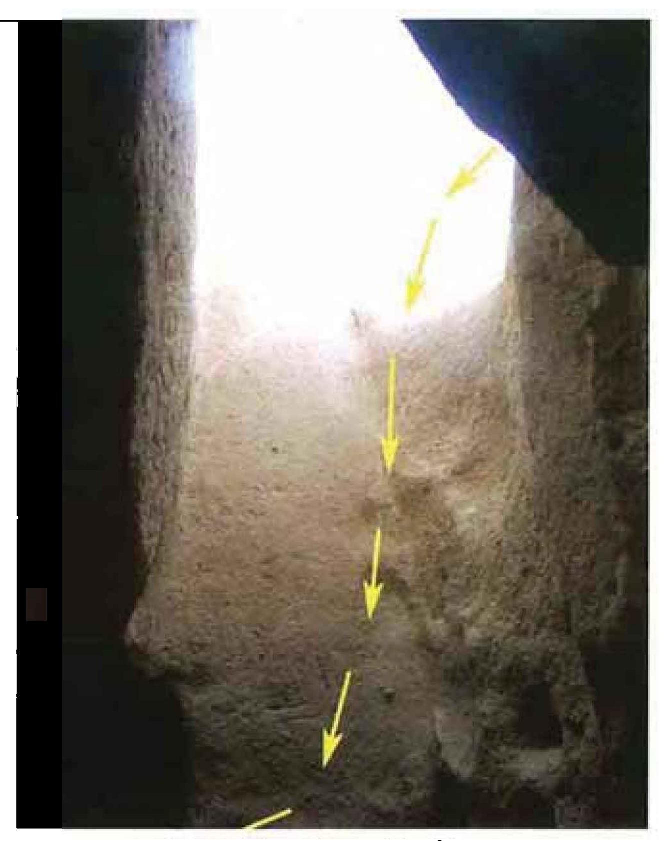


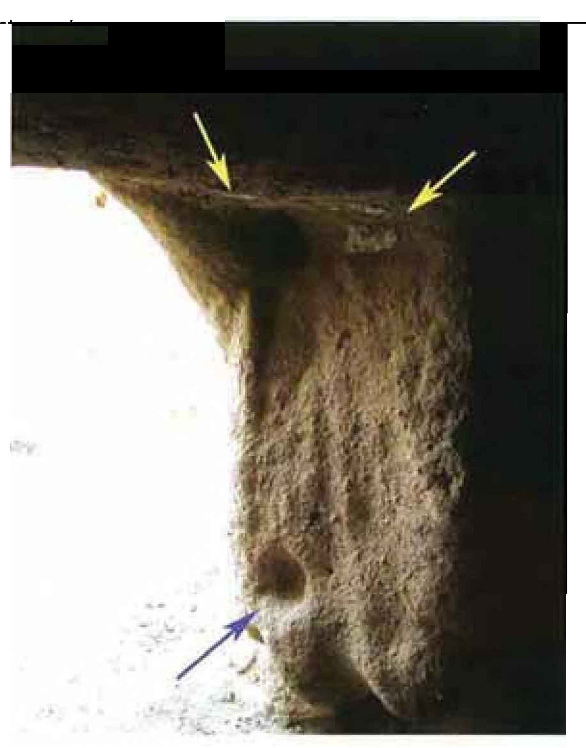
جانب من غرفة الدفن في مقبرة وإلى اليسار يظهر مدفن غير مكتمل النحت وإلى اليمين مدفن جداري يحيط به نحت غائر

شعيبًا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾. وقوله: جاثمين، أي: هامدين لا حراك بهم، وذكر ههنا أنه (اتتهم صَيْحَة)، وفي الأعراف رجفة، وفي الشعراء عذاب يوم الظلة. وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها، وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه ففي الأعراف لما قالوا ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا﴾ ناسب أن يذكر هناك الرجفة فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها، وأرادوا إخراج نبيهم منها، وههنا لما أساؤوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ذكر الصحية التي استلبثتهم، واخمدتهم، وفي الشعراء لما قالوا: ﴿فاسقط علينا كسفًا من السماء إن كنت من الصادقين﴾ قال: ﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ وهذا من الأسرار الدقيقة».

وقال القرطبي: «قيل: صاح بهم جبريل صيحة فخرجت أرواحهم من أجسادهم، أي صيحة جبريل». وأنّث الفعل على لفظ الصيحة، وقال في قصة صالح: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾، فذكّر على معنى الصياح. قال ابن عباس: «ما أهلك الله أمتين بعذاب واحد إلا قوم صالح وقوم شعيب، أهلكهم الله بالصيحة؛ غير أن قوم صالح أخذتهم الصيحة من تحتهم، وقوم شعيب أخذتهم الصيحة من فوقهم. أي ساقطين على وجوههم، قد لصقوا بالتراب كالطير إذا جثمت».

قُلْتُ: ورد - أيضاً - في ذكر عذاب قوم صالح: ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ الأعراف: ٧٨.


الأسهم تشير إلى الطريق الذي سلكه الباحث


الجانب الآخر من مكان العتبة العلوية، وهناك بقايا من مادة الجبس (أعلى)، وحفرة قفل الباب (أسفل)

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلاَ تَتَّقُونَ﴾ الشعراء: ١٧٧.

قال القرطبي: «ولم يقل أخوهم شعيب؛ لأنه لم يكن أخًا لأصحاب الأيكة في النسب، فلما ذكر مدين قال: ﴿أخاهم شعيبًا﴾ الأعراف: ٨٥؛ لأنه كان منهم.. قال ابن زيد: «أرسل الله شعيبًا رسولاً إلى قومه أهل مدين، وإلى أهل البادية، وهم أصحاب الأيكة».

قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ العنكبوت: ٣٦.

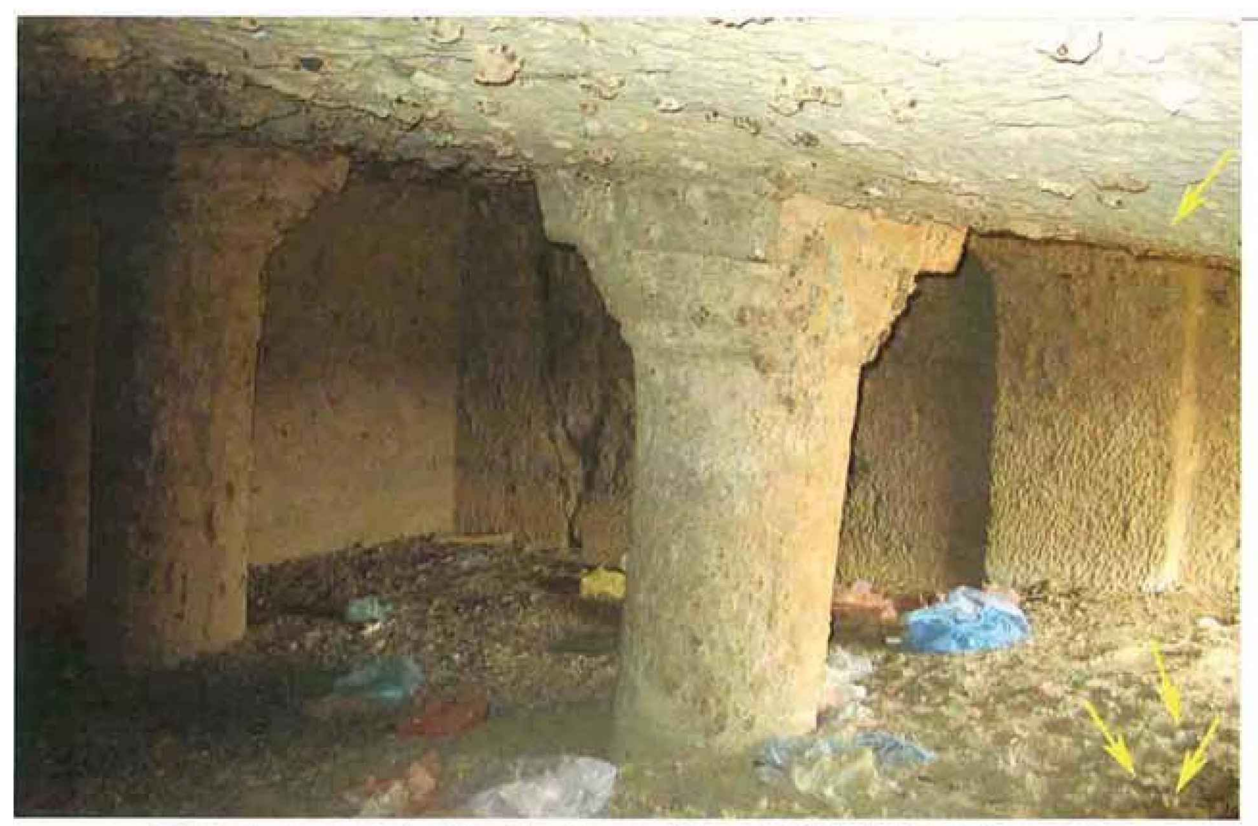
قال ابن كثير:

قوله: ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ نهاهم عن العيث في الأرض بالفساد وهو السعي فيها والبغي على أهلها، وذلك أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان، ويقطعون الطريق على الناس.

قال تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ هود: ٩٥.

قال القرطبي: «حكى الكسائي أن أبا عبدالرحمن السلمي قرأ ﴿كما بَعُدت ثمود﴾ بضم العين. قال النحاس: المعروف في اللغة إنما يقال بَعُد يبعُد بُعدًا وبَعدًا، إذا هلك. وقال المهدوي: من ضم العين من «بعدت» فهي لغة تستعمل في الخير والشر، ومصدرها البعد؛ وبعدت تستعمل في الشر خاصة؛ يقال: بعد يبعد بعدًا؛ فالبعد على قراءة الجماعة بمعنى اللعنة، وقد يجتمع معنى اللفظتين لتقاربهما في المعنى، فيكون مما جاء مصدره على غير لفظه لتقارب المعاني».

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ


جانب من حجرة الدفن أطوالها التقريبية ٦×٦ م، وتبدو ثلاثة أعمدة حجرية شبيهة بأعمدة المساجد، منها عمود ملاصق لجدار المقبرة

لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ الحج: ٤٤.

قال ابن كثير: «﴿فأمليت للكافرين﴾، أي: أنظرتهم وأخّرتهم ﴿ثم أخذتهم فكيف كان نكير﴾ أي فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم؟! وذكر بعض السلف أنه كان بين قول فرعون لقومه: أنا ربكم الأعلى، وبين إهلاك الله له أربعون سنة، وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾».

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ القصص: ٢٢.

قال ابن كثير: «﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ أي: أخذ طريقًا سالكًا مو. مًا فرح بذلك، ﴿قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾: أي: الطريق الأقوم، ففعل الله به ذلك، وهداه إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة، فجعل هاديًا مهديًا».

وقال القرطبي: «بين مدين ومصر ثمانية أيام، قال ابن جبير والناس وكان مُلك مدين لغير فرعون». قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ القصص:٢٣.

قال ابن كثير: «﴿ولما ورد ماء مدين﴾ أي: لما وصل إلى مدين وورد ماءها، وكان لها بئر يردها رعاء الشاء ﴿وجد عليه أمة من الناس يسقون﴾ أي: جماعة يسقون ﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾ أي: تكفكفان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء، لئلا يؤذيا، فلما



جانب من جبل اللوز كما يشاهد بالقرب من تقاطع طريق تبوك - حقل - البدع

رآهما موسى عليه السلام رق لهما، ورحمهما ﴿قال ما خطبكما﴾؛ أي: ما خبركما لا تردان مع هؤلاء؟ ﴿قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء﴾ أي: لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ أي: فهذا الحال الملجئ لنا إلى ما ترى».

وقال القرطبي: «كانت الآبار مكشوفة، وكان زحم الناس يمنعهما، فلما أراد موسى أن يسقي لهما زحم الناس، وغلبهم على الماء حتى سقى، فمن هذا الغلب الذي كان منه، وصفته إحداهما بالقوة، وقالت فرقة: إنهما كانتا تتبعان فضالتهم في الصهاريج، فإن وجدتا في الحوض بقية كان ذلك سقيهما، وإن لم يكن فيه بقية عطشت ... هما، فرق لهما موسى، فعمد إلى بئر كانت مغطاة، والناس يسقون من غيرها، وكان حجرها لا يرفعه إلا سبعة، قال ابن زيد عن ابن جريج: عشرة، ابن عباس: ثلاثون، الزجاج: أربعون: فرفعه، وسقى للمرأتين: فعن رفع الصخرة وصفته بالقوة وقيل: إن بئرهم كانت واحدة،

بعد القرن السابع الهجري أطلق بعض الجغرافيين المسلمين على (البدْع) اسم (مغائر شُعَيْب) ومازالت حتى الوقت الحالي تدعى بهذا الاسم. أما بعض المؤرخين فيرى أنها كانت تعرف في الزمن القديم باسم (مَدْيَن)

وإنه رفع عنها الحجر بعد انفصال السقاة، إذ كانت عادة المرأتين شرب الفضلات. إن قيل: كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية؟ قيل له: ليس ذلك بمحظور. والدين لا يأباه؛ وأما المروءة فالناس مختلفون في ذلك، والعادة متباينة فيه، وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم، ومذهب أهل البدو غير مذهب الحضر، خصوصًا إذا كانت الحالة حالة ضرورة». قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ القصص: ٤٥.

قال ابن كثير: «ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى إليك ذلك؛ ليكون حجة وبرهانًا على قرون قد تطاول عهدها، ونسوا حجج الله عليهم، وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدمين، وقوله تعالى: ﴿وما كنت ثاويًا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا﴾؛ أي: وما كنت مقيمًا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا حين أخبرت عن نبيها شعيب، وما قال لقومه، وما ردوا عليه ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾؛ أي: ولكن نحن أوحينا إليك ذلك، وأرسلناك إلى الناس رسولاً».

وقال القرطبي: «أي: من بعد موسى، حتى نسوا ذكر الله: أي: عهده وأمره، نظيره: ﴿فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم﴾ الحديد: ١٦. وظاهر هذا يوجب أن يكون جرى لنبينا صلى الله عليه وسلم ذكر في ذلك الوقت، وأن الله سيبعثه، ولكن طالت المدة، وغلبت القسوة، فنسي القوم ذلك وقيل: آتينا موسى الكتاب، وأخذنا على قومه العهود، ثم تطاول العهد فكفروا، فأرسلنا محمدًا مجددًا للدين، وداعيًا الخلق إليه».

مَدْيَن في عيون الشعراء

مَدْيَن ذكرها كُثَيِّر في شعره فقال:

اللهُ يَعْلَمُ لَوْ أَرَدْتُ زِيَادَةً
في حُبِّ عَزَّةَ ما وجدتُ مَزِيدَا
رُهْبَانُ مَدْيَنَ وَالَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ
يَبْكُونَ مِنْ حَذَرِ العَذَابِ قُعُودَا
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ كَلامَهَا
خَرُّوا لِعَزَّةَ رُكَّعاً وسُجُودَا (٢٦)

ويروى أيضًا:

الله يعلم لو أردت زيادة
في الحب عندي ما وجدت مزيدا
رُهْبان مَدْيَنَ والذين رأيتهم
يَبْكون من حَذَر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها
خَرُّوا لعَزَّةَ خاشعين سجودا (٢٧)

وقال الشاعر الأموي جرير:

يا أُمَّ طَلْحَةَ ! مَا لَقينَا مِثْلَكُمْ
في المنجدينَ ولا بغورِ الغائرِ
رهبانُ مدينَ لوْ رأوكِ تنزلوا
والعصمُ منْ شعفِ العقولِ الفادرِ
لمنِ الحمولُ منَ الأيادِ تحملتْ
كالدومِ أو ظللِ السفينِ العابرِ (٢٨)

وقال أحدهم:

وله دعا هود النبي وصالح
وهما لدين الله معتقدان

مدين اسم أعجمي وإن اشتقته من العربية فالياء زائدة وقد يكون مفعلاً، وهو أظهر، ومدين اسم قرية شعيب على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، والنسب إليها مَدْيَنِيّ



جانب من منابع العين

وبه أتى لوط وصاحب مَدْيَن
فكلاهما في الدين مجتهدان
هو دين إبراهيم وابنيه معا
وبه نجا من لفحة النيران (٣٩)

وقال ابن أبي جَحَلَة:

حَثَثْنَا المَطَايَا نَحْوَ مَدْيَنَ في السُّرَى
ووَادِي عَفَانٍ طَافحٌ بالرَّكَائِبِ
ولَمَّا رَأَيْتُ المُقْلَ والْعَيْنَ حولَهُ
رَأَيْتُ عَجِيْباً فيْ فُنُوْنِ الْعَجَائِبِ

وقال:

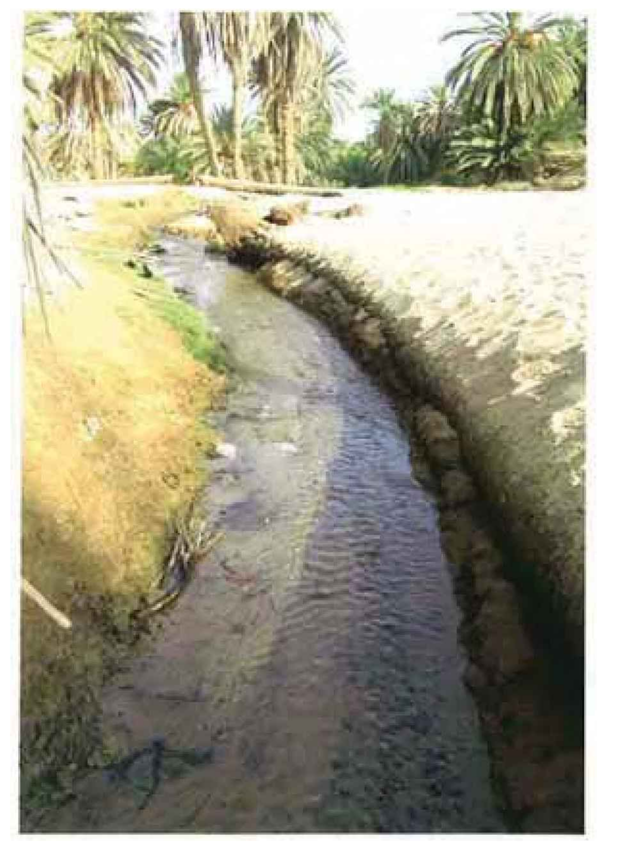
وَلَمَّا وَرَدْنَا مَاءَ مَدْيَنَ بُكْرَةً
وَجدْتُ عَلَيْهِ النَّاسَ يَسْقُوْنَ بالْقِرَبْ
فأطرب حادي الراقصات مسامعي
كَمَا أَطْرَبَ التَّشْبِيْبُ مِنْ (أَعْيُنِ الْقَصَبْ) (٤٠)

وقال الشاعر:

يا وقمة التل ما أبقيت من عجب
جحافل لم يفت من جمعها بشر
ويا ضحى السبت ما للقوم قد سبتوا
تهودوا أم بكاس الطعن قد سكروا
ويا ضريح شُعَيْب مالهم جثموا
كمَدْيَن أم لقوا رجفًا بما كفروا (٤١)

وقال أحدهم:

وما طرق الأسماع من عهد آدم
كملحمة التل التي تلت السدى
أتوا واديًا ما زال ينفي خبائثا
ويصفي بمقبى الدار طائفة الهدى
به جثمت أصحاب ليكة وهي في
ذراه وذا فيه شُعَيْب تأيدا (٤٢)


الجدول المائي يجري بطول واحد كلم تقريبًا منحدرًا باتجاه البحر

قال أبو العلاء المعري:

كنت موسى وافتْك بنتُ شُعَيْب
غير أن ليس فيكما من فقير،
لم يكُنْ قَصْرُكَ المُنيفُ ليَسْتَنْـ
ـزِلَ، إلاّ أعْلى بناتِ القُصور (٤٣)

وقال الشاعر:

كبنت شُعَيْب إذ زفت لموسى
ولكن للثراء هنا مزيد (٤٤)

وقال رجل من أهل مَدْيَن يرثيهم:

ألا يا شُعَيْب قد نطقت مقالة
سبقت بها عمراً وحي بني عمرو
ملوك بني حطي وهوز منهمُ
وسعفص أهل في المرم ذي الفخر
هم صبحوا أهل الحجاز بغارة
كمثل شعاع الشمس أو مطلع الفجر(٤٥)

وقال أحدهم:

يا مَنْ يريدُ خلودا
هيهاتَ منكَ الخلودُ
سلِ ابنَ آدمَ جدًا
تعزى إليهِ الجدودُ
وأينَ شيثٌ ونوحٌ
وأينَ عادٌ وهودُ
ومدينٌ وشُعَيْب
وصالحٌ وثمودٌ
وأينَ فرعونُ مصر
وتبعٌ والجنودُ (٤٦)

وكانت مدين متجر الغرباء، ومضرب الأعراب زيوف. قال الضحاك: «كانوا يعشرون أموال الناس، وكان لهم كاهنان يزينان لهم صنيعهم، فقال لأحدهما: سمير، وللآخر عمران، وفيهم



جانب من الجهة الشمالية الشرقية لمدافن البدع التقط من الطريق العام، والسهم يشير إلى إحدى المقابر

يقول قائلهم كما روى:

يا قوم إن شُعَيْبًا مرسلاً فدعوا
عنكم سميرًا وعمران بن مداد
إني أرى غنمة يا قوم قد طلعت
تدعو بضرب الأصم إبنة الوادي (١٧)»

وزعم قوم أن اباجاد، وهوز، وحطي، وكلمن اسماء ملوك مدين، وهم من ولد محصن بن جندل بن مدين ابن إبراهيم وفي هلاكهم يقول الشاعر:

ملوك بني حطي وسعفص في الندى
وهوز سادات الثنية والحجر

وروى أن خالته بنت كلمن رثته بعد موته:

كلمون هدّ ركني
هلكه وسط المحلة
سيد القوم أتاه الـ
حتف ثاوٍ تحت ظُلَّة (١٨)

وقال أحدهم:

وأخلد بلعامي إلى أرض طيعة
لترفعني الآيات حين صعودي
إذا وردت من ماء مَدْيَن نشوتي
لطيفة أسراري بطيب ورودي (١٩)

وورد في (الأغاني): ما بال الشعراء تمدح أهل بيتي أجمع، ولا تمدحني؟ فبلغ ذلك ابن هَرْمَة، وكان قد مدحه فلم يثبه، فقال يعرض به، ويمدح عبدالواحد بن سُليمان بن عبدالملك:

ومُعجَب بمديح الشعر يمنعه
من المديح ثوابُ المدح والشَّفَقُ

يا آبيَ المدح مِنْ قــــول يُحـــبِّـــــره
ذو نيــقــة في حــواشي شــعــره أنَق
إنك والمدحَ كـالعـــذراء يُـعــجــبــهـــا
مسُّ الرجـــال ويَثنى قلبــهـــا الفَـــرَق
لكنْ بمَدْيَنَ مِنْ مَــفْــضَـى سُــوَيْـمِــرَةٍ
مَـــنْ لا يُـــذَمُّ ولا يُـشْـنـــا لـــه خُـلُـقُ
أهــلُ المدائح تأتيـــه فــتـــمـــدحـــه
والمادحـــون إذا قــالوا له صَـــدَقــوا (٥٠)

أين موقع مدينة مَديَن؟

بعد القرن السابع الهجري أطلق بعض الجغرافيين المسلمين على (البِدْع) اسم (مغائر شُعَيْب) ومازالت حتى الوقت الحالي تدعى بهذا الاسم. أما بعض المؤرخين فيرى أنها كانت تعرف في الزمن القديم باسم (مَـدْيَن). وهنا نتساءل: هل (مغائر شُعَيْب) هي آثار لمدينة مَدْيَن بلد نبي الله شُعَيْب؟. أقول: سأفرد حديثاً عن هذا الموضوع أتناوله بشيء من التفصيل نحقق فيه مكان مَدْيَن هذه في حلقة آتية - إن شاء الله.

المراجع والهوامش

١- لسان العرب ج١، ص٥٨٧.
٢- باختصار مع التعديل الطفيف، شرف الدين، المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، ص٣٧.
٣- صحيح البخاري، ج٣، ص١٢٥٣.
٤- لسان العرب ج١٣، ص٤٠٣.
٥- تاريخ الطبري ج:١، ص: ١٨٥ . ١٨٦.
٦- الطبقات الكبرى ج:١، ص:٤٧.
٧- الكامل في التاريخ ج:١، ص:٩٤.
٨- لمزيد من التفصيل حول حدود أرض مدين انظر: سلامة، أهل مدين، دراسة للخصائص والعلاقات، ص٧٨.
٩- سلامة، أهل مدين، دراسة للخصائص والعلاقات، ص٩١.
١٠- تاريخ الطبري ج:١، ص١٨٤.
١١- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ج١، ص١٩٥ .
١٢- فتوح الشام ج:٢، ص:٦٢ .
١٣- الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، القسم الثالث، ص١٢٠٩.
١٤- الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، القسم الثالث، ص١٢٠٧.
١٥- وكالة الآثار والمتاحف، البدع، تاريخها وآثارها، ص٤١.
١٦- وكالة الآثار والمتاحف، البِدَع، تاريخها وآثارها، ص٤٥.
١٧- معجم البلدان ج:٥، ص:٨٨.
١٨- وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة تبوك، ص٨٨.
١٩- سلامة، أهل مدين، دراسة للخصائص والعلاقات، ص٨٠.
٢٠- سلامة، أهل مدين، دراسة للخصائص والعلاقات، ص٧٩.
٢١- سلامة، أهل مدين، دراسة للخصائص والعلاقات، ص٩٩.
٢٢- سلامة، أهل مدين، دراسة للخصائص والعلاقات، ص٤٤.
٢٣- بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحج، ص ص١١٨، ١٢٠.
٢٤- سلامة، أهل مدين، دراسة للخصائص والعلاقات، ص٤٨.
٢٥- مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية، وكالة الآثار والمتاحف، وزارة المعارف، (١٤٢٠هـ) الطبعة الثانية، ص١٥٤ (ملحوظة: في كلتا الطبعتين لهذا الكتاب ذكر أنها الطبعة الثانية مع أن إحداها في عام ١٣٩٥هـ. أما الأخرى في عام ١٤٢٠هـ!!).
٢٦- أحسن التقاسيم ج:١، ص:١٤٢ .
٢٧- أطلال العدد ٥، ص٦٦.
٢٨- أطلال العدد ٤، ص١٢٦.
٢٩- البدع، تاريخها وآثارها، ص١١.
٣٠- وكالة الآثار والمتاحف، البدع، تاريخها وآثارها، ص١٧.
٣١- وكالة الآثار والمتاحف، البِدع، تاريخها وآثارها، ص٨٦.
٣٢- باختصار مع التعديل الطفيف، شرف الدين، المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، ص٢٧.
٣٣- وكالة الآثار والمتاحف، البدع، تاريخها وآثارها، ص٢٦.
٣٤- البداية والنهاية ج:١، ص:١٩١.
٣٥- الأنس الجليل ج:١، ص:١١٧.
٣٦- تفسير الطبري - (ج ١٠ / ص ٥٠٢) وانظر سمط العوالي٣، الألف، ي٨.
٣٧- الأمالي/ القالي، الألف، ٢/٧٧.
٣٨- جرير، أموي، الراء، كامل تام.
٣٩- ابن مشرف، عثماني، النون.
٤٠- الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، القسم الثالث، ص١٢١٠.
٤١- أخبار الدولتين، الراء، ٣/٤٠٦.
٤٢- أخبار الدولتين، الألف، ٣/٤٠٨.
٤٣- أبو العلاء المعري، عباسي، الراء.
٤٤- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة١، الدال، ١/٧٨.
٤٥- سمط العوالي١، الواو، ١/٢١٦.
٤٦- البرعي، عباسي، الدال.
٤٧- البدء والتاريخ ج:٢، ص:٧٦.
٤٨- البدء والتاريخ ج:٢، ص:٧٧.
٤٩- الوافي بالوفيات ج:١٨، ص:٣٢٢.
٥٠- الأغاني، القاف، ٦/ ١١١.





ابداع المرأة وعوائق الأيديولوجيا

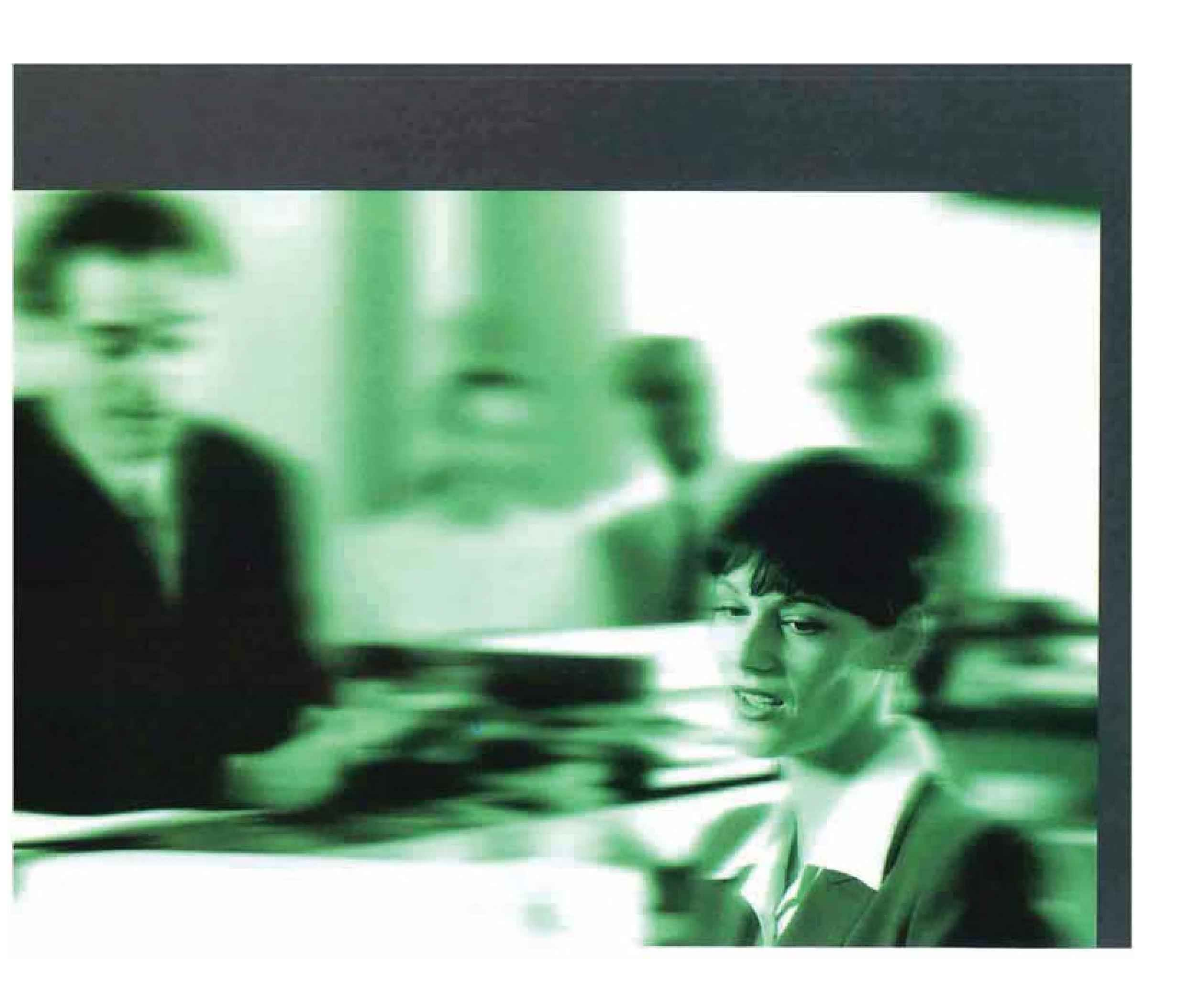
حياة قائد

الرياض - السعودية

في الوقت الذي لا يزال بعضهم يناقش محدودية عقل المرأة، قد تبدو مناقشة قدرتها على الإبداع أمراً أقل ألماً، ربما لأن المرأة ستشعر وكأنها كسبت معركة إثبات "كمال" عقلها، حيث تلتقط أنفاسها استعداداً لخوض معركة أخرى ضد الفكرة السائدة عن ذكورية الإبداع، إلى الحد الذي يجعل بعضهم يتعامل مع نتاجها الإبداعي كيفما كان، على أساس أنه "أقل" بصفته نتاجاً أنثوياً.

ومع تباين حدة هذه النظرة إلا أن المرأة المبدعة تُعامل - غالباً - كـ «حالة» شاذة مخالفة للطبيعة الأنثوية، كما تصورها الثقافة السائدة، فالمبدع يمتاز بالاستقلالية، والجرأة، وحب المغامرة، والأصالة، لكن هذه الصفات غير مقبولة - اجتماعياً - للأنثى، إذ يطالب المجتمع الأنثى بتمثيل الدور السلبي الذي ينزع إلى المجاراة، والارتباط، والانقياد، ورعاية الآخرين، وعدم كسر النمط، وهذا ما يضيق المساحة اللازمة للتحليق في عالم الإبداع، فالاهتمام بما يعده المجتمع «ذكورياً»، يعد نقصاً في أنوثة المرأة، أو تعدياً لـ «الصلاحيات» التي يمنحها لها المجتمع، وقد يصل الاستنكار إلى مستوى التجريم والاتهام بارتكاب المحظور.

ولكن ما صحة الفكرة القائلة: إن هناك علاقة بين نوع الجنس ومستوى الإبداع؟ هل هويتنا الجنسية تحدد قدراتنا الإبداعية؟ وما الذي يفسر قلة إنتاج المرأة الإبداعي مقارنة بإنتاج الرجل؟ هل قدرات المرأة الذهنية لا تؤهلها لبلوغ مستويات عليا من النبوغ والإبداع؟ أم أن هناك أسبابًا أخرى لتأخر النساء إبداعياً؟



الإبداع: قوة الطفولة

يختلف الإبداع في مدلوله عن الذكاء، مع أن بعضهم - إلى عهد قريب - كان يستخدم الكلمتين للتعبير عن المعنى نفسه، كما أن الدراسات التجريبية الحديثة والقياس العقلي أكدا أن الذكاء هو بالفعل شرط ضروري للإبداع، لكنه ليس الشرط الوحيد، فهناك قدرات إبداعية مستقلة عن القدرات العقلية المتعلقة بالذكاء، ومن هذه القدرات: الأصالة والابتكار، اللذان هما حب التجديد، والإعراض عن المألوف، والمرونة، التي تعني قدرة الفرد على النظر إلى المشكلة من زوايا مختلفة، وكذلك القدرة على اكتشاف العلاقات؛ أي: الربط بين الحقائق ودمجها لتؤلف وحدات جديدة، وكذلك قدرة الطلاقة؛ أي: خصوبة الأفكار الإبداعية(١)، كما أن الإبداع لا يرتبط بمجال واحد فقط، ولكنه يشير إلى التميز والتفرد في أي مجال من المجالات، كالفن، والأدب، والدين، والعلوم، والتجارة، والقانون، والسياسة، وغيرها، فكل إنسان متميز متفرد في مجاله هو فرد مبدع.

ولقد أجرى كثير من العلماء والباحثين المهتمين



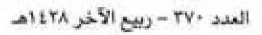


قدرات الإبداع تتساوى لدى جميع الأطفال

بدراسة السلوك الإنساني عددًا من التجارب، وقاموا بإجراء أبحاث مختلفة على مدى عدة سنوات، ليصلوا بعد ذلك إلى فهم أعمق للإبداع. وكانت آراؤهم - التي هي نتاج البحث التراكمي المنظم - تشير إلى أن الذكاء هو القدرة على التفكير والتكيف العقلي مع البيئة، أما الإبداع فهو القدرة على التفكير بتميز وتفرد (٢). فالإنسان الذكي إذن هو الإنسان العادي، الذي لا تقل قدراته العقلية عن المستوى الطبيعي، وكل البشر الراشدين الذين لا يعانون ضعفاً عقلياً هم أذكياء، لكنهم ليسوا مبدعين.

ومع ذلك فإن الدراسات أكدت أن أغلبية الأفراد الأذكياء كانوا مبدعين في طفولتهم، لكن العوائق المتواصلة خلال مراحل الحياة المتتالية تقتل الإبداع تدريجياً لدى كثيرين منا، ويستطيع قلة من الناس أن يحافظوا على قدراتهم الإبداعية على مر السنوات بسبب توافر العوامل التي ساعدتهم على ذلك.

ولو أردنا أن نأخذ الإبداع البصري التشكيلي كمثال، فإننا سندهش من حقيقة أن معظم الأطفال في جميع أنحاء العالم، ذكوراً وإناثاً، يمارسون الرسم بطرائق متشابهة، إن أي رسوم الأطفال ذات سمات عالمية، فرسوم الأطفال تتميز بخصائص عامة، وهذه الخصائص تُلاحظ في رسوم جميع الأطفال الذكور والإناث، على حد سواء، مهما اختلفت جنسياتهم،







التربية لا الجنس العامل المؤثر في الإبداع

ولغاتهم، وألوانهم، وأديانهم، إذ تفيد الدراسات العالمية - التي أجريت على آلاف من رسوم الأطفال حول العالم - أن الأطفال لهم طرائقهم المميزة في الرسم، وهي طرائق يلجؤون إليها بفطرتهم، ومن دون تلقين مسبق من أحد (٣).

فالإبداع إذن، هو قوة تسود لدى جميع الأطفال تقريباً، ذكوراً وإناثاً، أما بين الراشدين فهي نادرة، أو شبه منعدمة، ولهذا فإن علينا أن نتساءل: ما الذي يعوق هذه القوة الإنسانية العظيمة؟

الهوية الجنسية والإبداع

تُظهر اختبارات سمات الشخصية فروقاً بين الجنسين عند تطبيق هذه الاختبارات على عينات من الراشدين، رجالاً ونساء، ولكن المثير حقاً هو أن هذه الاختبارات، وعند تطبيقها على عينات من الجنسين تحت سن الرابعة عشرة، أثبتت نتائجها عدم وجود أي فروق بين الجنسين في سمات الشخصية، والاستعدادات، والميول، والاتجاهات العُصابية، أي أن الفروق التي ظهرت في اختبارات الراشدين ليست عائدة إلى الجنس نفسه، ولكنها ترجع إلى الضغوط الواقعة على الجنسين، من التربية، والجو الاجتماعي، والثقافة السائدة، أي الأيديولوجيات التي تتحكم في حياة الأفراد ضمن المجتمع (٤).

وتؤكد الدراسات المتعلقة باختبارات الذكاء والنبوغ أنه



النساء اللائي تعلمن تعليمًا عاليًا يقترين من الرجولة



التربية النمطية تجعل الزواج أقصى ما يمكن أن تحلم به الفتاة

لا يوجد فارق يذكر بين متوسط ذكاء النساء والرجال في الذكاء العام، وأن الاعتقاد بتفوق الذكور إبداعياً، وخصوصًا في مجال العلوم البحتة والتطبيقية والتقنية، سببه التنشئة والنظرة الاجتماعية، إذ لا يعترف المجتمع بقدرات المرأة، ولا يتقبل تميزها، ويتم التشكيك فيما تنجزه من أعمال إبداعية، فالأسرة تقوم بتربية الابن وتنشئته وتعليمه على أساس أنه «يستطيع» أن يفعل كل شيء؛ لأن له كمال الحرية، وكمال العقل، أي: إنها ترسخ هذا المفهوم في عقل الابن، وتقوم بتنشئته ليكون عالماً، أو مخترعاً، أو مهندساً، أو طبيباً، أو قيادياً بارزاً، بينما لا تربي الفتاة على هذا الأساس أبداً، بل على العكس.. تتم تنشئتها على أساس أنها «لا تستطيع» ذلك! وأنها إن استطاعت فستكون «عدداً إضافياً» لا فرداً متميزاً، فالأسرة تربي البنت على أساس أن تميزها إنما ينحصر في الجمال الجسدي، أو إجادة الطبخ، وأنها عندما تكبر فإن أقصى ما يجب أن تطمح إليه هو الاقتران بزوج غني، وإقامة حفل زفاف صاخب وإنجاب أطفال! أي: إن التربية المثبطة للإبداع، وإهمال المبدعات الموهوبات، وعدم رعايتهن يبدأ منذ الطفولة، في البيت أو المدرسة.

لهذا فإن تفسير وجود عدد أكبر من الرجال النابغين (خصوصًا في المجالات المذكورة آنفًا)، وكذلك وجود عدد أكبر من الرجال ذوي الذكاء الرفيع، لا يرجع أبداً إلى عامل الذكورة، وإنما بسبب عوامل اجتماعية

وثقافية؛ لأن الوضع الاجتماعي المتاح للمرأة - منذ القدم - حال بينها وبين الاضطلاع بأي عمل من شأنه أن يكشف ما لديها من نبوغ وإبداع في كل المجالات (٥)، وبذلك فإن قلة انتاج المرأة الإبداعي (ولاسيما الإبداع العلمي) ليست علامة على «قلة» قدراتها العقلية؛ ولكن لأن تميز المرأة لا يحظى بالرعاية من الأساس، فلا يتم اكتشافه وتقويمه وتطويره، أي: أن الأمر يشبه تأخر بعض الشعوب بسبب عدم توافر الظروف الملائمة لتطورها، فمعظم المنجزات الإبداعية في عدة مجالات أنتجتها شعوب معينة أكثر من غيرها.. وعلى مر العصور، وهذا لا يعني أن تلك الشعوب أذكى من غيرها؛ لكن تلك الشعوب حظيت بفرص أكثر لنمو الإبداع وتطويره وازدهاره، ومثل هذا المبدأ ينطبق على كثرة إنجاز الرجال الإبداعي مقارنة بالنساء.

فالدور الاجتماعي الذي يصوره المجتمع للمرأة يضعها أمام خيارين: تمثيل النمط الأنثوي التقليدي، أو نبذها اجتماعياً وعاطفياً، وهذا معناه أن المجتمع ينتظر من الأنثى أن تكون «امرأة نموذجية»، وهذا يفرض عليها القبول باتجاهات وميول محددة سلفاً، يتم تصنيفها - اجتماعياً - على أنها هي الصفات الطبيعية الممثلة لـ «الأنوثة»، وبذلك تنحصر اهتمامات معظم الفتيات في تجسيد تلك الصفات منذ الصغر، وهذا يجعل صور الإبداع التي تنتجها المرأة أقل بكثير من تلك الصور المتنوعة التي ينتجها الرجل، إذ إن الصورة النمطية السائدة لـ «الرجل النموذجي» أكثر ملاءمة لنمو الإبداع، حيث يُمنح الرجل استقلالية أكثر، ويحظى بمزايا اجتماعية إضافية تمنحه الثقة اللازمة لتطوير الإبداع وتحقيقه.

تؤكد الدراسات المتعلقة باختبارات الذكاء والنبوغ أنه لا يوجد فارق يذكر بين متوسط ذكاء النساء والرجال في الذكاء العام، وأن الاعتقاد بتفوق الذكور إبداعياً، وخصوصًا في مجال العلوم البحتة والتطبيقية والتقنية، سببه التنشئة والنظرة الاجتماعية

إذن فإن اختلافات الاتجاهات والميول (التي يتعلق بها الإبداع بالضرورة) هي صفات تُكتسب من خبرات الحياة، بل إن الصفات الأنثوية والذكورية «النموذجية» هي نفسها صفات تكتسب بالخبرات، فزيادة الإخوة من أحد الجنسين، أو وفاة أحد الأبوين، أو التعلق الزائد بأحدهما يؤثر في اتجاه الذكورة أو الأنوثة، الذي يتخذه الفرد، كما لوحظ أن النساء، اللاتي تعلمن تعليماً عالياً، يحصلن على درجات في مقياس الذكورة أعلى من متوسط ما تحصل عليه النساء عادة.. أي يقتربن من الرجولة، وكذلك فإن الرجال المثقفين ينطبق عليهم الأمر نفسه.. إذ يقتربون من الأنوثة (٦)، وتجدر الإشارة هنا إلى أن المقصود بمقياس الذكورة والأنوثة: الصورة النمطية لـ «الرجل النموذجي»، و«المرأة النموذجية» طبقاً للأيديولوجية السائدة، أي: إن مقياس الذكورة والأنوثة كان مصمماً بحيث يقدم الصفات التقليدية النموذجية لما هو مقبول أيديولوجياً، وليس لما هو واقع بالفعل.

وقد وجد أن ما ينطبق على النساء المثقفات، والرجال المثقفين ينطبق كذلك على النساء المبدعات، والرجال المبدعين، إذ تبين أن المبدعات أكثر ميلاً إلى الاستقلال والحزم والإصرار، وهي صفات يربطها المجتمع بالذكورة، كما أن الرجال المبدعين يتسمون بحساسيتهم المرهفة، والتعبير عن المشاعر والاهتمامات التي تنطوي على معانٍ جمالية أو عاطفية، وهي صفات



عوائق مجتمعية تقتل إبداع المرأة

يربطها المجتمع بالأنوثة، وقد أُستنتج من هذا ان نجاح الإبداع يتطلب خصائص شخصية (كالحساسية والاستقلال) قد تتعارض مع الرؤية الاجتماعية المتصلبة لدور الأنثى والذكر، لهذا فإن القيام بالأدوار الاجتماعية بالطريقة المتصلبة التي تفرضها الثقافة السائدة، سيؤدي إلى التضحية بعدد من الخصائص الضرورية لنمو التفكير الإبداعي وتطوره لدى الجنسين (٧).

وهكذا نرى ان عامل الأنوثة ليس هو السبب في تأخر المرأة إبداعياً، فما السبب إذن؟

مشكلة إقليمية شاملة

عندما يعوّق النظام الاجتماعي اتجاهات أحد الأفراد

أكدت الدراسات أن أغلبية الأفراد الأذكياء كانوا مبدعين في طفولتهم، لكن العوائق المتواصلة خلال مراحل الحياة المتتالية تقتل الإبداع تدريجياً لدى كثيرين منا. ويستطيع قلة من الناس أن يحافظوا على قدراتهم الإبداعية على مر السنوات بسبب توافر العوامل التي ساعدتهم على ذلك

وميوله، فإنه - في الأغلب - يفعل ذلك انطلاقاً من مفهوم عام لما هو مقبول، وما هو مستهجن، وهذا يعني أن مشكلة المرأة في الواقع ليست خاصة، وإنما هي صورة حية عن مشكلتنا الإقليمية الشاملة، تلك المشكلة التي نشأت من صراع خفي بين عقل القيم، وعقل الأنماط، إذ إن ميزان الفساد والصلاح، والخطأ والصواب، والاتزان والاضطراب، ميزانها كلها هو العقل، وهو أمر لا يختلف عليه اثنان، لكن عندما نتساءل عن ذلك العقل نكتشف أن مفهوم العقل نفسه محل خلاف، إذ إننا لا نعرف ما «العقل» الذي نزن به الأمور، عقل القيم، أم عقل الأنماط؟

القيم تكتسب قوتها وضعفها بمقدار صحتها أو عدمها، أما الأنماط فتكتسب قوتها وضعفها من الأثر الذي تحدثه في المجتمع، وأثر النمط يتكون من بعدين: اتساع المكان الذي ينتشر فيه، وطول المدة الزمنية التي يسود فيها النمط، وهكذا كلما كان أثر النمط أقوى اكتسب قبولاً اجتماعياً أشد، وهذا ما يجعل تغيير فكرة القيم أسهل من تغيير فكرة الأنماط، وهكذا فإن التنميط الخاطئ أخطر من القيم الفاسدة؛ لأن مجموع تلك الأنماط هو الذي يأخذ الحيز الأكبر في تشكيل الأحكام، والثقافة العامة التي يتبناها المجتمع.

وقد استطاعت الدراسات والأبحاث، التي أجريت لتحديد أهم معوقات الإبداع أن تتوصل إلى مجموعة من المعوّقات، التي تعيق الإبداع بشكل عام، لكن تلك الدراسات أكدت أن أهم عائق في طريق الإبداع هو: التردد في مواجهة ما هو مقبول في المجتمع، سلوكياً وفكرياً (٨).. أي: الخوف من كسر النمط السائد، أو شعور الفرد بالشك في قدرته على كسر النمط.

أما المعوقات الأخرى فهي عادة لا تخرج - مجملاً - عما يأتي: العادات والتقاليد والأعراف، والنظم السياسية والاجتماعية، والتفرقة العنصرية على أساس الجنس، أو العرق، أو اللون، أو الانتماء المذهبي، والضغوط النفسية والفسيولوجية، ومستوى تعليم الوالدين، والوضع المادي، وتدني مستوى مناهج التعليم.

ومن خلال تأمل هذه المعوّقات نجد أن العوامل الأيديولوجية تختفي وراء أكثرها، أي: أن البيئة الاجتماعية وخلفيتها الثقافية العامة هي أهم أسباب عرقلة مسيرة الإبداع لدى الجنسين معاً، ولدى المرأة على وجه الخصوص؛ وذلك لأن دور المرأة التقليدي في المجتمع ممثل بأنماط أكثر سلبية من أنماط الدور التقليدي للرجل، فهي إذن معرضة لأن تعاني على نحو أشد، وأكثر سوءاً في مسيرتها الإبداعية، وتزداد هذه المعاناة كلما كان أثر النمط أقوى،

الأسرة تربي البنت على أساس أن تميزها إنما ينحصر في الجمال الجسدي، أو إجادة الطبخ، وأنها عندما تكبر فإن أقصى ما يجب أن تطمح إليه هو الاقتران بزوج غني، وإقامة حفل زفاف صاخب، وإنجاب أطفال

وبعبارة أخرى: الثقافة السائدة أكبر عائق يواجه الإبداع بشكل عام، وإبداع المرأة بشكل خاص.

الحدود الحمراء.. خطأ تراثي

ومما زاد الأمر سوءاً في المجتمعات العربية دمج أيديولوجيات وعادات البيئة بالنصوص الدينية، واستخلاص تفسيرات هجينة خاطئة تخدم العقل الجمعي، وهكذا صار الأصل في كل نشاط تقوم به المرأة خارج دورها الاجتماعي كزوجة وأم، صار الأصل فيه التحريم لا الإباحة.

بالطبع فإن البعد الديني لهذه التفسيرات المتعسفة أكسبها الشرعية التي كفلت لها الاستمرارية، كما أن التسلح بالنصوص الدينية كان أشبه برسم حدود حمراء حول موضوع أهلية المرأة ودورها في المجتمع، وضاقت دائرة النقاش حتى صارت الحركة التأويلية للنصوص لا تتجاوز الفروقات الفقهية البسيطة، أما الأحكام العامة فتم تثبيتها على نحو شبه مطلق، كما لو كانت تلك التفسيرات الاجتهادية أكثر قداسة من النصوص المقدسة نفسها.

فبدلاً من العودة إلى النص القرآني، أو نص الحديث النبوي، والتأمل في معانيه، يعود بعض الفقهاء والمفسرين إلى أقوال أولئك الذين سبقوهم، أو الذين أخذوا عنهم، وتناقش عندئذٍ تفسيرات النصوص لا النصوص نفسها؛ أي: أننا ندخل في متاهات تفسير التفسير! وهذا ما يجعل العملية أشبه بغربلة ما تم إصداره من أحكام، وليس دراسة مدى صحتها، وهكذا نصل إلى مفارقات مزعجة، فأحياناً تعمم مسائل خاصة فتُطَلَّقُ على عموم النساء، وأحياناً تؤول نصوصٌ مفتوحة إلى معانٍ ضيقة خاصة، وقد يحدث الأسوأ .. وهو الانطلاق من منظور غير محايد تحت تأثير العادات والتقاليد والبيئة.

إن إساءة فهم النصوص الدينية المتعلقة بالمرأة كان له أثر كبير في بقاء أهلية المرأة محل شك وجدل دائمين، مع أن واقع الأمر هو أنه لا توجد نصوص دينية صريحة تنتقص أهلية المرأة، ولا توجد نصوص تقيد حريتها الإبداعية بهذا الشكل المشاهد في مجتمعاتنا، ولا توجد نصوص تحارب الإبداع، بل إن الإسلام هو دين الإبداع المطلق، يدعو إليه ويحفزه ويشجعه ويكافئه أيضاً، حتى إن الإسلام يعد الإبداع، مثله مثل أي نشاط إنسانيّ مثمر، عبادة عظيمة إذا سعى المسلم في تحصيلها طلباً لرضوان الله!

إن نور الإسلام حرر المرأة من استعبادها بتلك النظرة الدونية التي كانت سمة العصر الجاهلي، وأكد مفهوم العدالة الاجتماعية، بحيث تؤدى الواجبات في مقابل الحقوق، وأكد كذلك الحقوق المدنية، والسياسية لجميع الأفراد، ذكوراً وإناثاً، ضمن قانون مؤسسة الدولة الإسلامية؛ أي: أن نظام حقوق الإنسان، ضمن الدين الإسلامي، يقول لنا ببساطة: الفرد المسلم مقيد فقط بما عليه من واجبات تجاه الله وتجاه الآخرين، أما ما عدا ذلك فهو حر حرية تسع الأرض والسماء!

ولهذا فإن كل تلك الممارسات العنصرية ضد المبدعين والمفكرين ذكوراً وإناثاً، التي تنسب عادة إلى الدين، ليست إلا تمثيلاً لعقلية المجتمع، وقصوراً عن فهم النصوص

الإبداع النسائي بحاجة إلى إعادة النظر في الوضع الراهن، ابتداء من التربية والتنشئة في الأسرة والمدرسة، وكذلك مناهج التعليم والمواد الإعلامية التي تصور الفتاة في أدوار سلبية، أو ثانوية، وانتهاء بالفتاة المبدعة نفسها، وكيفية تدعيم ثقتها بنفسها عن طريق التركيز في الجوانب الإيجابية التي يمكن استغلالها لحفز الذات



المجتمع يرسم دور المرأة والرجل منذ الطفولة

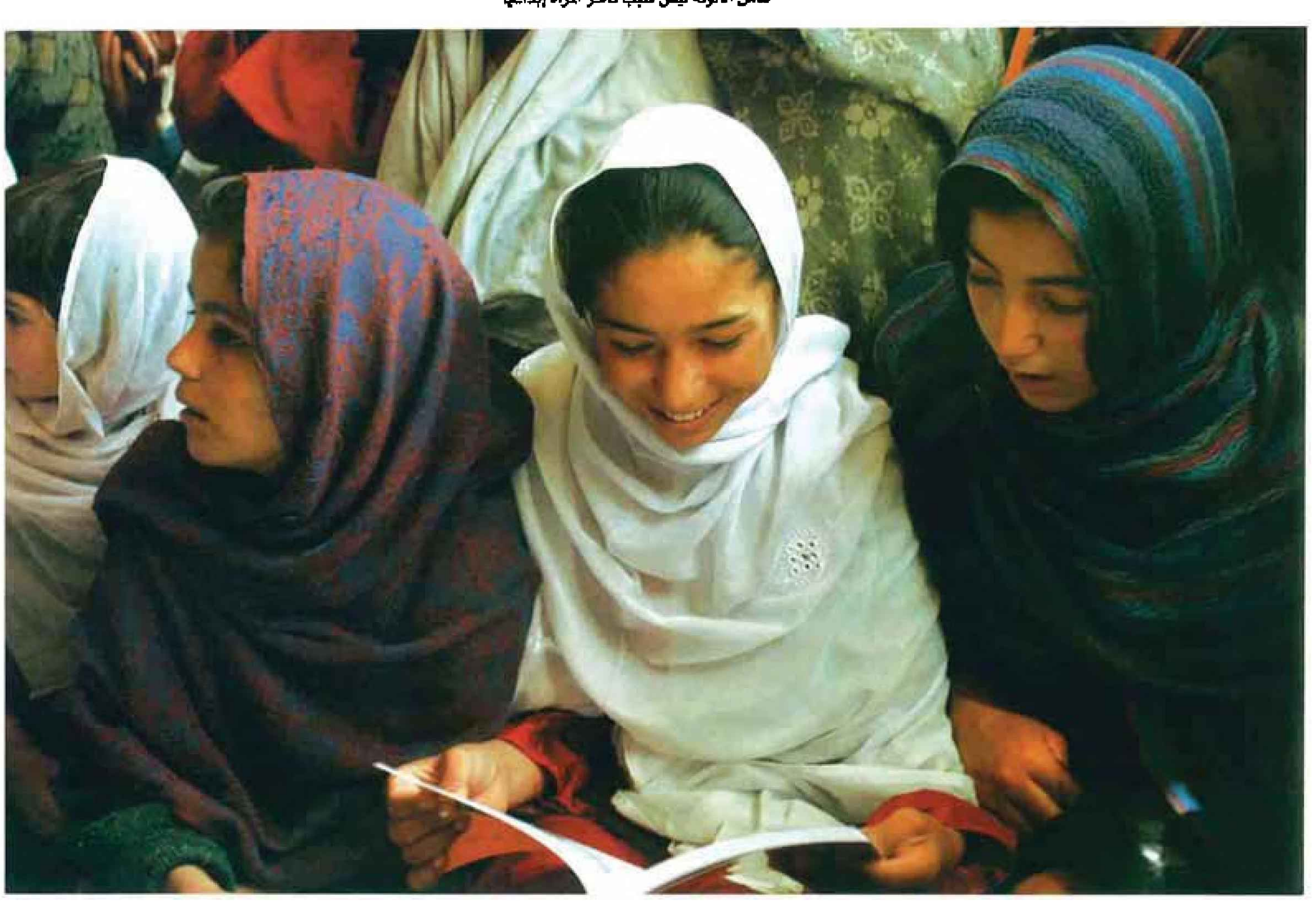
الدينية، أما دين الإسلام العظيم فهو بريء من هذا كله.

ومع أن أصحاب تلك التفسيرات السلبية كانوا يحملون نوايا حسنة، غايتها الإصلاح الاجتماعي، بوضع معايير أخلاقية؛ لتوضيح دور المرأة وتقويمه في المجتمع، إلا ان النظريات التي أفرزتها تلك التفسيرات المغلوطة أضرت بالمرأة، وحرمت المجتمع من الإفادة من إبداعها لمدد طويلة، فصارت مجتمعاتنا تؤمن بأسطورة الفوقية العقلية للذكر؛ لكونها أمراً أقره الدين، ومنحة ربانية اختص بها الذكر لدوره «المهم» في الحياة، قياساً إلى دور الأنثى «الثانوي» الذي ينحصر - حسب تلك الرؤية - في إمتاع الزوج وخدمته وإنجاب الأطفال. هذا ما جعل الأنثى نفسها تسأل: هل تملك، أو يمكن أن تملك، تلك القدرات العقلية التي يملكها الذكر بصفته «الإنسان الأعلى».. إذ يتم تصوير الرجل في ثقافة المجتمع العامة مثالاً لنموذج الكمال البشري، حيث القوة الجسدية والفحولة هما اللتان تمنحان صاحبهما السلطة والمكانة، وتمكنانه من الهيمنة

والاستقلال، وهي نظرة تتفاوت نسبة حدتها من منطقة جغرافية إلى أخرى؛ لأنه كلما زادت الحاجة لهذه المزايا زادت أهمية الدور الأسطوري للذّكر مقابل هامشية الأنثى.

في ظل هذه الظروف، يبدو - منطقياً - أن تفقد الفتاة شعورها بقيمتها الإنسانية، وثقتها بنفسها وبقدراتها، وهكذا تنعدم رغبتها في الإنجاز وتحقيق الذات، فيهبط مستوى إنتاجها الإبداعي، وهو ما تمت ملاحظته في دارسة بريطانية شملت عدداً كبيراً من الأبناء والبنات في المدارس البريطانية، حيث توصل القائمون على الدراسة إلى أن تأخر البنات، إبداعياً (رغم تفوقهن دراسياً) قد يكون خياراً لا واعياً من قبل البنات أنفسهن؛ لأنه تمت تنشئتهن على أنهن «أقل» في بعض المجالات، وأن دورهن في الحياة محصور في شؤون البيت والأطفال، وهذا يجعلهن أقل ثقة بأنفسهن، وأكثر تعرضاً لليأس، وبذلك تقل رغبتهن في تحقيق طموحاتهن حتى لا يدخلن في مواجهة مع المجتمع، أي: أن تفسير هذه الظاهرة ليس في إجابة السؤال (هل المرأة تستطيع، أو لا تستطيع، أن تنجز عملاً مبدعاً كالرجل؟)، وإنما (لماذا تختار المرأة إنجاز هذا الشيء، أو عدم إنجازه؟) (٩).

عامل الأنوثة ليس سبب تأخر المرأة إبداعيًا





سحر الإرادة

لا يحب المبدع أن يكون في حرب مع المجتمع، لكن المجتمع - بالأسف - يكون في حرب مع الفكر غير المألوف، فارضاً قيوده على الإبداع، وتتضاعف هذه القيود حول المرأة المبدعة خصوصًا، وهذا يجعلها تشعر بأنها مضطرة إلى خوض حرب تم فرضها عليها، وستعتقد أنها عليها الاختيار بين الهجوم، كوسيلة للدفاع، أو الاستسلام، أي أنها ستبرمج نفسها على العيش في «جحيم» الآخرين، هكذا: إما التصادم الباهظ التكاليف وإما رفع الرايات البيضاء في خنوع، وهكذا سنحصل في النهاية على مبدعات ناقمات على المجتمع، أو مبدعات مدفونات في الظلام!

هذا الوضع بحاجة إلى المواجهة من أجل الدارسة، وإيجاد الحلول على الصعيدين الشخصي والعام، بحيث نفكر في الحل بدلاً من الخوض في تفاصيل المشكلة، إذ إن الحل الذي نريد التوصل إليه يجب أن يكون حلاً شمولياً، كما يجب تنشيط الأبحاث والدراسات التي تهتم بكيفية التعامل مع المشكلات النفسية للمرأة المبدعة، وإرشادها إلى وسائل تجاوز العوائق الاجتماعية ومساعدتها على التكيف، ودعمها للحصول على حقوقها الإنسانية، أي: تمكينها من كل ما يحقق لها تكافؤاً في الفرص بما يتناسب مع غاياتها ومواهبها الإبداعية.

إن الإبداع النسائي بحاجة إلى إعادة النظر في الوضع الراهن، ابتداء من التربية والتنشئة في الأسرة والمدرسة، وكذلك مناهج التعليم والمواد الإعلامية التي تصور الفتاة في أدوار سلبية، أو ثانوية، وانتهاء بالفتاة المبدعة نفسها، وكيفية تدعيم ثقتها بنفسها عن طريق التركيز في الجوانب الإيجابية التي يمكن استغلالها لحفز الذات، والشعور بجدوى الاستمرار، وأهمية المثابرة، حتى يبقى الإبداع قوياً أمام رياح المثبطات الاجتماعية، التي تترك وراءها صوراً من اليأس والإحباط.

فعندما نحلم بأن نبدع أكثر سنحتاج لقوة أكبر: لتحويل أحلامنا إلى واقع يتسم بالاستمرارية والصمود، خصوصًا عندما تعترض القيود طريقنا، لكن حتى إذا لم تكن هناك عوائق واضحة ومباشرة، سيظل الإبداع بحاجة إلى قوة الإرادة حتى ينمو ويزهر ويثمر، فالإرادة هي القوة السحرية التي تجعل الإنسان قادراً على الخروج من ضيق أفق الأيديولوجيا.. إلى سماوات الإبداع الواسعة!

المراجع والهوامش

١- أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، الباب الثالث، فصل٦، ص: ٢٩٨- ٢٩٩.
٢- الإبداع.. قضاياه وتطبيقاته، د. عبدالستار إبراهيم، فصل١٠، ص١٨٧.
٣- تحليل رسوم الأطفال، د. محمود بسيوني، فصل١٠، ص١٨٧.
٤- مدخل لدراسة السلوك الإنساني، د. جابر عبدالحميد جابر، فصل١٧، ص٣٣٣.
٥- أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، الباب الرابع، فصل٣، ص٣٥٤.
٦- مدخل لدراسة السلوك الإنساني، د. جابر عبدالحميد جابر، فصل١٧، ص٤٢٣.
٧- الإبداع.. قضاياه وتطبيقاته، د. عبدالستار إبراهيم، فصل١٠، ص٢٠٢.
٨- مبادئ الإبداع، د. طارق السويدان، ود. محمد العدلوني، فصل٣، ص٨١.
9- Gendered experiences, choices & achievements: exploring the links'. journal of inclusive Education, vol. 2, pp. 95-118, Morphy, P. & Elwood, J. (1998).





أطراف القانون الدولي الإسلامي ومجاله

أيوب خان لطف الله يونسوف

طشقند - أوزبكستان

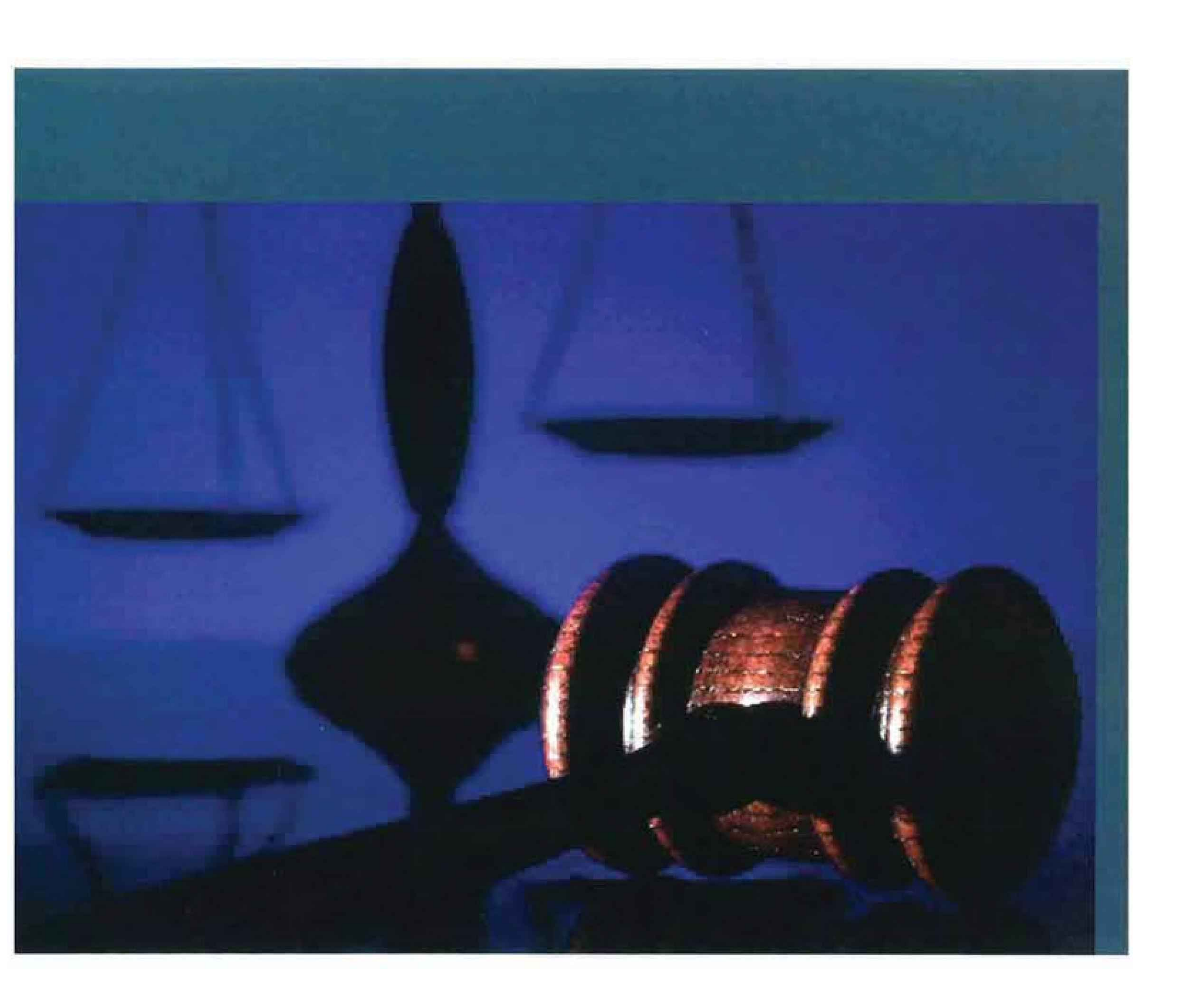
من الصعوبة بمكان مناقشة الأطراف التي تكون القانون الدولي. إذا لم نؤسس أحكامنا - حتى ولو بشكل غير مباشر - على بعض وجهات النظر في موضوع الذاتية القانونية. إن الذات. أو الكينونة القانونية تعد موضوعًا رئيسًا في جميع الأبحاث الدائرة حول ذات القانون الدولي. إذ إن ذات القانون تتلخص في الطرف الذي تمنحه المنظومة القانونية الكينونة القانونية.

إن الذاتية القانونية الدولية تفترض التواصل المباشر مع القانون الدولي. «فالموضوع الذي يمثله القانون الدولي، والمرتبط به عن طريق الالتزامات الدولية، له كل القوة القانونية الدولية، ويعد موضوعًا مكفولاً بالذاتية القانونية الدولية» (١).

وعلى ذلك فإن ذات القانون الدولي يتمثل في الإنسان، أو الفرد الذي يفرض عليه القانون الدولي الالتزامات، ويمنحه الحقوق، وبذلك «يمكن أن نطلق على مصطلح الذاتية القانونية أنه وهم قانوني، أو نتاج قانوني مصطنع، فهو يمثل أداة تفرض من خلالها المنظومة القانونية الحقوق والواجبات على الطرف الهدف» (٢).

وذوات، أو أطراف القانون الدولي يمكن أن تكون شخصية اعتبارية، أو حقيقية، وعادة ما تثير مناقشة موضوع الذاتية القانونية الدولية مشكلة الذات القانونية للدولة، أو الحكومة.

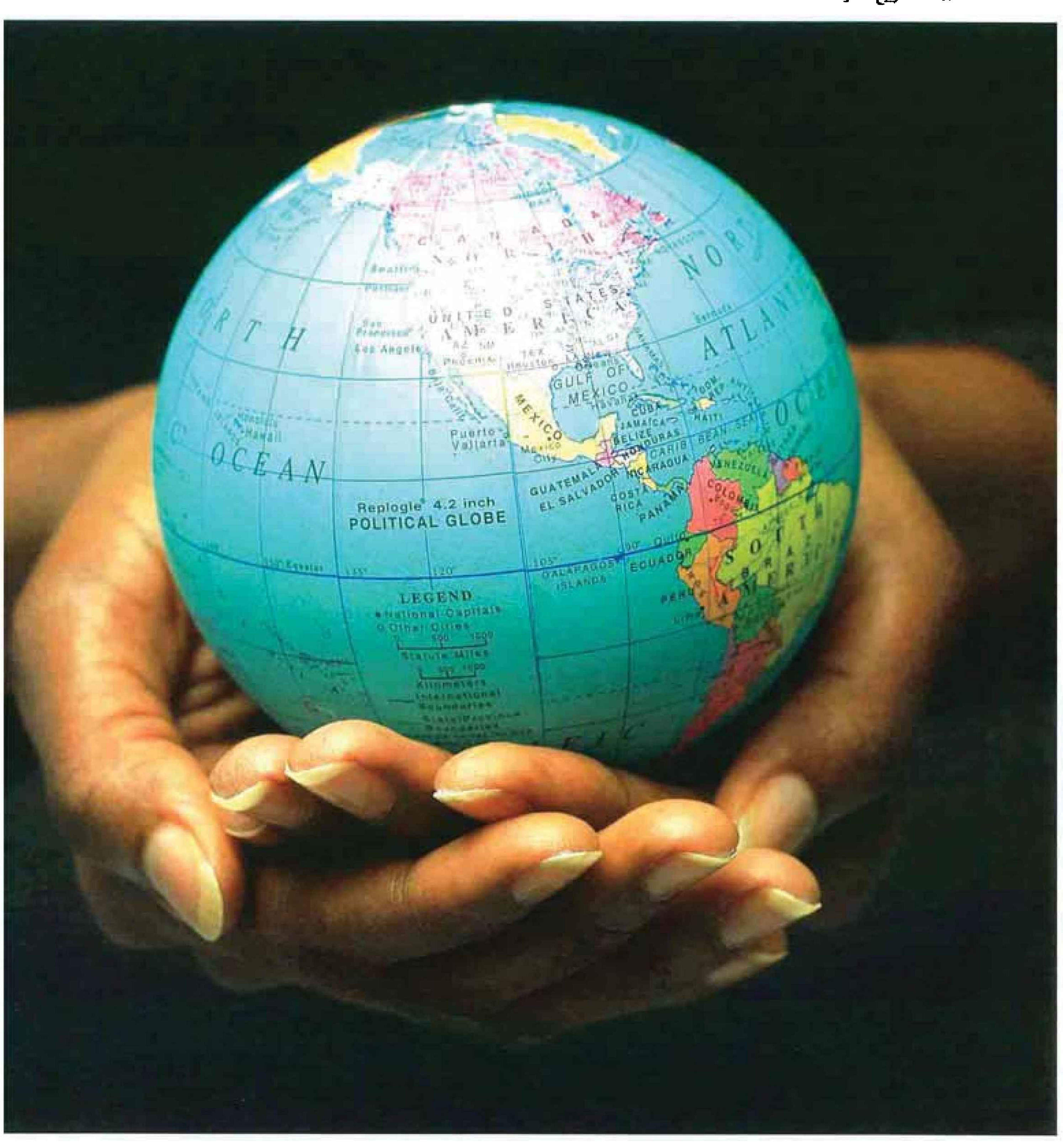
لقد ظهر القانون الدولي المعاصر مع ميلاد الحكومات الوطنية، وبذلك فإن الدولة تعد شخصًا قانونيًا أو ذاتًا أساسية في القانون الدولي. إلا أن بعض



القانونيين – ومنهم ل. ديوكي وسيكيل وج. كيلرسن – ينفون الشخصية القانونية للدولة حيث يرون أن الشخص (الفرد) هو الشخصية القانونية الوحيدة التي تملك الإرادة المستقلة، في حين أن الدولة تمثل مجموعة من الأشخاص فحسب، وهدفها الاسمي توفير الحياة الكريمة للأشخاص. وعلى ذلك يصف هؤلاء الذات الدولية للحكومة بالوهمية وعدم الواقعية. وهذه النظرية تتفق والنظرية القانونية الإسلامية التقليدية التي لا تعترف بنظرية الذاتية القانونية. ومن الصعب الاتفاق مع وجهة النظر هذه، فهي من وجهة نظرنا غير سليمة، فالحكومات في المجتمع الدولي تعد ممثلة رئيسة، والشخصية لا تستطيع أن تطالب بالخواص والسمات والحقوق القانونية للدولة. ويرى الشيخ سيد عبدالله حسين أن الشريعة الإسلامية تعترف بنظرية الذاتية، أو الكينونة القانونية (٣).

الذات القانونية في الإسلام

وللإجابة عن السؤال حول هل النظرية التقليدية


Replogle® 4.2 inch
POLITICAL GLOBE
LEGEND
OCEAN
GULF OF MEXICO
MEXICO
GUATEMALA
EL SALVADOR
COSTA RICA
PANAMA
ECUADOR
GALAPAGOS ISLANDS
COLOMBIA
CUBA
HAITI
JAMAICA
BELIZE
HONDURAS
NICARAGUA
Puerto Vallarta
Los Angeles
ATLANTIC

قوات دولية

الإسلامية صحيحة أم لا، فيما يتعلق بدحض الذات القانونية ورفضها، يمكن الرجوع إلى القرآن الكريم في آيتين كريمتين.

الآية الأولى نقرأ فيها: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (٤).

وهذه الآية تفترض قابلية الدولي للذات الطائفية، فالحدث هنا يقوم به رؤوس الدولة بوصفهم أداة، أو جهازًا للحكومة التي تقع مسؤوليتها على مجموعة من الأشخاص. هذه المنظومة تعني - بلا شك - الاعتراف بالذاتية القانونية الدولية للحكومة، أو الدولة إذ إن الفرد لا يمكن أن يصبح جهازًا قانونيًا إلا بوصفه شخصًا قانونيًا. وهذا يعد التفسير المنطقي الوحيد الذي يرى التحريم القضائي القرآني مسوغًا ويراه متكافئًا. وإذا تجاهلنا فكرة أن الجهاز هو أساس مسؤولية الفرد عن السلوك السيئ للآخرين، فإن التحريم القضائي كان سيبدو غير قانوني وبه كثير من المخاطرة، وهو الموقف الذي لن يتخذه القرآن الكريم أبدًا.

والدليل نفسه نراه في الآية الثانية: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٥)، وإذا فهمنا هذه الآية في السياق العام لمبدأ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (٦)، فإنه يمكن الوصول إلى نتيجة فحواها ان المسؤولية من البداية تقع على عاتق الدولة بوصفها شخصًا قانونيًا، وعلى الإفراد الذين يشكلون هذه الدولة.

وفي الحقيقة هناك بعض الآيات التي ترى الدولة بوصفها الشخصية القانونية الأعلى والأسمى(٧)، والآيتان اللتان أوردناهما سابقًا يتطابقان في مضمونيهما مع نظرية الذات القانونية التي تمثل أهمية كبيرة في الوقت الحاضر. إضافة إلى ذلك فإن الممارسة الحياتية للرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه تؤكد فكرة أن الدولة هي شخصية قانونية، أو أنها ذات للقانون الدولي.

وعلى ذلك فإن النظرية القانونية الإسلامية يمكن إن تسمح بمفهوم الشخصية القانونية الدولية، وأن القانون الدولي مرتبط بشكل أساسي بنشاط

معظم علماء القانون في القرن التاسع عشر ومع أنهم لم يكونوا من أنصار مدرسة القانون الطبيعي، فإنهم رأوا أن الذاتية القانونية للأفراد، تماثل وتتطابق مع الذاتية القانونية للدول. وبعد الحرب العالمية الأولى اعترف معظم علماء القانون بالذاتية القانونية للأفراد والدول

المؤسسات الدولية، وعندئذ فإن الدولة بوصفها شخصًا قانونيًا تعد ذاتًا في التشريع الإسلامي الدولي إذ تخضع للقانون الدولي المعاصر.

الفرد بوصفه ذاتًا في القانون الدولي

إن الوضع القانوني للفرد في القانون الدولي يمثل قضية خلاف بين علماء القانون. إذ يعتقد عدد من العلماء أن الفرد هو موضوع القانون الدولي، ويعتمدون في ذلك على أن القانون الدولي يفرض الالتزامات على الفرد فقط، في حين لا يمنحه أي حقوق. وهذه الفكرة لا تكاد تكون منطقية في زمن صار فيه استقلال الأفراد والحرية مادة للفخر والزهو. كما أنها لا تتفق والإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م. حيث تنص المادة السادسة من الإعلان على أن «كل إنسان له الحق في الإعلان عن نفسه كفرد أمام القانون». والأفراد يمكن أن يكونوا ذواتًا للقانون الدولي. إن فكرة أن قواعد القانون الدولي تنظم - ليس فقط - العلاقات بين الدول المستقلة، ولكن أيضًا كون أن شروطها تعد ملزمة بالنسبة إلى الأفراد أيضًا، أضحت فكرة قديمة جدًا مثلها مثل علم القانون الدولي ذاته.

ويرى ج. جروتسي أن القانون الدولي يمثل مجموعة من القواعد التي تنظم تصرفات الأفراد في العلاقات الدولية، وليست مجموعة الإملاءات المفروضة على الدول في علاقاتها بغيرها من الدول.

ومعظم علماء القانون في القرن التاسع عشر ومع أنهم لم يكونوا من أنصار مدرسة القانون الطبيعي، فإنهم رأوا أن الذاتية القانونية للأفراد، تماثل وتتطابق مع الذاتية القانونية للدول. وبعد الحرب العالمية الأولى اعترف معظم علماء القانون بالذاتية القانونية للأفراد والدول. واستمرت موجة الاعتراف بالذاتية القانونية للأفراد حتى بعد الحرب العالمية الثانية (٨).

وبجانب المذهب القائل بالذاتية القانونية للدولة والفرد هنا نظرية «تحرير الفرد في إطار تبعيته للدولة واعتماده على حماية المجتمع الدولي» (٩).

ووفقا لهذه النظرية فإن الأفراد «يجب أن يصبحوا ذواتًا مطلقة للقانون الدولي، وبهذا الشكل فإن الدول يجب أن تتوقف عن استغلال حقوق الذاتية القانونية» (١٠).

هناك مجموعة أخرى من علماء القانون عبرت عن رفضها لحقيقة الذاتية القانونية للأفراد. وهذا الرفض يعد نتيجة لنظرية السيادة الحكومية. وهذه النظرية لا يمكن أن تصبح مستقرة ودائمة على الرغم من التطور المعاصر لعلم القانون الدولي في القرن العشرين (١١).

ويمكن أن نورد هنا أمثلة محددة يبرز فيها الفرد بوصفه هدفًا للقانون الدولي:

- معاهدة لاهاي الثانية عشرة التي وقعت عام ١٩٠٧م في بنديها الرابع والخامس تسمح للفرد المحايد بالمطالبة بحقوقه من الدول الأجنبية أمام القضاء (١٢).
- محكمة أمريكا الوسطى - التي أنشئت وفقًا لاتفاقية واشنطن في ٢٠ ديسمبر ١٩٠٧م - تسمح للمواطنين الأفراد بالحق في رفع الدعاوى القضائية ضد أي من الدول الموقعة على الاتفاقية (١٣).
- يمكن للأفراد أن يصبحوا ذواتًا فاعلة للقانون الدولي، والتصويت الشعبي، وكذلك بشكل فردي.
- يعد أعضاء المحاكم الدولية ذواتًا للقانون الدولي، إذ إنهم يتلقون التفويضات مباشرة وفق الاتفاقيات الدولية (١٤).

إن النظرية القانونية الإسلامية ترفض بشكل محدد الفكرة القائلة: إن الأفراد يعدون ذواتًا للقانون الدولي. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ



لقاء يتناول احد القرارات المتصلة بالقانون الدولي

وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (١٠).

ويتمسك الإسلام بوجهة النظر القائلة: إن الفرد أهم أهداف للقانون الدولي، إذ إن ذلك يفترض عدم الإرادة، فانعدام الإرادة يعد أساسًا قانونيًا في الإسلام.

إن العبد في الإسلام لا يعد هدفًا معرضًا للالتزامات، وليس له أي حقوق، فهو إنسان له حقوق، يكفلها المجتمع الإسلامي الدولي له.

والنظرية القانونية الإسلامية كذلك لا تمنع الشخص الفرد من أن يكون ذاتًا قانونية في القانون الدولي. ومن الواضح أن معظم الآيات القرآنية تتعامل مع الأفراد. وإضافة إلى ذلك فإن الفرد له بعض الحقوق التي تختلف عن القانون الدولي الإسلامي. على سبيل المثال، المسلم يمكنه أن يمنح صك أمان وحماية من دون انتظار تصريح مسبق من الدولة الإسلامية، غير أن هذا الصك مرتبط بهذه الدولة.

في السنوات المبكرة من التوسع الاستعماري كانت الدول الإفريقية، والآسيوية، والأمريكية، ينظر إليها بوصفها دولاً غير متحضرة، ولا تصلح لتطبيق القانون الدولي. وكان ينظر إلى أراضيها على أنها بلا أصحاب

مثال آخر يتمثل في الحقوق التي يمنحها الإسلام للأجانب المقيمين على أراض إسلامية. وعلى ذلك فإن القانون الدولي الإسلامي يمنح حقوقًا للأفراد وهذا يفرض عليه - أيضًا - التزامات، كتلك التي تقع على كل مسلم عند الهجوم على دولة مسلمة، إذ يجب أن يشارك في الجهاد.

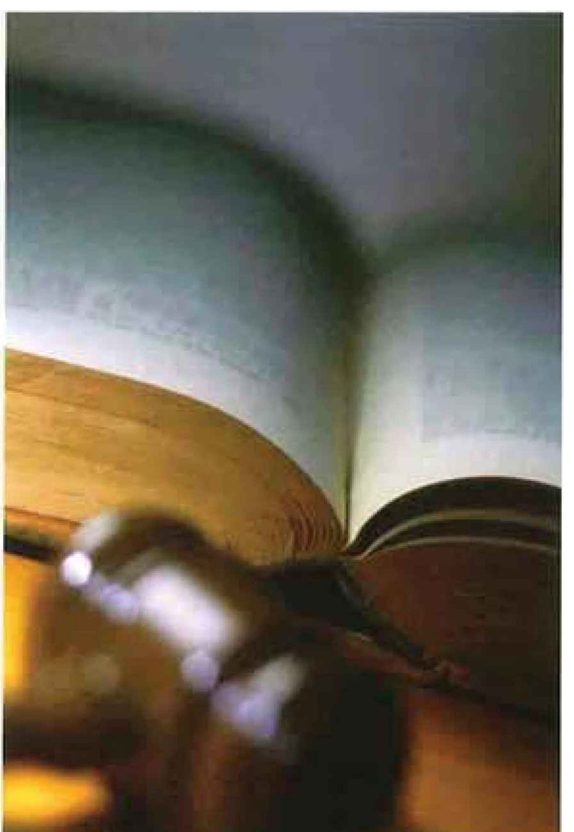
وهكذا فإن الفرد - وفقًا للنظرية القانونية الإسلامية - يعد ذاتًا للقانون الدولي، ويتغير مستوى حقوقه وواجباته وفقًا للالتزامات المناظرة الواقعة على عاتق الدولة، وكذلك على الإجراءات التي يتوقف عليها الاعتراف بحقوقه، أو تغيير التزاماته، ولكن الفرد في النهاية يخضع للقانون الدولي، والعلامات المحددة لا تعد نفياً للفردية؛ لأن الذاتية القانونية تعد آلية قانونية مناسبة لا أكثر.

ومن ناحية أخرى فإن الإسلام لا يعد الشخص الفرد طرفًا مطلقًا في القانون الدولي، كما أن الدولة - وفقًا للنظرية القانونية الإسلامية - تعد كذلك طرفًا قانونيًا دوليًا.

وهكذا فإن النظرية القانونية الإسلامية انضمت إلى المذهب الذي يعترف بالذاتية القانونية للدولة والفرد. وتمنح النظرية القانونية الإسلامية الذاتية القانونية للرسول صلى الله عليه وسلم بوصفه فردًا إلا أن الذات في القانون الإسلامي الدولي لا تقتصر على الدول والأفراد فحسب، إذ يمكن - أيضًا - إضافة الثوار والمحاربين المتمردين الذين اعتلوا السلطة، واستقروا فيها.



الذات الدولية للحكومة وهمية أم واقعية؟



مجال القانون الدولي الإسلامي

طرأ تغيير على مجال القانون الدولي الإسلامي في مختلف مراحل تطوره من المنظومة القانونية الأوروبية إلى المنظومة الدولية الجامعة. وفي السنوات المبكرة من التوسع الاستعماري كانت الدول الإفريقية، والآسيوية، والأمريكية، ينظر إليها بوصفها دولاً غير متحضرة، ولا تصلح لتطبيق القانون الدولي. وكان ينظر إلى أراضيها على أنها بلا أصحاب. وكانت الحملات الاستعمارية - ومنها الحملة الهولندية الشرقية على

النظرية القانونية الإسلامية يمكن إن تسمح بمفهوم الشخصية القانونية الدولية، وهو مرتبط بشكل أساسي بنشاط المؤسسات الدولية، وعندئذ فإن الدولة بوصفها شخصًا قانونيًا تعد ذاتًا في التشريع الإسلامي الدولي إذ تخضع للقانون الدولي المعاصر


أعلام الدول المشكلة لمنظمة الأمم المتحدة

الهند، والحملة الإنجليزية الشرقية على الهند - كانت تشكل تنظيمات لكل منها دائرة اختصاص. وقد وصف قاضي التحقيق في دلهي بالماس عام (١٩٢٨م) تصرفات تلك الحملات بكونها تشبه تصرفات الدول التي تنتمي إليها، فقد كانت هذه المجتمعات مجالاً لتصفية الحسابات الدولية بين الدول.

أما الدول غير الأوربية الأخرى ومنها الإمبراطورية العثمانية، التي كانت قوية بالدرجة التي لا تسمح بفرض سياسة الذراع القوية، فقد تخطت كل حدود القانون الدولي. ووفقًا لاتفاقية باريس عام ١٨٥٦م منحت تركيا امتيازات للقانون الأوربي العام،

هناك مجموعة أخرى من علماء القانون عبرت عن رفضها لحقيقة الذاتية القانونية للأفراد، وهذا الرفض يعد نتيجة لنظرية السيادة الحكومية، وهذه النظرية لا يمكن أن تصبح مستقرة ودائمة على الرغم من التطور المعاصر لعلم القانون الدولي

وفعلت دول أخرى - ومنها اليابان - الشيء نفسه.

ومع بداية القرن العشرين تقلص عدد الأراضي التي تفتقد حاكمًا، حيث أضحت كل الدول المتخلفة تابعة لإحدى الدول الغربية الكبرى، واندمجت بذلك في منظومة المجتمع الدولي، وأضحت بذلك طرفًا في القانون الدولي. ويظهر هذا التوجه في بقايا

يشمل جميع الدول المتحضرة. ويندرج تحت كلمة الحضارة الإيمان الإيديولوجي بوحدانية الله، والحياة الآخرة، وهذا هو المقياس العام للمذهب الذي يكفل الأساس المناسب للعلاقات الدولية والوفاق. وفي الحقيقة فإن هذا الاعتقاد يخدم القانون الدولي، ويؤدي إلى توفير الاحترام له، وبذلك فإن الدولة التي تعترف بهذا الاعتقاد لها الحق في التمتع



اللغط لا يزال مستمرًا حول القانون الدولي

الاستعمار تحت اسم الانتداب والوصاية.

ووفقًا للنظرية الكلاسيكية في الإسلام فإن القانون الدولي الإسلامي محدد بالنظام الجغرافي للعالم الإسلامي، حيث ظل غير المسلمين خارج نطاق هذا القانون. وهذا التفسير أعاد سياسة الهيمنة للدولة الإسلامية في هذه المدة. وحسب رأينا فإن مجال القانون الدولي الإسلامي

بمميزات القانون الإسلامي الدولي.

أما حالة الدول الملحدة فكانت مثار شك، ويمكن القول: إن هذه الدول يمكن وضعها خارج إطار القانون الدولي الإسلامي، وهي وجهة النظر الأكثر شيوعًا في العالم الإسلامي. أما الوجهة الأخرى فهي تنفي التصنيفات المشار إليها للمزايا الحكومية من قبل القانون

يمكن أن نطلق على مصطلح الذاتية القانونية أنه وهم قانوني، أو نتاج قانوني مصطنع. فهو يمثل أداة تفرض من خلالها المنظومة القانونية الحقوق والواجبات على الطرف الهدف

الدولي الإسلامي. وباستثناء ألا يكون ذلك اهتمامًا مطلقًا من الدولة الإسلامية بتدعيم العلاقات السلمية. وحسب وجهة النظر هذه فإن الدول الشيوعية بنظرياتها المادية كانت خارج نطاق القانون الدولي الإسلامي.

وفي النهاية يمكن أن نصل إلى نتيجة مضمونها أنه: في كل من القانون الدولي الإسلامي والغربي فإن مجالاتهما لا تملك الحق في المطالبة بمميزات القانون الدولي قبل الحصول على الفرضية الأهم، وهي درجة معينة من المستوى الحضاري، وفي العالم الغربي فإن الحضارة تقاس وفقًا لمعيار مادي في حين أنه في الإسلام تقاس الحضارة بمعايير روحية وعقائدية. ولا يجب الخلط بين هذا التفسير ودور الإسلام الجامع، فالإسلام - وعلى غرار القانون الدولي المعاصر - له توجه في الحصول على اعتراف جامع وعام. إن المبادئ العامة تقلل - على ما يبدو - من عداء الدول بعضها لبعض، وتساعد على تطور أكبر في مسيرة الإنسانية. وعندما تصل هذه الحملة الدعائية إلى هدفها النهائي فإن القانون الدولي سيفقد مجال نشاطه. وفي هذا الوقت سيؤدي انقسام العالم إلى أهداف سياسية حسب مختلف المقاييس الحضارية إلى إثارة كثير من القضايا.

وهناك تشابه بين كلتا المنظومتين في اشتمالهما على قواعد إقليمية وجامعة في الوقت ذاته. أن بعض قواعد القانون الدولي الإسلامي تمس - فقط - العلاقات بين الدول الإسلامية في توجه ملحوظ نحو شكل من الإقليمية. إضافة إلى ذلك فإن الحالة الجغرافية يمكن أن تلزم بقبول قواعد قانونية خاصة بتلك المجموعة من الدول. ويلزم التذكير - على سبيل المثال - بأن تناول العباسيين القانون الدولي الإسلامي اختلف عن تناول الأمويين في إسبانيا. إن علماء القانون المعاصرين في هذه الحالات يتحدثون عن القانون الدولي الأمريكي والأوربي.

المراجع والهوامش

1- Weissberg G. The International Status of the United Nations. New York and London, 1961, P. 23

2- Weissberg G. Ibid., P.21

3- Husseyn L.A. Op. cit, vol. 1, P.62
al-Maragi. Op.cit., vol. XV. P.21;

٤- سورة الإسراء: الآية ١٦.

٥- سورة الأنفال: الآية ٢٥.

٦ - سورة فاطر: الآية ١٨.

٧- وللتدليل على ذلك يمكن أن نورد الآية التالية: ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون﴾ (النور:٤٨) وفي هذه الآية نرى الإشارة إلى مؤسسات خاصة لا يمكن تصورها من دون قيام الدولة. وهذه التفويضات تعد دليلاً استخدمته المحكمة الدولية في عام ١٩٤٩م في تحديد شكل التعويض عن الضرر الواقع في عمل هيئة الأمم المتحدة، إذ قررت المحكمة أن المنظمة تملك ذاتا قانونية دولية، وعلى ذلك يمكن إثبات الذات القانونية.

8- Korowichz. Op.cit., P. 327-332

9- Korowichz. Op.cit., P. 339

10- Korowichz, Op.cit., P. 339

11- Ratch A.L'individu et le Droit International Public. Thise. Le Caire. 1959. P. 25-26

١٢- مثال آخر - المعاهدة الأوربية لحقوق الإنسان عام ١٩٥٠م.

١٣- المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان ومقرها ستراسبورج. «المحكمة يمكن أن تتلقى الالتماسات من أي شخص...» (المادة ٢٥/١). وهنا الالتماس الشخصي يمكن أن يعرض على القاضي، وضد أي من الدول الموقعة على الاتفاقية.

14- Korowichz. Op.cit., P. 248-252

١٥- سورة الإسراء: الآية ٧٠.



تـــاريـــخ



صحيفة المدينة واشكالاتها.. دراسة أولية

محمد بن فارس الجميل

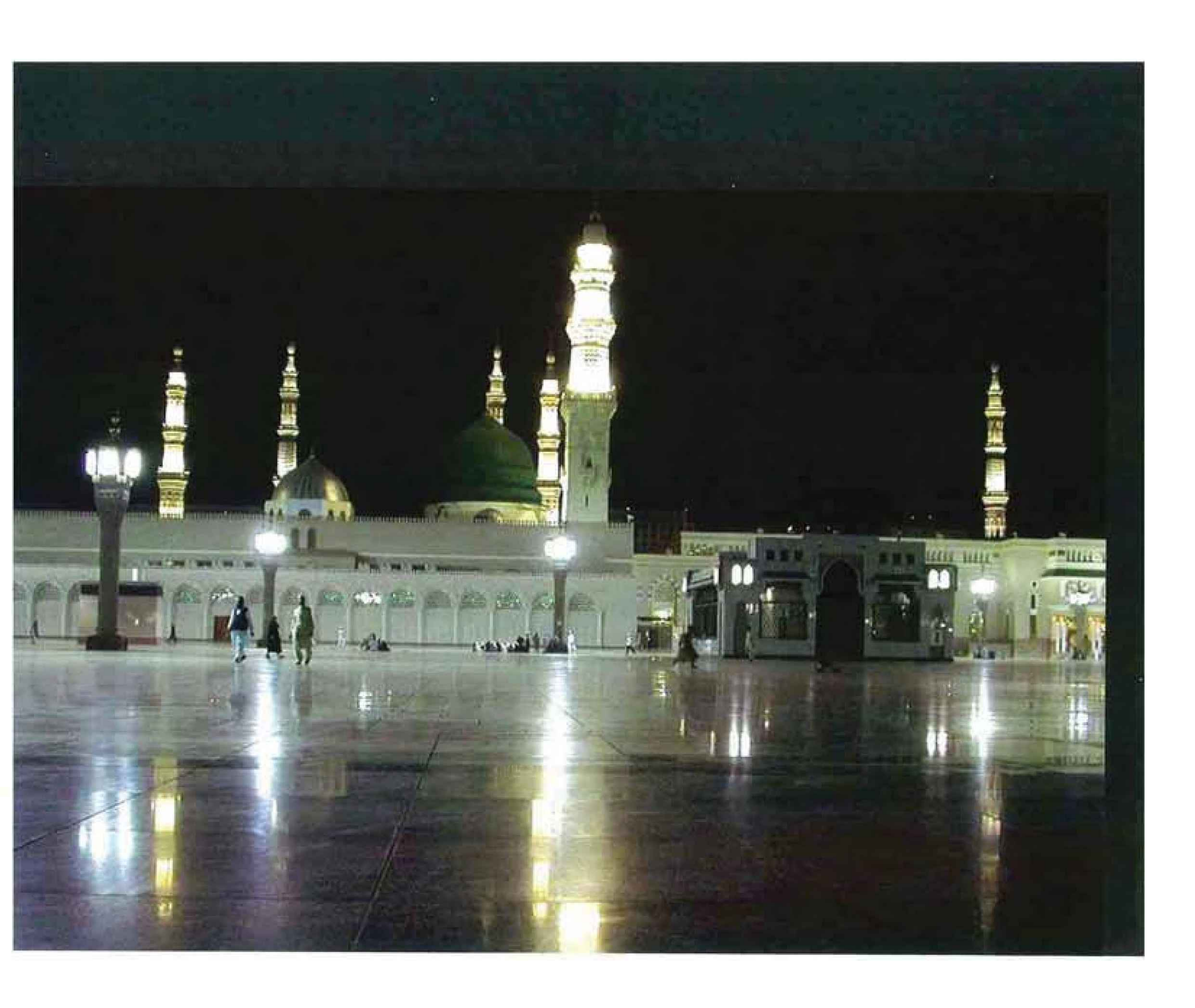
الرياض - السعودية

إن أقدم نص كامل يمكن التعويل عليه بخصوص صحيفة المدينة(١)، هو ما أورده الزهري في مغازيه (ت:١٢٤هـ) ووصل إلينا عن طريق أبي عُبيد القاسم بن سلام أنه قال: "بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بهذا الكتاب: هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم فحل معهم وجاهد معهم إنهم أمة دون الناس.."(٢).

ووجد نص الصحيفة كاملاً لدى ابن إسحاق لكن من دون إسناد، ولا يختلف بشيء عما جاء في رواية الزهري التي ذكرها أبو عبيد إلا في بعض الفروق الطفيفة، التي ربما يكون مرجعها إلى أخطاء النساخ. جاء في أولها: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس.. إلخ» (٣).

أما عن علاقة النبي باليهود فقد ذكر بعض المؤرخين الذين جاؤوا بعد ابن إسحاق، مثل: الواقدي، والبلاذري، والطبري، بعض الإشارات إلى اتفاقات ربما كانت وقتية، أبرمها الرسول صلى الله عليه وسلم مع يهود المدينة حال وصوله إليها، مثل قوله: «أن لا يظاهروا عليه عدواً» (٤) أو حسب ما جاء في صيغة أخرى: «أن لا يعينوا عليه أحدًا، وإن دهمه عدو بالمدينة نصروه» (٥).

إن هذا البحث ليس بصدد إثبات صحة صحيفة المدينة من عدمها، فقد ناقشها بعض كبار المستشرقين من المهتمين بها أمثال: فنسنك Wensinck، وفلهاوزن



Wellhausen، وواط Watt، وسارجنت Serjeant، وغيرهم، وأقرّوا بصحتها (٦).

لذلك فإن ما يشغل بال الباحث - هنا - هو بعض الإشكالات المتعلقة ببعض الجوانب المهمة في الصحيفة مثل: وقت كتابة الصحيفة، أي: هل كتبت قبل بدر أم بعدها؟ وهل هي صحيفة واحدة أم أكثر؟ وهل تعد قبائل اليهود الثلاث طرفًا فيها أم لا؟

أما السؤال الأول المتعلق بتاريخ كتابة الصحيفة، فإن كلاً من فنسنك وفلهاوزن يريان أنها قد كتبت قبل معركة بدر (٧)، أما مونتجمري واط فيرى أن الصحيفة عبارة عن بنود يعود أقدمها إلى بيعة العقبة، ثم أضيفت إليها بنود أخرى كلما دعت الحاجة (٨).

ولا يختلف رأي سارجنت كثيرًا عما ذهب إليه واط، فهو يرى أن الصحيفة تتألف من ثماني معاهدات منفصلة يعود أقدمها إلى السنة الأولى من الهجرة، وآخرها أضيف في السنة السابعة من الهجرة، أي: بعد غزوة خيبر (٩). ولكن من الملاحظ أن سارجنت لم يقدم دليلاً مقنعًا يبرهن على صحة ما ذهب إليه.

أما العمري، وهو في ظني من أواخر من ناقشوا أمر الصحيفة، فيرى أنها في الأصل وثيقتان، ثم جمع المؤرخون بينهما، ويقرر أن وثيقة موادعة اليهود كتبت قبل وقعة بدر الكبرى، أما الوثيقة بين المهاجرين والأنصار فهي - حسب رأيه - كتبت بعد بدر(١٠). ومما لا شك فيه أن هذا الرأي له نصيب من الوجاهة.

ويكاد يتفق بركات أحمد Barakat Ahmad مع العمري في تاريخ كتابة الجزء المتعلق بالمسلمين من الصحيفة، إذ يرى أنه كتب بعد إجلاء (هكذا) بني قريظة - أي: ربما في نهاية السنة الخامسة من الهجرة(١١)، وواضح أن هذا الرأي على قدر كبير من الجرأة!.

وإذا ما تركنا مناقشة هذه الآراء - مؤقتًا - فإن السؤال الأكثر أهمية وإلحاحًا هو: من هم اليهود الذين تضمنتهم صحيفة المدينة؟

من الواضح أن ابن إسحاق في تقديمه لصحيفة المدينة ذكر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب كتابًا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود، وعاهدهم، وأمنهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم. وهو - هنا - يتحدث عن اليهود بصفة عامة، ولم يذكر قبيلة بعينها (١٢)، وكذلك فعل كل من البلاذري والطبري، فقد ذكرا أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وادع يهود المدينة وعاهدهم، وزاد الطبري: «وأن لا يعينوا عليه أحدًا، وأنه إن دهمه بها عدو نصروه» (١٣).

أما الواقدي فقد ذكر في إحدى رواياته أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة صالح بني قريظة وبني النضير ومن بالمدينة من اليهود، أن لا يكونوا معه ولا عليه، ويقال: صالحهم على أن ينصروه ممن دهمه منهم، ويقيموا على معاقلهم الأولى التي بين الأوس والخزرج (١٤). ومما لا شك فيه أن رواية الواقدي هذه على قدر من القيمة التاريخية، إذ إنها إحدى الروايات النادرة التي تذكر القبائل اليهودية الرئيسة بالمدينة بالاسم وإغفالها ذكر بني قينقاع أمر له وجاهته التي ستتبين فيما بعد. أما الأمر الذي أغفلته هذه الرواية فهو الوقت الذي كُتب فيه ذلك الصلح.

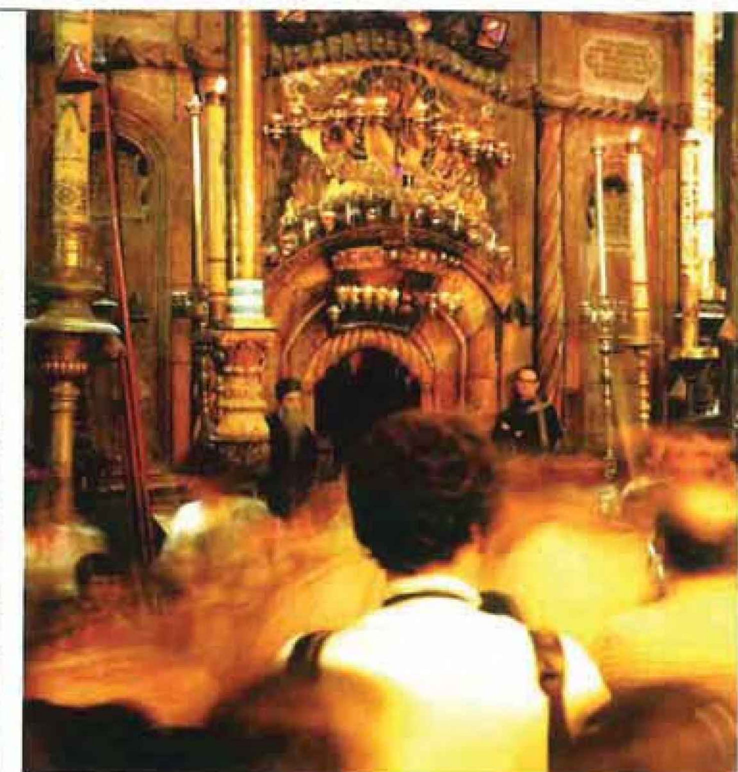
ويلاحظ أن أبا عبيد القاسم بن سلام عندما ذكر خبر صحيفة المدينة، قال: إن المقصود باليهود الذين ورد ذكرهم في الصحيفة هم: بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، ولم يذكر لنا المصدر الذي استقى منه معلوماته. وقد تابع بعض المتأخرين من كتاب السيرة - مثل: ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) والسمهودي (ت: ٩٩١هـ) وكذلك الحلبي (ت: ١٠٤٤هـ) - أبا عبيد فيما ذهب إليه أن المقصود باليهود الذين وادعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدهم عند مقدم المدينة، هم: القبائل اليهودية الثلاث المشهورة (١٥).

ولم يذكر لنا أولئك المؤرخون أية معلومات تفصيلية عن الكيفية التي تم من خلالها ذلك الإنجاز التاريخي.

ولعل ما يجعل الأمر أكثر صعوبة أمام الباحث هو أن المواد الموجودة في صحيفة المدينة، والمتعلقة باليهود بوجه خاص لا تذكر أيًا من القبائل الثلاث المشار إليها أعلاه!

وعلى كل، فإن فلهاوزن عند مناقشته صحيفة المدينة لم يتردد في الاعتراف بأن المقصود بيهود الأوس وثعلبة المشار إليهم في مواد الصحيفة (٢٥ - ٣١) لا يمكن أن

جاء في إحدى الدراسات الحديثة أن الصحيفة كانت دستورًا شاملاً لسكان المدينة، وأن المقصود بيهود المدينة هم بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة؛ لأن غيرهم من اليهود لم تكن لهم أهمية تذكر في المدينة آنذاك





من هم اليهود المقصودون في الصحيفة؟

يكونوا غير (النضير وقريظة)، إذ إنهم عاشوا بين أوس الله، وثعلبة بن عمرو بن عوف. وهذا استنتاج منطقي ومعقول (١٦).

وكذلك فإن فنسنك في معرض رده على آراء كل من شبرنجر ونولدكة Sprenger وNoldeke القائلة: إن القبائل

يرى سارجنت أن صحيفة المدينة تتألف من ثماني معاهدات منفصلة يعود أقدمها إلى السنة الأولى من الهجرة، وأخرها أضيف في السنة السابعة من الهجرة، ولم يقدم دليلاً مقنعًا يبرهن على صحة قوله

اليهودية الثلاث لم تكن ضمن الأمة التي تضمنتها المعاهدة، يؤكد أن تلك القبائل كانت طرفًا في المعاهدة، وجزءًا من «الأمة»، ثم يستطرد قائلاً: «لو كان الأمر غير ذلك لم يكن هناك حاجة لهذه الروايات التي تدافع عن تدابير محمد الأخيرة ضد اليهود»(١٧). ولا شك أن هذه الحجة لها نصيبها الكبير من المنطق.

وجاء في إحدى الدراسات الحديثة أن الصحيفة كانت دستورًا شاملاً لسكان المدينة، وأن المقصود بيهود المدينة هم بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة؛ لأن غيرهم من اليهود لم تكن لهم أهمية تذكر في المدينة آنذاك (١٨).

وعلى النقيض من هذه الآراء جميعًا يرى فريق من الدارسين أن كلمة «يهود» في الصحيفة لا تشمل القبائل اليهودية الثلاث المشهورة في يثرب؛ لأن هذه القبائل

حسب رأيهم دخلت في اتفاقات لاحقة ومنفصلة عن صحيفة المدينة (١٩).

أما ما يرجحه الباحث فهو أن صحيفة المدينة، مؤلفة من شقين، ومن المحتمل كذلك أن كلا الشقين كتبا بعد بدر، وأن الشق الأول كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، إذ إن بيعة العقبة الأخيرة، التي ربما كانت مدونة، وما تضمنته من شروط، إضافة إلى مبدأ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، الذي أقره الرسول صلى الله عليه وسلم عند مقدمه المدينة قد ألغيا الحاجة إلى كتابة وثيقة جديدة حتى حدثت معركة بدر (٢٠).

ومما يرجح صحة احتمال كتابة الصحيفة المتعلقة بالمسلمين، مهاجرين وأنصارًا، بعد بدر هو أننا لا نلاحظ أي إشارة إلى صحيفة المدينة في أثناء المشاورات التي دارت بين المسلمين، عشية الاستعداد لمعركة بدر (٢١).

إضافة إلى ما سبق فإن من الملاحظ كذلك أن الغزوات والسرايا التي حدثت قبل بدر لم يشترك فيها أحد من الأنصار (٢٢)، لذلك فلو أن صحيفة المدينة كانت مكتوبة حال وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لأصبح منتظرًا من الأنصار الإسهام في كل الأنشطة العسكرية، التي سبقت بدر.

وقد ذكر بعض المؤرخين مثل: ابن إسحاق، والواقدي، والطبري، العلة في عدم اشتراك الأنصار مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الأعمال العسكرية، التي سبقت بدر بقولهم: «فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليه أن يسير بهم إلى عدو من خارج بلادهم» (٢٣).

وهكذا فقد تبين للمسلمين - بعد يوم بدر - أن الأحداث قد تجاوزت بيعة العقبة، وأن الأنصار أصبحوا - منذ الآن - طرفًا في النزاع المسلح ضد قريش، لذلك كله كان لا بد من كتابة معاهدة جديدة تنظم العلاقة بين أطراف مجتمع المسلمين بالمدينة، مهاجرين وأنصارًا، لذلك فقد ذكر ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حالف بين المهاجرين والأنصار في دار أنس (٢٤).

والإشارة إلى دار أنس - هنا - ربما يقصد منها تحديد المكان والموضع الذي كتب فيه الجزء الأول من صحيفة المدينة الخاصة بتنظيم العلاقة بين المسلمين.

أما اليهود فتذكر لنا أخبار السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا أول مقدمه المدينة يهودها إلى

من خلال الصيغ المختلفة للرواية ربما كانت في الأصل واحدة، يستطيع الباحث استنتاج أن المقصود بالصحيفة أو الكتاب، هو المعاهدة الشاملة مع اليهود، وليس من المستبعد أن المقصود باليهود - هنا - عموم يهود المدينة من دون استثناء





الإسلام فلم يستجب له إلا قليل منهم. ومن ثم وادعهم كما سبقت الإشارة من قبل.

وليس من المستبعد أن موادعة النبي صلى الله عليه وسلم اليهود كانت وقتية، وربما كانت عبارة عن اتفاقات منفردة مع القبائل الثلاث: (قينقاع، والنضير، وقريظة)، إذ كان من المتعذر جمعهم في صحيفة واحدة، بسبب ولاءاتهم المختلفة بين الأوس والخزرج، زد على ذلك أن ذكرى يوم بعاث كانت لا تزال حية في النفوس (٣٥).

ولهذه الأسباب، فمن المحتمل جدًا، أن القبائل اليهودية الكبرى - خصوصًا قريظة، والنضير - لم تنضم إلى صحيفة المدينة إلا بعد بدر. وبعد كتابة الجزء الأول من الصحيفة الخاصة بالمسلمين، الذي ورد في أحد مواده دعوة مفتوحة إلى اليهود للانضمام إلى أهل الصحيفة، إذ جاء في المادة السادسة عشرة منه قوله: «وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم» (٣٦).

ولا بد أن انتصار المسلمين على قريش يوم بدر قد أدى إلى اختلال موازين القوى في الحجاز - على الأقل - حيث تغير لمصلحة المسلمين وهذا ما أفقد اليهود ثقتهم بالتعويل على مكة المكرمة في نزاعهم مع النبي

صلى الله عليه وسلم، ولابد كذلك أنه كان للأوس والخزرج - حلفاء اليهود - دور فعال في التأثير فيهم؛ ليصبحوا طرفًا في صحيفة المدينة.

أما متى - على وجه التحديد - أصبح يهود قريظة، والنضير، وغيرهم من الجماعات اليهودية، طرفًا في صحيفة المدينة فهو أمر يصعب الجزم به، ولكن ليس من المستبعد أن ذلك حدث فيما بين بدر وأحد.

وربما يجوز للباحث أن يفترض أن مقتل كعب بن الأشرف كان الوقت المناسب الذي كتبت فيه المعاهدة بين المسلمين واليهود، أو الجزء الثاني من صحيفة المدينة على وجه الدقة، وبذلك أصبح يهود المدينة - عمومًا - طرفًا في صحيفة المدينة. فقد ذكر لنا الواقدي: أنه في صبيحة اليوم الذي اغتيل فيه كعب ابن الأشرف فزعت اليهود، ومن معها من المشركين، فجاؤوا الرسول صلى الله عليه وسلم حين أصبحوا فقالوا (٢٧): «قد طرق صاحبنا الليلة، وهو سيد من ساداتنا... إلخ ثم دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن يكتب بينه وبينهم كتابًا ينتهون إلى ما فيه، فكتبوا بينهم وبينه كتابًا تحت العذق (٢٨) في دار رملة بنت الحارث (٢٩).

وذكر أبو داود خبر مقتل كعب بن الأشرف، فقال: «فكتب النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم - أي اليهود - وبين المسلمين عامة صحيفة (٣٠). وعقب ابن شبة على مقتل كعب بقوله: «ودعاهم - أي الرسول - إلى أن يكتب بينه وبينهم صحيفة فيها جماع أمر الناس، فكتبها الرسول صلى الله عليه وسلم(٣١)».

أجمالاً يمكن القول: إنه من خلال هذه الصيغ المختلفة للرواية ربما كانت في الأصل واحدة، يستطيع الباحث استنتاج أن المقصود بالصحيفة أو الكتاب، هو المعاهدة الشاملة مع اليهود، وليس من المستبعد أن المقصود باليهود - هنا - عموم يهود المدينة من دون استثناء، إذ إن الروايات السابقة لم تذكر جماعة بعينها. بل يمكن التوسع في التفاصيل أكثر من ذلك، فنقول: إن المعاهدة - أو الصحيفة المتعلقة باليهود - كتبت في دار رملة بنت الحارث، وأنها كتبت في شهر ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة، وذلك بعد مقتل كعب بن الأشرف مباشرة، وبعد مضي سبعة أشهر على معركة بدر (٣٢)، وإجلاء بني قينقاع.

وأخيرًا فإنه يمكن الزعم أن القراءة المتأنية لصحيفة المدينة قد تسمح للباحث ببعض الاستنتاجات التي من أهمها الآتي:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم، حال وصوله المدينة،

ذكر الواقدي في إحدى رواياته أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة صالح بني قريظة وبني النضير ومن بالمدينة من اليهود، أن لا يكونوا معه ولا عليه. ويقال: صالحهم على أن ينصروه من دهمه منهم، ويقيموا على معاقلهم الأولى التي بين الأوس والخزرج

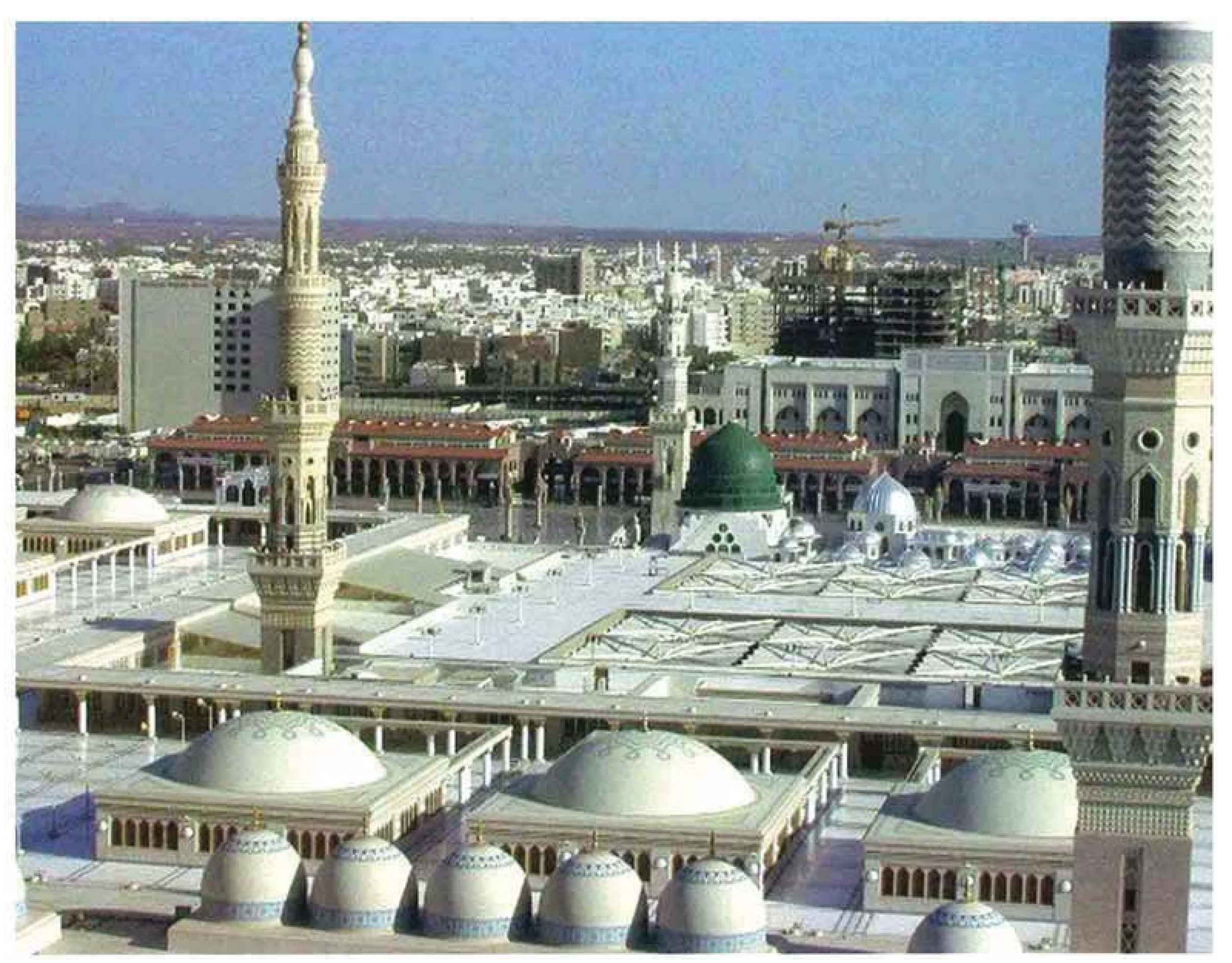
تبين للمسلمين - بعد يوم بدر - أن الأحداث قد تجاوزت بيعة العقبة، وأن الأنصار أصبحوا طرفًا في النزاع المسلح ضد قريش. لذلك كله كان لا بد من كتابة معاهدة جديدة تنظم العلاقة بين أطراف مجتمع المسلمين بالمدينة، مهاجرين وأنصارًا

جانب من المسجد النبوي

أبرم بعض الاتفاقات المؤقتة مع بعض القبائل اليهودية الرئيسة، المتضمنة في جوهرها، التعايش السلمي بين الطرفين، والدفاع المشترك عن المدينة.

- أنه - بعد وقعة بدر مباشرة - كتب الجزء الأول من صحيفة المدينة الخاص بالمسلمين مهاجرين وأنصارًا. وربما أصبح هذا الجزء من الصحيفة بديلاً عن اتفاق بيعة العقبة، الذي تجاوزته الأحداث.

- أن الجزء الثاني من صحيفة المدينة الخاص بالعلاقة بين المسلمين واليهود لم يكتب - ربما - إلا بعد مقتل كعب بن الأشرف؛ وذلك بعد معركة بدر بسبعة أشهر، وأن هذا الجزء من الصحيفة يشمل جميع يهود المدينة بمن فيهم قريظة، والنضير.



منظر عام للمسجد النبوي وتبدو في الخلفية ملامح المدينة المنورة حاليًا

المراجع والهوامش

١- لقد ورد ذكر اسم «الصحيفة» في كل الروايات الواردة عند كل من ابن هشام، وابن سلام، وحميد بن زنجويه، فقد ذكرها ابن هشام في روايته عن ابن إسحاق ست مرات، كما ذكرها ابن زنجويه عن الزهري ست مرات كذلك، أما رواية الزهري عند ابن سلام فذكرت اسم الصحيفة خمس مرات.

٢- أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال، تحقيق محمد عمارة، الطبعة الأولى، بيروت: دار الشرق، ١٤٠٩هـ ص ٢٩١ -٢٩٤.
أورد المؤلف نص الصحيفة كاملاً، وتوج نص الرواية بعنوان من وضعه وليس ضمن رواية ابن شهاب الزهري جاء على هذا النحو:
(هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين وأهل يثرب).
(وموادعته يهودها مقدمه المدينة). وواضح أن عبارة: موادعته يهودها مقدمه المدينة، هي إضافة من لدن أبي عبيد، وليست جزءًا من أصل رواية الزهري.

٣- انظر: عبدالملك بن هشام الحميري، السير النبوية، تحقيق مصطفى السقا وجماعة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د: ت، ٢/١٤٧- ١٥٠.
ويلاحظ أن ابن إسحاق كذلك قدم لنص الصحيفة بالعبارة الآتية:
«وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم» وواضح من هذه العبارة أنها جملة تفسيرية وضعها ابن إسحاق اجتهادًا من عنده، وليست جزءًا من الصحيفة.
راجع المصادر الكثيرة التي تحتوي على بعض مواد الصحيفة عند محمد حميد الله في: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي

والخلافة الراشدة، الطبعة الرابعة، بيروت: دار النفائس، ١٤٠٣هـ، ص ٥٧- ٦٤.

٤- انظر: محمد بن عمر الواقدي، المغازي، تحقيق مارسدن جونز، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ١/١٧٦، و٢/٤٥٤.

٥- انظر: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، (القاهرة: دار المعارف، د: ت)، ٢/٤٧٩، وقارن: الواقدي، المغازي، ١/١٧٦.

٦- انظر مثلاً:

A. Wensinck, Muhammad and the Jews of Medina With an Excursus Muhammad's Constitution of Medina by J. Wellhausen. Translated and Edited by Wolfgang Behn (Berlin, 1975) p.68,134 ; M. Watt, Muhammad at Medina, (Oxford at the Chlarendon Press, 1977) P.225- 228, R. B. Sarjeant "The Constitution of Medina IQ 8 (1964)P. 3- 16; "The Sunnah Jami'ah Pacts With the Yathrib Jews and the Tahrim of Yathrib" Analysis and Translation of the Documents Comprised in the So Called "The Constitution of Medina "BSOAS, XVII, (1978) P. 1- 42, Moshe Gil, The Constitution of Medina IOS4 (1974) P.44- 63

٧- انظر: Wensinck, Muhammad and the Jews, p 71, p 134.

8- Watt, M. Muhammad at Medina, p 227 -228

9- Sarjeant, R. B. "Sunnah Jami'ah " p 5-9

١٠- أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، الطبعة الأولى، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ)، ١/٢٧٦ -٢٧٧.

١١- B. Ahmad, Muhammad and the Jews: A Re- examination (New Delhi, 1979)p. 40

١٢- انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/١٤٧.

١٣- انظر: أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميدالله، الطبعة الثالثة، (القاهرة: دار المعارف، دت)، ١/٣٠٨، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢/٤٧٩.

١٤- الواقدي، المغازي، ١/١٧٦.

١٥- انظر: إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم وجماعة، (القاهرة: دار أم القرى، د ت)، ٢/٣، ص ٢٢٢- ٢٢٣، وأحمد بن علي السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الثالثة، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ١/٢٧٧، وعلي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، (دار المعرفة، دم، دت)، ٢/٢/٢٩١، ٤٧٤ -٤٧٥.

16- Wellhausen, J."Muhammad's Constitution" in A. Wensinck, Muhammad and the Jews ... p. 130

17- Wensinck, Ibid, p69

١٨- صالح موسى درادكة، العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، الطبعة الأولى، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٢٧١.

١٩- انظر على سبيل المثال: محمد حسين هيكل، حياة محمد، (القاهرة، مطبعة دار الكتاب، ١٣٥٤هـ)، ص ٢٢٣، وأحمد إبراهيم الشريف، دولة الرسول في المدينة، (القاهرة دار الفكر العربي، د. ت)، ص ٩٨، وعماد الدين خليل، العلاقات الإسلامية اليهودية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، المورد، مج٣، عدد ٢، ص ٥٣ - ٦٦، راجع ص ٥٥، عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، الطبعة الثانية عشرة، (بيروت، مؤسسة الرسالة ودار النفائس ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ص ٢١٩ - ٢٥٩، وراجع ص ٢٢٥. الواضح أن هذا الجزء من الكتاب هو تكرار حرفي لما نشر في مجلة المورد المشار إليها آنفاً، وبرهان زريق، الصحيفة، ميثاق الرسول ودولة الإسلام في المدينة...، (دمشق، دار النمير ودار معد: دت)، ص ٥٢٩- ٥٣٠.

٢٠- عن بيعة العقبة الأخيرة، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٨١، ٩٠، وقارن: محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، (بيروت، دار صادر، دت)، ١/٢٢١- ٢٢٣، وعن المؤاخاة، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/١٥٠-١٥٢، وقارن ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/٢٣٨ - ٢٣٩.

21- B. Ahmad, Muhammad and the Jews... p35

٢٢- انظر: الغزوات والسرايا التي سبقت بدر عند: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٢٤٣- ٢٥٦، وقارن: الواقدي، المغازي، ١/٩- ١٩.

٢٣- انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/٢٦٦- ٢٦٧، والواقدي، المغازي، ١/٤٨- ٤٩، والطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢/٤٢٥.

٢٤- انظر: ابن سعد، الطبقات.... ١/٢٣٨- ٢٣٩، يلاحظ أن ابن سعد ذكر المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ثم ألحق بها حديث أنس المتصل بالحلف بين المهاجرين والأنصار.

٢٥- بُعاث: بالضم، وآخره ثاء مثلثة: موضع في نواحي المدينة، كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية. انظر: ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر)، د: ت، ١/٤٥١ - ٤٥٢، وقارن: أيام العرب في الجاهلية، تأليف: محمد أحمد جاد المولى وجماعة، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، ص٧٣- ٨٤، (يوم بُعاث).

٢٦- انظر: حميد الله، الوثائق السياسية... ص ٦٠.

٢٧- انظر: الواقدي، المغازي، ١/١٩٢.

٢٨- المراد بالعذق هنا النخلة.

٢٩- رملة بنت الحارث: هي أم ثابت بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث.. بن النجار، أمها كبشة بنت ثابت بن النعمان وزوجها معاذ بن الحارث بن رفاعة. انظر: ابن سعد، الطبقات... ٨/٤٤٦- ٤٤٧.

٣٠- ابو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، (بيروت، دار الجنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)، ٢/١٧٠.

٣١- عمر بن شبة النميري، تاريخ المدينة تحقيق محمد فهيم شلتوت، (دون معلومات نشر)، ٢/٤٦١.

٣٢- انظر الواقدي، المغازي، ١/١٨٤، وقارن ابن سعد، حيث ذكر تاريخ الحادثة وهو الرابع عشر من ربيع الأول، ٢/٣١، ويوجد تضارب في تحديد الوقت الذي قتل فيه كعب بن الأشرف وغزوة ذي أمر، راجع الواقدي، المغازي، ١/١٨٤- ١٩٣، وانظر أيضاً: M.J.Jones, "The Chronology of the Maghazi - A textual Survey" BSOAS, XIX (London 1957) P.262- 264



تـــراث

الغيلان والهواتف.. حلفاء الجن والشياطين

سمير عطا

القاهرة - مصر

الغول والسعلاة والقطرب، والطغموس، والغدّار، والدلهاب، والشّق، وأم الشعور، والمزيرة، والعمّار، والهواتف، والعسبار.. كلها أجناس تخيّلية نسجت حولها - منذ القدم - أساطير وحكايات، وصور، وأشعار تتسم بالهول والرعب، أطلق عليها القزويني وغيره من الأدباء والمؤرخين والشعراء العرب مثل: المسعودي، والجاحظ، وابن الأثير، والزبيدي، والإصطخري، والدميري، وابن وحشية، والأعشى

أطلقوا عليها اسم الأجناس المتشيطنة؛ إما لأنها من نسل الجن والشياطين؛ وإما لأنها تجمع بين الصفتين البشرية والبهيمية (الحيوانية)، وقد دأبت - على مر العصور - على التلذذ بالتهام لحم الإنسان، وخطف أطفاله، وإخضاعه لسحرها، وهي تنتشر، وتعيش، وتقبع في بئر عميقة، أو صحراء مقفرة، أو جبل موحش، أو كهف، أو غابة مظلمة، في انتظار فرائسها؛ إذ تتغلب عليها بالحيلة تارة، أو بالمجابهة المرعبة تارة أخرى.. بدءًا بأصوات خفية تصدر عنها، إلى نيران متقدة تشعلها، أو أجسام شفافة لا يراها أحد.

ولقد ظل سكان الصحراء والغابات والجبال طوال عدة قرون، ولدى كثير من الأمم والشعوب يرجعون هذه الأصوات، وتلك النيران، وغيرها مما يعرض لهم إلى الأشباح والغيلان وغيرها من الأجناس المتشيطنة، من خلال أساطير وحكايات يتناقلونها من جيل إلى آخر.. وإن كان معظم ما ورد من أساطير العرب في ذلك إنما وقع في جاهليتهم، وورد على ألسنة شعرائهم، فتناقلته



العامة، وأضافوا إليها بصفتها حقائق ترتبط بحياتهم ومجتمعاتهم.

وقد كان للعرب قبل الإسلام نيران معينة كثيرًا ما وردت في أشعارهم وآثارهم، ومن أشهرها نار الغول حيث توقد الغيلان النيران بالليل؛ للعبث والتحايل واختلال السابلة. يقول الشاعر أبو المطراب عبيد بن أيوب العنبري في ذلك:

فلله در الغـول اي رفـيـقـة
لصاحب قفر خائف متقتّر (١)

أرنّت بلحن بعـد لحن وأوقـدت
حـواليّ نيـرانًا تلوح وتزهـر (٢)

وعن المسعودي أنه كان للعرب في الغيلان وتغولها أخبار ظريفة، فيزعمون أن الغول يتغوّل لهم في الخلوات، ويظهر لخواصهم في أنواع من الصور، فيخاطبونها، وربما ضيّفوها، وقد أكثروا من ذلك في أشعارهم.. وذلك أنها كانت تتراءى لهم في الليالي، وأوقات الخلوات، فيتوهمون أنها إنسان فيتبعونها، فإذا صيح بها على ما وصفنا شردت عنهم في بطون الأودية ورؤوس الجبال (٣) وفي



الأجناس المتشيطنة تجمع بين الصفتين البشرية والبهيمية

ذلك يقول الشاعر تأبّط شرًا : (٤)

وأدهم قد جبت جلبابه
كما اجتابت الكاعب الخيعلا (٥)

على أثر نار ينور بها
فبتّ لها مدبرًا مقبلا

فأصبحت والغول لي جارة
فيا جارتي أنت ما أهولا

وطالبتها بضعها فالتوت
بوجه تغوّل فاستغولا

فمن كان يسأل عن جارتي
فإن لها باللّوى منزلا

ويقول في قصيدة أخرى:

ألا من مخبر فتيان فهم
بما لاقيت عند رحا بطان

بأني قد لقيت الغول تهوي
بشهب كالصحيفة صحصحان

كان للعرب قبل الإسلام نيران معينة كثيرًا ما وردت في أشعارهم وآثارهم. ومن أشهرها نار الغول حيث توقد الغيلان النيران بالليل: للعبث والتحايل واختلال السابلة

فقلت لها كلانا نضو أرض
أخو سفر فخلّي لي مكاني
فشدّت شدّة نحوي فأهوت
لها كفي بمصقول يماني
فأضربها بلا دهش فخرّت
صريعًا لليدين وللجران
فقالت عد فقلت لها رويدًا
مكانك إنني ثبت الجنان

والبيت الأخير يشير إلى معنى خاص عند عرب الجاهلية، فقد كان الأعراب يزعمون أن الغول إذا ضربت ماتت إلا أن يعيد عليها الضارب قبل أن تقضي ضربة أخرى، فإنه إن فعل ذلك لم تمت، بل عادت إلى الحياة، وفي ذلك ما فيه من الخطر عليه (٦). ويدعي الشاعر أبو المطراب العنبري أنه تآكل مع الغول وأشباهها في قوله:

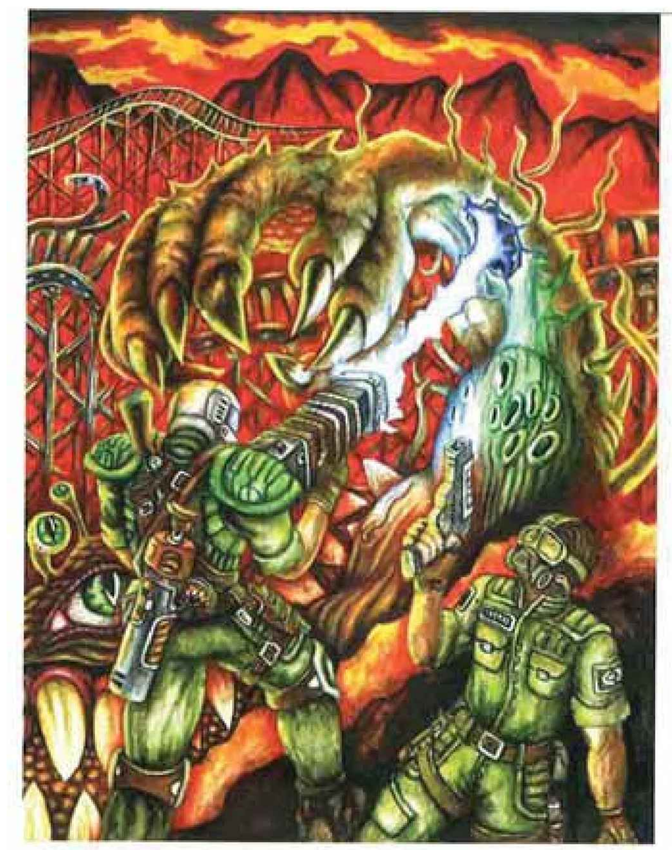
وحالفت الوحوش وحالفتني
بقرب عهودهن وبالبعاد
وغولا قفرة ذكر وأنثى
كأن عليهما قطع البجاد (٧)

وقالوا: إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد شاهد الغول في بعض أسفاره إلى الشام، وأن الغول كانت تغوّل له، وأنه ضربها بسيفه؛ وذلك قبل ظهور الإسلام (٨).

معنى الغول وصفته

الغول، بالضم، واحد الغيلان، وهو في مجرى الاستعمال اللغوي عند العرب الداهية (٩)، ومنه غوائل الدهر، ويستعار به في وصف الحرب:

والحرب غول أو كشبه الغول
تزفّ بالرايات والطبول
تقلب للأوتار والذحول
حملاق عين ليس بالمكحول (١٠)



التخيلات الغولية ظاهرة عالمية لا تنتهي

وكل ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول، ويقال: غالته غول إذا وقع في مهلكة.. وقيل في الغضب: إنه غول الحلم (١١).

والتغوّل التلوّن.. وقيل في الغول: إنه اسم لكل شيء من الجن يعرض للسّفار، ويتلون في ضروب الصور والثياب، ذكرًا كان أو أنثى، إلا أن أكثر الكلام على أنه أنثى. والشاعر كعب بن زهير يشبه المرأة في تقلبها وتلوّنها بالغول في قوله:

فما تدوم على حال تكون بها
كما تلوّن في أثوابها الغول (١٢)

ويقول الجاحظ: إن العامة يزعمون أن الله تعالى قد ملّك الجن والشياطين والعمّار والغيلان أن يتحولوا في

أي صورة شاؤوا إلا الغول فإنها تتحوّل في جميع الصور ومنها صورة المرأة الجميلة ولباسها إلا رجلها فلا بد أن تكون رجلي حمار، أو عنزة..

ويصف لنا المؤرخ أبو الحسن علي بن الأثير الغول بأنها متوسطة الخلق، بين الجان والحيوان والإنسان، وقد تظهر في صورة أي حيوان أرادت، وتتكلم بكلام آدمي، وتفترس كما يفترس السبع. ويضيف الجاحظ أنها مخلوق مباين للإنس، فعيناها مشقوقتان بالطول لا بالعرض، إذا حدقت في إنسان خرج منها الشرر، أما رجلاها فرجلي حمار، وقد تتصور للسابلة إذا توحّدوا في الفيافي والقفار في أحسن صورة فتستهويهم، وتقتلهم.. وقد توقد لهم نارًا بالليل للعبث بهم، وهي التي يسمونها نار الغيلان والسعالي(١٣).

أما القزويني فيقول: إنها حيوان شاذ مشوه، لم تحكمه الطبيعة، وإنه لما خرج مفردًا لم يستأنس، وتوحّش، وطلب القفار، وهو يناسب الخلوات، فيتوهمون أنه إنسان فيصد المسافر عن الطريق(١٤). ويردد المسعودي التصور نفسه فيقول: إن الغول - على زعم بعض المتفلسفين - حيوان شاذ من جنس الحيوان لم تحكمه الطبيعة، ولما توحّش من مسكنه طلب القفار، وهو يناسب الإنسان والحيوان البهيمي في الشكل.

ويحكى ابن وحشية أن الغول لها رائحة يشمها الوحش من بعد، فيحترس منها ويهرب بعيدًا عنها.. ولكن في أرض إفريقية توجد شجرة اسمها (الأبهل) رائحتها تفوق رائحة الغول، فتأوي إليها في انتظار فريستها سواء كانت حيوانًا أو إنسانًا، وتقفز عليها، وتفترسها.

ثم يصف لنا أسلوب معيشة الغول، وعاداتها الغذائية العجيبة، فيقول: إنها حيوان لا يظهر بالنهار، ولا يمكنها رؤية الشمس، ولا ضوءها، ولها سراديب تحت الأرض تأوي إليها نهارًا، وتخرج لمعيشتها ليلاً، وإحدى رجليها شبيهة برجل آدمي، والأخرى شبيهة برجل عنزة، أو برجل حمار ذات حافر مجوّف.. وإذا صادت أي حيوان أكلت أمعاءه قبل لحمه، ثم تأكل من لحمه، وقد تتركه، أما إذا صادت الغول آدميًا فهي تلعب به حتى يموت، ثم تأكل بطنه، ثم تتركه أيامًا وأيامًا في جحرها.. وعندما يفسد، ويتجفف تمامًا، ويكاد الدود يموت بعد أكل لحمه.. حينئذ فقط تأكله الغول؛ لأنها تتلذذ بأكل اللحم جافًا أكثر من التلذذ بأكله طريًا.

الجن والهواتف وأشباه الغول

وعلى رأسهم السعلاة.. واستعلت المرأة، أي: صارت سعلاة، قال الشاعر:

لقد رأيت عجبًا منذ أمسا
عجائزًا مثل السعالي خمسا
يأكلن ما أصنع همسًا همسا
لا ترك الله لهن ضرسا

ويقولون: إن السعالي ما يتراءى للناس من المتشيطنة نهارًا، والغول ما يتراءى لهم بالليل.. وأكثر ما توجد السعلاة في الفياض، وهي إذا ظفرت بإنسان ترقصه، وتلعب به، كما يلعب القط بالفار. وهي تستوي مع الغول عند معظم اللغويين، لكن القزويني، والجاحظ، يفرقان بينهما. يقول الجاحظ: إن السعلاة هي الواحدة من نساء

> أرجع الفكر الأسطوري أصل الغول وأشباهه من المتشيطنة إلى أصل إنساني - بهيمي مشترك. فضلاً عن ارتباط الجن بالإنس فيما تخيّل رواة الحكايات والأقاصيص، عما يعرض لهم، أو يتخيلونه من صور المتشيطنة وأفعالهم ببني البشر

الجن.. قال أبو مطراب العنبري:

وساخرة منّي، ولو ان عينها
رات ما رات عيني من الهول جنّتِ
ابيت بسعلاة وغول بقفرة
إذا الليل وارى الجن فيه أرنّتِ

ووصفها بعضهم فقال:

وحافر العنز في ساق مدملجة
وجفن عين خلاف الإنس بالطول (١٥)

وفي العراق يعتقد أن السعلاة من بنات البحر، ولها شعر طويل أخضر اللون، وتغشى نهر دجلة، وتشاهد - أحيانًا - وهي تضفر جديلتها (١٦).

وعلى الرغم من توحّش السعلاة فإنها إذا قابلت ذئبًا بالليل هجم الذئب عليها ليأكلها فترفع صوتها، وتقول: أدركوني فإن الذئب قد أكلني.. وربما تقول: من يخلصني ومعي ألف دينار يأخذها.. والقوم يعرفون أنه كلام السعلاة فلا يخلصها أحد، فيأكلها الذئب (١٧). وهناك من يتولد من السعلاة والإنسان كعمرو بن يربوع من بني تميم - من رواية لأبي زيد النحوي - فقال فيه الشاعر:

يا قبّح الله بني السعلاة
عمرو بن يربوع شرار النّات

وهنا قلب الشاعر السّين تاء فاصبحت (نات) بدلاً من (ناس)، وهي لغة لبعض العرب.. وكان أهله يرون أنها خير امرأة ما لم تر برقًا، وطلبوه أن يستر بيته، ثم إنها أقامت في بني تميم، وولدت فيهم، لكنها عندما رأت برقًا يلمع من شق بلاد السعالي حنت، وطارت إليهم (١٨). ومن باب المفارقة يستخدم لفظ السعلاة كصفة ومثال للمرأة على وجه المجاز، إذا كانت حديدة الطرف والذهن، سريعة الحركة، ممشوقة القوام، ومنه قول الأعشى:

ورجال قتلى بجنبي أريكٍ
ونساء كأنهن السعالي

وشبيه بالسعلاة.. أم الشمور، أو المزيرة، وهي عفريتة تظهر على شكل امرأة تلبس لباسًا أبيض (١٩). والشق وهو شق إنسان: أي: نصف آدمي مشقوق بالطول، وهو من الجن، كما كانت العرب تقول قبل الإسلام، وأنه كان يظهر لهم في أسفارهم، وحين خلواتهم (٢٠).

وذكروا عن علقمة بن صفوان بن أمية بن حرب الكناني؛ جدّ مروان بن الحكم لأمه، أنه خرج في بعض الليالي يريد مالاً له بمكة، فإذا هو بشقّ قد ظهر له، فقال شقّ:

علقم إني مقتول
وإن لحمي مأكول
أضربهم بالسلول
ضرب غلام شمول
رحب الذراع بهلول

فقال علقم:

شق مالي ومالك
اغمد عنّي كنصلك
تقتل من لا يقتلك؟

فقال شق:

علقم، غنيت لك،
كيما أبيح مقتلك
فاصبر لما قد حم لك

من المفارقات أن الجاحظ وهو من هو في تاريخ الأدب والفكر العربي، نجده يضم في موسوعته الكبرى عن الحيوان أكثر ما نسب إلى الغول والسعلاة وغيرها، لكنه يضمنها في باب تزيّد التزيّد والكذب في أخبار الغول، ويحذّر من التأثر بها حتى لا يغلط فيه العاقل

ضرب كل منهما صاحبه فخرًا ميتين.. ومشهور عندهم أن علقمة بن صفوان قتله الجن.. وممن قتله الجن مرداس بن أبي عامر السّلمي، ومنهم الغريض المغني بعد أن ظهر غناؤه، وحمل عنه، وقد كانت الجن نهته أن يغني بأبيات من الشعر، فغناها، فقتلته.

ومن المتشيطنة - أيضًا - القطرب وجمعه قطارب. يقول ابن سيده: القطرب والقطروب هو الذكر من السعالي.. وقيل: إنه دويبّة من صغار الجن، لا تستريح تجول الليل كله لا تنام، فقالوا: أجول من قطرب، وأسهر من قطرب (٢١). وقيل: إنه يكون بالصعيد من أرض مصر، يظهر للمنفرد من الناس فربما صده عن نفسه إذا كان شجاعًا، أو يتمكن منه القطرب فيصيبه (٢٢) . ومنهم الدلهاب ويوجد في جزائر البحار على صورة إنسان يركب نعامة. ويتغذى بلحم البشر، الذين يقذفهم البحر (٢٣). فأما الهواتف فقد كانت كثرت في العرب، واتصلت بديارهم، وكان أكثرها أيام مولد النبي صلى الله عليه وسلم. ومن حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع، وجسم غير مرئي (٢٤).

حكايات الغيلان تثير الرعب في النفوس



الغيلان في ألف ليلة وليلة وكتب السير العربية

وتتميز صفة الغيلان والمتشيطنة في حكايات ألف ليلة وليلة بصفات خاصة، حيث نجدها قد نحت إلى جانب التطرف الشديد والمبالغة، فنحن نراها في صورة بشرية غالبًا، مع أصلها البهيمي.. وهي - دائمًا - ذات قوة مفرطة، تأكل اللحم البشري، وتتكلم بلسانهم.. ومن ذلك ما نراه في حكايات السندباد البحري، وقصة عجيب وغريب في ألف ليلة، ومغامرات الملك سيف بن ذي يزن مع الغيلان في سيرته.



غول السندباد

ففي السفرة الثالثة للسندباد نجده - كالعادة - يهبط هو ورفاقه من البحارة والتجار في جزيرة مجهولة، بعد ان تحطم مركبهم. وفي هذه الجزيرة بان لهم بيت من بعد، فقصدوا إليه، ورأوا أمامهم قصرًا عالي البنيان، له بابان عظيمان من الأبنوس، فدفعوا الباب، ودخلوا فإذا هم في باحة كبرى، يتصدرها إيوان رفيع وبجانبه آثار نار وسفافيد وعظام كثيرة.. ولم يكن في المنظر ما ينزل الطمأنينة بقلوبهم خصوصًا وقد توهّج، واحمرّ إذ مالت الشمس إلى المغيب، وزلزلت الأرض تحت وقع خطوات عملاق أسود، عيناه تلمعان كالجمر، وأنيابه بارزة من فم كبير كفم البعير، شفته السفلى مدلاة على صدره، وآذانه كآذان الفيلة منبسطة على أكتافه، أظفاره طويلة كأظلاف الوحوش..

فترامى الناس بعضهم على بعض رعبًا، والعملاق يتقدم بخطوات وئيدة إلى الإيوان، حتى جلس عليه، ومدّ يده إلى السندباد، فحمله قبالة وجهه، وجعل يقلبه كالدجاجة، ثم ألقاه من يده، وأخذ يتحسس من بين ركب السفينة أعظمهم لحمًا، حتى وقع على الربان، وكان سمينًا عريض الأكتاف فأعجبه.. وأخذ سفّودًا حديديًا فأدخله في حلقه، حتى خرج من الجانب الآخر.. وأوقد نارًا ركب عليها السفّود، وجعل يدير الربان على الجمر الموقد، حتى نضج لحمه، واستوى شيًا، فأخرجه وأخذ يفسخ في عضلاته، ويفصّص في مفاصله، ويتبلع بلحمه، ويمصمص في عظمه، حتى تركه هيكلاً متناثرًا، ألقى به إلى جانب العظام الأخرى المبعثرة فوق الإيوان، ونام وهو يشخر شخيرًا هائلاً.. فصح عزم السندباد وأصحابه على إلقاء انفسهم في البحر تخلصًا من الموتة الشنعاء إن

لم يجدوا سبيلاً إلى قتل العملاق.

ونصح السندباد بأن يصنعوا أولاً كلاكات تحملهم في البحر، يمدونها ببعض الزاد والماء، فإذا نجحوا في قتل الغول أقاموا بالجزيرة، وإذا أخفقوا وجدوا في الكلاكات أطوافًا يتركونها للبحر والريح حتى يقيض لهم الحظ سفينة تنتشلهم.

فلما انتهوا من بناء الكلاكات - والغول يلتهم منهم واحدًا في كل ليلية - جاؤوا ببعض السفافيد ووضعوها في النار حتى احمرّت، فلما نام قاموا إليه، وأدخلوا السفافيد حامية في عينيه، واتكؤوا عليها يدفعونها إلى أعماق محاجره دفعًا، فقام العملاق يصيح صياحًا عظيمًا، ويخبط ويتخبط باحثًا عن الرجال، وهم يتهاربون منه يمنة ويسرة، ولما ظن أنهم خرجوا من القصر تحسس سبيله إلى بابه وهم يتبعونه ثم تسللوا إلى ناحية الشاطئ، وصعدوا إلى كلاكاتهم.. وإذا العملاق يتجه ناحيتهم تقوده أنثاه، ومعه عمالقة آخرون، فدفعوا بالأطواف إلى البحر، والعمالقة ترجمهم بحجارة كبار حتى غرقت جميع الكلاكات إلا كلك السندباد، ومعه رجلان، وقد أسرعوا فابتعدوا عن الجزيرة لتبدأ مغامرة أخرى للسندباد ورفاقه (٢٥).

ولا يزال في الصومال من يعتقد أنه كان يوجد أناس من الجبابرة، أو الغيلان يطلقون عليهم اسم متهانلى، كانوا يعيشون في المنطقة الواقعة بين نهري تانا وجوبا، وكان لهم مزارع وأبقار وجمال وأغنام، وهم من السحرة، الذين لم يهزموا في المعارك لكن الله أهلكهم



سعدان الغول

وهو من أولاد حام، وابوه هندي الذي عمّر الهند، وسمّي به، وقد خلفه وسمّاه سعدان الغول. - وهو جبار عنيد، وشيطان مريد، ما له مأكول إلا ابن آدم، فنهاه أبوه قبل موته عن ذلك، فما انتهى، وزاد في الطغيان، فطرده أبوه بعد ذلك، ونفاه من بلاد الهند بعد حرب وتعب عظيمين، فجاء إلى وادي الأزهار، وتحصّن بقلعته، وصار يقطع الطرق على الرائح والجائي ويرجع إلى مسكنه. وقد رزق بخمسة أولاد غلاظ شداد، وجمع أموالاً وغنائم وخيلاً وجمالاً وبقرًا وغنمًا قد سدت الوادي. وكان سعدان إذا خرج إلى القتال يبرز وعلى كتفيه شجرة هائلة، ويصيح: أنا سعدان الغول.. هل من مناجز؟ لا يأتيني كسلان ولا



للغيلان وجودها في العقل الأوربي

عاجز. ثم يصيح على أولاده: يا ويلكم ائتوني بالحطب والنار؛ لأنني جائع (٢٦)، فيجمعون الحطب، ويشعلون النار في وسط الميدان، وحينما يبرز له رجل، أو عملاق يضربه سعدان بالشجرة فيقضي عليه، وعندئذ يصيح على عبيده وأولاده بأن يسحبوه ويشووه سريعًا فيسرع الجميع ويسلخونه ويشوونه، ثم يقدمونه لسعدان الغول، فيأكله، ويمرمش عظامه (٢٧).

وبعد أن تستطرد القصة في وصف سعدان بأنه أسود طويل، طوله سبعون ذراعًا، وأنه قد اتخذ من قصر حايم بن شيث بن شداد بن عاد حصنًا له، تقول: إن سعدان حينما عثر عليه غريب ابن الملك كندمر - وهو بطل القصة - كان سعدان يحتفظ في قصره بالأميرة فخر تاج بنت ملك مدينة إسبانير، من بلاد العجم، والمدعو مرداس، وأن غريبًا قد خلصها من بين براثن سعدان، وتزوجها، وجعل سعدان من اتباعه، وعرض عليه أن يدخل في ملة إبراهيم الخليل، فأطاعه هو وأبناؤه. وحينما خرج غريب بعد ذلك للانتقام من عجيب الذي قتل أباه وأمه، اصطحب معه سعدان الغول، وفي طريقهم اشتبكوا مع ملك بابل المسمى جمك، ودعوه إلى الدخول في ملة إبراهيم الخليل، غير أن جمك رفض، فقاتلوه، وتغلبوا عليه.. وهكذا أصبح سعدان الغول - بعد أن اعتنق

ملة إبراهيم الخليل - من الدعاة إليها رغم استمراره على التهام اللحم البشري.

غول الملك سيف: (٢٨)

وتقول القصة: إن الملك سيفًا عندما وصل إلى وادي الغيلان قصد شجرة عالية خوفًا من أن يداهمه أحد الغيلان.. وبينما هو كذلك إذ أقبل نحو الشجرة شيخ، فتأمله سيف فإذا هو شنيع الخلقة، له وجه مدور كدائرة الترس، وأما حنكه وأنفه فهما في وجهه قدر حنك الجاموس وأنفه، وله أنياب كأنها كلاليب، وأذناه كبيرتان كأنها المطارح، وله أظافر كأنها الخناجر، وعلى بدنه شعر مثل شوك القنفذ، وعيناه مشقوقتان حمراوان كأنهما النيران، وهو كريه الرائحة والمنظر، ووجهه يتوهج من الشرر. فلما رآه الملك سيف على هذه الحال استعاذ بالله، وتوسل بسيدنا إبراهيم، وكان هذا الشيخ من غيلان الوادي، شم رائحة سيف، فقصده يريد افتراسه.. ظل الغول واقفًا تحت الشجرة مدة، ثم انصرف، وعاد ومعه جماعة، وأحاطوا بالشجرة من كل جانب، ونظر بعضهم إلى بعض، وتكلموا بكلام غريب، لا يفهمه عاقل ولا لبيب، وبعد ذلك انصرفوا إلى حال سبيلهم، وعادوا مرة ثانية ومعهم عجوز شمطاء بشعر ابيض مثل اللبن، وبدنها كالقطن المندوف. وحين وصلت إلى تلك الشجرة نظرت إلى الملك سيف وهو فوقها، وتأملته، وحققته، والتفتت إلى قومها، وكلمتهم بلسانهم فامتثلوا لأمرها، ومضوا إلى حال سبيلهم.

وجلست هي تحت الشجرة، وبقي الملك سيف فوقها قاعدًا، ينظر إليها إلى آخر النهار.. فأشارت إليه بيدها أن ينزل عندها، فقال لها: أنا ما يمكنني النزول فإن الذي ينزل عند الغول يكون هالكًا، إما مقتولاً، وإما مأكولاً. فضحكت الغولة، ونطقت له بلسان عربي فصيح، وقالت له: انزل يا ملك سيف، ولا تخف من الغيلان، فأنا كبيرتهم، وأنا أحميك منهم؛ لأني الحاكمة عليهم، ولك مني الأمان، ومن جميع الغيلان. فاطمأن الملك سيف إليها، ولكنه ظل مترددًا، فادركت ذلك، وقالت له: لا تخف فإنّي قاعدة لك في الانتظار، وبينت له أن الشجرة لا تحميه.

نزل الملك سيف من الشجرة، وسار خلفها حتى انتهت إلى مغارة، ودخلت فيها، وطلبت منه الدخول، وقالت له: لا شك أنك جوعان.. وخرجت لتعود إليه بغزالة ميتة فأخبرها أنه لا يجوز أكل الجيفة، فقامت إلى شجرة نبق، وهزتها حتى رمت طرحها، وجمعته، وحملته إليه.

ملكة الغيلان

سألها الملك سيف عن سر معرفتها كلام بني آدم، وسبب معرفتها له، ومن أين جاءت هذه الغيلان؟. قالت له: يا سيدي، أما الغيلان فإن لها سببًا عجيبًا، ذلك أن أبانا كان حكيمًا من حكماء الزمان، وكان صاحب فهم وإدراك.. وكانت مدينته تسمى الصخر الأسود، وكان أبي حاكمًا وملكًا عليها، ورعاياه كلهم أقارب وأولاد عم،

كان أهل أوربا - حتى القرن التاسع عشر - يؤمنون بالسحر والغيلان وتحول الإنسان - والمرأة خصوصًا - إلى حيوان بعد دهن كل الجسم بدهان سحري. كما يعتقدون في الهواتف الشفافة (غير المرئية) التي لا يظهر منها إلا هيكلها العظمي، ويكون أخضر

فوقع بينهم كلام وخصام، وارادوا ان يتكبروا عليه، وصاروا يقطعون الطرقات ويخوفون السبل، فبلغه ذلك فقبض على جماعة منهم فتعصبوا عليه جميعًا، وارادوا هلاكه، فلما رأى نفسه غير قادر عليهم، وأنهم لا يوقرونه، ولا يبقون عليه رحل هو وزوجته وجماعة من عشيرته، وسار إلى ان وصل إلى هذه الأرض، وعمرها وبنى فيها أمكنة، وسكن هو واهله.

وفي بعض الأيام؛ ولأجل تمام الأحكام انشأ أبونا بستانًا في هذا المكان، وغرس فيه فواكه من سائر الألوان، وكانت زوجته تأتي في كل يوم إلى ذلك البستان، وتنام فيه من شدة ما بها، وفي يوم من الأيام كانت في البستان بمفردها ساعة الظهر، فاتفق أن ذئبًا دخل البستان، فنظر إليها وهي نائمة، فتقدم إليها، وعاشرها، ولم تقدر أن تتحرك خوفًا من الذئب أن يهلكها، وحملت منه بإرادة باسط الأرض، ورافع السموات، وكملت أوقات حملها فوضعت اثنين: ذكرًا وأنثى على تلك الصفة التي تراها من شناعة الخلقة، وكراهة الرائحة.

فلما نظر أبي إلى ذلك أراد قتلهما، وهو حكيم، فضرب تحت الرمل ليكشف خبرهما فرأى ذلك الوادي موعودًا بهم، ويسمى باسمهم وادي الغيلان، وأنهم يخلفونه فيه، وتكثر ذريتهم، وينمون فيه إلى ان يمتلئ بهم الوادي، ويكون هلاكهم على يد شخص يقال له الملك سيف بن ذي يزن يأتي إلى الوادي، وكان أبي جعلني وكيلاً عليهم، وأوصاني بحمايتك ومساعدتك، ولقد مات أبي من سنين وأعوام، واقمت أنا في انتظارك(٢٩).

نصف المأثورات اليهودية الغيلان بأنها تتغذى على الدم البشري.. وتشير كثير من الأساطير الأوربية إلى أنها جنس من الساحرات ومصاصي الدماء، الذين يمتصون الدم من الأحياء، كما يبقرون أجساد الموتى لاستخلاص القلوب وأكلها

أصل الغول

هكذا تصور سيرة سيف بن ذي يزن في هذه القصة أصل الغيلان، وترجعه إلى اختلاط الإنسان بالحيوان، وهو ما يتفق مع كثير من الإشارات التي أوردها المؤرخون والشعراء العرب، من أن الغول هو حيوان بين الإنسان والبهيمة.

وفي سيناء ما يشبه هذا التراث عند البدو - حتى اليوم - عن الأصل البهيمي الإنساني للغول، وتقول الأسطورة السينائية: إن بسيناء جبلاً اسمه جبل الغولة، وأنه قد سمي بذلك؛ لأنه نشأ به جنس من الإنسان والبهيمة. وطبقًا لما يرويه البدو أن اعرابيًا دفعه الجوع إلى أن يعقل جمله؛ ليصنع ما يقتات به، وفي أثناء انشغاله بتسوية قرص الخبز وجد أمامه امرأة تنازله، فخاف منها حين رأى قدميها تنتهيان بمخالب لبؤة، فجرى على جمله فلاحقته هي، وامتطت الجمل خلفه، وقادته إلى هذا الجبل، ثم أنزلته، وظلت تلعق أقدامه حتى اقعدته عن المشي، ثم عاشرته معاشرة الأزواج، وأنجبت منه ذرية سميت فيما بعد بذرية الغول، ويقال: إن إحدى الأسر بسيناء ما زالت تحمل هذا الاسم.

وتشير حكايات ألف ليلة، وبعض الأساطير المصرية والسودانية إلى مثل هذه المرأة البهيمية التي تظهر - دائمًا - بصفة جارية، تقف على رأس الطرق؛

لإغراء الرجال واصطيادهم بإثارة الشفقة عليها، وادعاء أنها بنت ملك من الملوك ضل بها الطريق.. ومنها جنس يسمونه النّدّاهة، وهي تغري فرائسها بالهمس والإيحاء بأن يتبعوها، ثم توقع بهم. وانعكس الخوف من النّدّاهة والغولة على بعض التقاليد والعادات المصرية، ومن أبرزها ما يقال عن المرأة السيوية (من سكان واحة سيوة)، وإلى عهد قريب، من أنه إذا مات عنها زوجها حبسوها في غرفة مظلمة، لا يراها أحد إلا خادمة تقدم لها الطعام وما تحتاج إليه، حتى تنقضي عدتها؛ وذلك لأن عينًا أو روحًا شريرة تلبسها في أثناء تلك المدة، فلا تنظر إلى أحد إلا أضرت به، وأول ذلك ابنها الذي تربيه، ويسمونها عندئذ الغولة، وأول شخص تراه عند خروجها من حبسها لا ينجو من الموت، ولذلك يرسلون المرأة إلى عين ماء تغتسل فيها، وفي أثناء اغتسالها ينادي مناد في الأسواق يحذر الناس من الوقوف في طريقها (٢٠).

وكما انتشرت أساطير عروس النيل التي كانت تهدى له كل عام بطريق القرعة، وعروس كريت التي كانت تقدم لحيوان المينوتور، أو الرجل الثور المختفي في قصر اللّابرنت، على عهد الملك مينوس ملك كريت، وعروس التنين التي أنقذها مارجرجس.. فقد كان للغول (وهو هنا ذكر، وليس أنثى) نصيب في هذا التخيّل، تتمثل في قصة الشاطر محمد، التي تقول: إن غولاً كان يظهر مرة كل سنة في إحدى البلدان، فإذا لم يقدم له أهل هذه البلدة عروسًا ليأكلها كلما ظهر لهم، ألحق بهم وببيوتهم الدمار.. فاتفقوا أخيرًا على أن تقدم له كل سنة عروسًا بطريق القرعة.. وفي سنة من السنين أصابت القرعة بنت السلطان فوعد أن من ينقذها من ذلك الغول، ويقتله أن يقبله صهرًا له، فجاء الشاطر محمد، وتغلب على الغول، وقتله بضربة

> من غريب المفارقات أن يتحول لفظ الغول في الآداب الفرنسية: ليعبر عن معنى الغزل بين العشّاق.. فحين يتغزل الرجل في امرأته، أو حبيبته يقول: يا غولتي، أي: يا حبيبتي، وربما كان المعنى أنها قد ملكت عليه كل نفسه، وكأنها التهمته

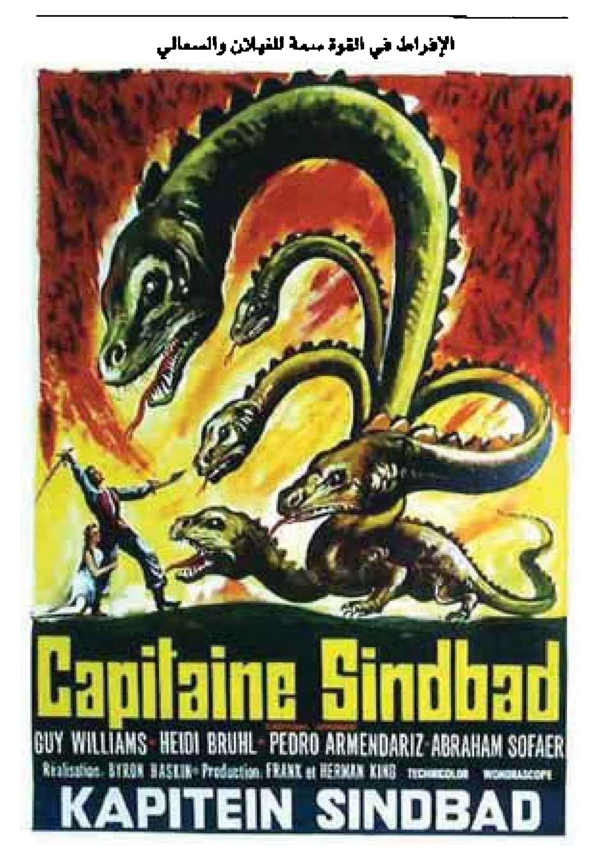
واحدة، وتزوج بنت السلطان.. والشاطر محمد هنا هو ثيسيوس نفسه بطل أسطورة كريت، وغيرها من الأساطير المشابهة.

هكذا ارجع الفكر الأسطوري أصل الغول وأشباهه من المتشيطنة، إلى أصل إنساني - بهيمي مشترك، فضلاً عن ارتباط الجن بالإنس فيما تخيّل رواة الحكايات والأقاصيص، عما يعرض لهم، أو يتخيلونه من صور المتشيطنة، وأفعالهم ببني البشر.. وكانت كلمة الجن عند العرب في الجاهلية تدل في عمومها على جنس يقابل الإنس.. وهو يضم الشياطين والغيلان والسعلاة والشّق، وغيرهم من المتشيطنة في آن واحد.

ولكي يتجنب الإنسان أذى هذه الأجناس

> بينما يكتفي العربي - أسطوريًا - في مواجهته هذه الأجناس المتشيطنة بالتعوذ منها: لاجتناب شرورها، فإن الأوربي اتخذ منها سبيلاً لكل مظاهر الشرّ من إغراق في ادعاءات الخيانة، والسحر، والشعوذة، بما يؤدي إلى القتل والحرق وإهدار حياة الناس

المتشيطنة، فقد نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث تنصح بالأذان عند رؤيتها، وكذلك الاستعاذة منها كما يستعاذ من الشيطان.. فمن حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا تغوّلت لكم الغيلان فنادوا بالأذان، إن الشيطان إذا سمع النداء أدبر، وله حصاص، أي: ضراط، وأورده النسائي في آخر سننه الكبرى بلفظ آخر: عليكم بالدلجة (٣١)فإذا تغولت لكم الغيلان فبادروا بالأذان. ومع ما ورد عن مسلم عن جابر بن عبدالله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:



الإفراط في القوة سمة للغيلان والسعالي

«لا طيرة ولا غول».. فإن النووي في الأذكار، والنسائي في سننه الكبرى، يشيران إلى أن الحديث المنسوب عن أبي هريرة حديث صحيح، وقالوا: ليس المراد من «لا طيرة ولا غول» نفي وجود الغول، وإنما معناه إبطال ما تزعمه العرب من تلوّن الغول بالصور المختلفة، وأن ذلك لا يمس أصل وجودها.

الحيطة والحذر في تناول ما زعم من هذه الأقاويل

ولكن.. مع كل ما حفلت به كتابات الأدباء والمؤرخين والشعراء من صور، وأشكال، وأفعال لأجناس المتشيطنة.. فإنهم - في أغلبهم - لم يأخذوا الأمر حقيقة واقعة، بل شكّكوا فيها إلى حد الإنكار، بما يتسق مع حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (لا طيرة ولا غول) الذي يجمع الرواة على صحته، ويجبّ ما أورده النووي، والنسائي من تفسير للحديث..

فالإصطخري - بعد أن يعرض لبعض هذه الأقاويل منسوبة إلى رواتها - يقول: إنه لا يستسيغ هذه الحكايات (٣٢). ومن المفارقات أن الجاحظ وهو من هو في تاريخ الأدب والفكر العربي، نجده يضم في موسوعته الكبرى عن الحيوان أكثر ما نسب إلى الغول والسعلاة، وغيرهما، لكنه يضمنها في باب تزيّد التزيّد والكذب في أخبار الغول، ويحذّر من التأثر بها حتى لا يغلط فيه العاقل - باب من ادعى من الأعراب والشعراء أنهم يرون الغيلان، ويسمعون عزيف الجن، ويقول: إنه يورد هذه الصور، لا على أنها من الحقائق الموجودة خارج الذهن، وإنما لكونها حقيقة نفسية (٣٣) وكأنه يضمها في كتابه ترويحًا للقارئ من نصب القراءة، وتنشيطًا لهمته، وشحذًا لذهنه على المضي فيها (٣٤).

ويضيف الجاحظ: ولم أعب الرواية، وإنما عبت الإيمان بها، والتوكيد لمعانيها، فما أكثر من يروي هذا

الضرب على التعجب منه! (٣٥) وأما الذين ذكروا في أشعارهم السمّع والعسبار فليس في ظاهر كلامهم دليل على ما ادعى عليهم الناس من هذا التركيب المختلف فأوينا(؟) الذين قالوا، وامسكنا عن الشهادة، إذ لم نجد عليها برهانًا.. وللناس في هذا الضرب ضروب من الدعوى، وعلماء السوء يظهرون تجويزها وتحقيقها كالذي يدعون من أولاد السعالي من الناس (٣٦). والدميري يقول: إن المحققين قد ذهبوا إلى أن الغول شيء يخوّف به ولا وجود له، كما قال الشاعر:

الغول والخل والعنقاء ثالثة
أسماء أشياء لم توجد ولم تكن

ولذلك سموا الغول خيتعورًا، وهو كل شيء لا يدوم على حال واحدة، ويضمحل كالسراب، وكالذي ينزل من الكوى في شدة الحر كنسيج العنكبوت (٣٧).

ومن عنوان الفصل الخاص الذي أورده المسعودي عن الغيلان يظهر لنا إيمانه بانها اقاويل، أو اخبار ظريفة (٣٨)، ويأتي على ذكرها في حذر، ويقول: فيدعي بعض المتفلسفين، وإن كان أهل النظر والبحث والمستعملون لقضية العقل والفحص يمتنعون مما ذكرناه، ويأبون ما وصفناه (٣٩) ثم يقول: وأتينا - أيضًا - على سائر ما اخبرنا من الأشخاص التي هي غير مرئيّة من الجن والشياطين، وما قالوه في سلوك الجن في الناس.. ويمكن جميع ما قلناه وما حكيناه أن يكون ضربًا من السوانح الفاسدة، والخواطر الرديئة، أو غير ذلك من الآفات والأدواء، المعترضة لجنس الحيوان من الناطقين، وغيرهم (٤٠).

ومع ما ذهب إليه الأدباء والمؤرخون العرب، فقد حاولوا - إلى جانب ذلك - تفسير أصل هذه التصورات والتخيّلات Fabulations بوجهات نظر عقلانية.. ومما جاء في هذا الباب عن أبي إسحق النّظّام قال: إنه لما نزل القوم بلاد الوحش عملت فيهم الوحشة، ومن انفرد، وطال مقامه في البلاد والخلاء والبعد من الإنس استوحش، ولا سيما مع قلة الأشغال والمذاكرين. وإذا استوحش الإنسان تمثل له الشيء الصغير في صورة الكبير، وارتاب وتفرق ذهنه، وانتقضت أخلاطه، فرأى ما لا يرى، وسمع ما لا يسمع، وتوهم على الشيء اليسير الحقير أنه عظيم جليل (٤١).

ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعرًا تناشدوه، وربّي به الطفل، فصار احدهم حين يتوسط الفيافي، وتشتمل عليه الغيضان في الليالي الحنادس، فعند أول وحشة وفزعة، وعند صياح بوم، ومجاوبة صدى، قد رأى كل باطل، وتوهم كل زور، وربما كان في أصل الخلق والطبيعة كذّابا نفّاجا، وصاحب تشنيع وتهويل، فيقول في ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة، فعند ذلك يقول: رأيت الغيلان، وكلمت السعلاة، ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول: قتلتها، أو رافقتها، أو تزوجتها. وهذا ما زادهم في هذا الباب، وأغراهم به، ومدّ لهم فيه، أنهم ليسوا يلقون بهذه الأشعار وبهذه الأخبار إلا أعرابيًا مثلهم، وإلا عاميًا لم يأخذ نفسه قط بتمييز ما يستوجب التكذيب والتصديق او الشك، ولم يسلك سبيل التوقف والتثبّت في هذه الأجناس قط (٤٢).

في رومانيا كانت المرأة التي ترتدي فستانًا لونه أخضر ساحرة، أو غولة، تأكل الأطفال، وترقص مع الشيطان في الغيطان: وذلك لأن اللون الأخضر هو لون الشيطان في عرفهم، ومن ترتديه تعد سالوموناري، أي: من قبيلة الشيطان

ويضيف المسعودي أن الإنسان إذا توحّد في القفار والأودية، والسلوك في المهامه والمرورات (١٢)، فإنه يفكر، وإذا تفكّر وجل، وجبن، وإذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة، والأوهام المؤذية والسوداوية الفاسدة، فصورت له الأصوات، ومثلت له الأشخاص، وأوهمته المحال بنحو ما يعرض لذوي الوسواس، وقطب ذلك وأسّه سوء التفكير، وخروجه على غير نظام قوي أو طريق مستقيم سليم؛ لأن التفرّد في القفار، والتوحّد في المرورات، مستشعر للمخاوف، ومتوهم للمتالف، موقع للحتوف؛ لقوة الظنون الفاسدة على فكره، وانغراسها في نفسه، فيتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف به، واعتراض الجان له (١٤).

ومما ساعد على ذلك ما كان البشر غارقين فيه قديمًا، من وثنية، وخوف من المجهول، أدى بهم إلى عبادة الأصنام، والانتساب - أحيانًا - إلى أصول حيوانية في عبادات مثل: الطوطميّة، والإيمان بالطيرة، والتشاؤم، والتمائم، والتعاويذ.. وهذا الأمر - مع ظهور الإسلام - كان يهتبل أزمنة الانكسار الحضاري والديني، لتعود هذه الأفكار إلى الظهور، مثبتة في زعمهم ما انطبع به تراثهم القديم..

وقد يضاف إلى ذلك - حسب بعض المباحث التاريخية الحديثة عن أصل ألف ليلة وليلة - على سبيل المثال - ما حوت من صور مهولة عن الغول والجن والهواتف، أنها في بعض جوانبها تحمل رموزًا فكرية ودينية يرجعها بعضهم إلى احتمال وجود أثر يهودي في ألف ليلة، ولا سيما في أثناء العصر العباسي الأول في بغداد، الذي شهد وضع، أو تأليف، جزء كبير من الحكايات (النسخة العراقية، أو الليالي التي تغلب عليها اللهجة العراقية السائدة في ذلك العصر)، وأن هذه الرموز كانت متعمدة من اليهود في سلسلة محاولاتهم بث موروثاتهم وعقائدهم على الفكر الإسلامي، إلى جانب التشكيك في غير اليهودية من أديان، ولا سيما الإسلام.

وإذا طبقنا هذه النظرية التحليلية - حسب ما تشير إليه هذه الدراسات - على قصة سعدان الغول، وإن لم تذكرها على وجه الخصوص، نجد أن سعدان من أولاد حام، أي: ليس ساميًا، ولم تشر إلى نسب غريب، لكن يفهم من السياق أنه سامي، لذلك نراه يدعو سعدان الجبار هذا إلى اعتناق ملة سيدنا إبراهيم الخليل، ويصبح سعدان من أتباعه، بل حتى يقوم هو نفسه بالدعوة إلى ملة إبراهيم التي تريد اليهودية احتكارها لنفسها.. ويتوجه كل من غريب وسعدان إلى محاربة جمك ملك بابل، الذي لا ينسى اليهود ما فعله البابليون وملكهم من قبل.. والمعنى أن سعدان هو رمز الشعب الحامي، الذي انصاع آخر الأمر إلى غريب، في حين أن غريبًا يرمز إلى القوة الساميّة المتمثلة في اليهود (١٥).

وإن كانت هذه الدراسات ما زالت بحاجة إلى مراجعة توثيقية؛ لعدم اتساقها، أو لإغفالها الحكايات ذات الطابع الديني، وبطولات العامة والملوك في أثناء الحرب الصليبية - على سبيل المثال - متمثلة في حكايات كحكاية علي نور الدين، ومريم الزناريّة، وحكاية

لم تكن هذه التخيلات بدعًا في العرب من دون غيرهم من الأمم.. ففي الفلكلور الكمبودي (جنوب شرق آسيا) نجد الغول، التي تجلس في مفارق الطرق لإرعاب الناس، أو افتراسهم، وهي واحدة من الأرواح التي تبدو في شكل امرأة تضحك في وجوه فرائسها ضحكات مرعبة

الصعيدي وزوجته الفرنجيّة، وغيرها من الحكايات التي تكاد تغطي أكثر من مئتي ليلة من ليالي ألف ليلة وليلة، التي يغلب عليها اللهجة المصرية السائدة في ذلك العصر.. فضلاً عن أن الحكايات التي قد ترجع إلى أصول هندية، أو فارسية هي حكايات نشأت في جو إسلامي؛ لأن هذه البلاد كانت ضمن دار الإسلام.

التخيّلات الغوليّة.. ظاهرة عالمية

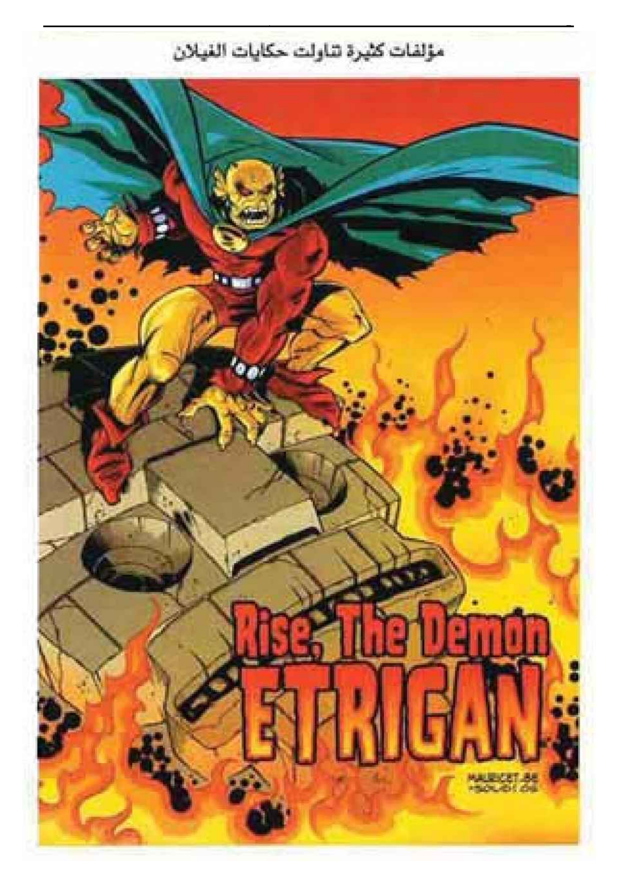
لم تكن هذه التخيلات بدعًا في العرب من دون غيرهم من الأمم.. ففي الفلكلور الكمبودي (جنوب شرق آسيا) نجد الغول، التي تجلس في مفارق الطرق لإرعاب الناس، أو افتراسهم، وهي واحدة من الأرواح التي تبدو في شكل امرأة تضحك في وجوه فرائسها ضحكات مرعبة، وإذا أخفقت في اصطياد فرائسها تلقي عليهم الأحجار، أو الثمار الفجّة من فوق الأشجار حتى تقتلهم آخر الأمر.. وأشهر هذه الأرواح رعبًا روح المرأة التي تموت عند ولادة طفلها، أو وهي حامل، فهي تكون عندئذ أشد كراهية للناس الأحياء؛ لأنها ماتت وهي تحاول أن تعطي الحياة لواحد جديد منهم، فحرمها هو الحياة..

ولا يزال في الصومال من يعتقد أنه كان يوجد أناس من الجبابرة، أو الغيلان يطلقون عليهم اسم متهانلي، كانوا يعيشون في المنطقة الواقعة بين نهري تانا وجوبا، وكان لهم مزارع وأبقار وجمال وأغنام، وهم من السحرة، الذين لم يهزموا في المعارك لكن الله أهلكهم، غير أن أبناء القبائل في جوبالاند يؤمنون إيمانًا راسخًا بوجود قسم من هؤلاء الجبابرة أحياء حتى الآن.. (٤٦).

أما في أوربا فكان أهلها - حتى القرن التاسع عشر - يؤمنون بالسحر والغيلان وتحول الإنسان - والمرأة خصوصًا - إلى حيوان بعد دهن كل الجسم بدهان سحري، كما يعتقدون في الهواتف الشفافة (غير المرئية) التي لا يظهر منها إلا هيكلها العظمي، ويكون أخضر، وفي الأغلب لا تظهر إلا في الظلام، وهي تتلذذ بأكل اللحم البشري، وتقوم بالإغارة - بين الحين والآخر - على المستوطنات البشرية؛ للبحث عن الغذاء، ويقال عنها: إنها - أحيانًا - تمتطي في غاراتها جيادًا غوليّة على شاكلتها (٤٧).

وكان الإنجليز - حتى وقت قريب - يعتقدون بوجود الغول والجان، وسيطرتهم على الناس، وهذه مسرحيات شكسبير ملأى بذكر الهواتف والجنيات اللواتي يزعمن

مؤلفات كثيرة تناولت حكايات الغيلان



معرفة الغيب. ويعرّف قاموس الشياطين والأبالسة الغول بأنه أخطر أنواع الأبالسة، فهو يأكل أحشاء الناس وقلوبهم.. وتصف المأثورات اليهودية الغيلان بأنها تتغذى على الدم البشري.. وتشير كثير من الأساطير الأوروبية إلى أنها جنس من الساحرات ومصاصي الدماء، الذين يمتصون الدم من الأحياء، كما ينقرون أجساد الموتى لاستخلاص القلوب وأكلها (٤٨).

وكان الفكر الأوروبي عامة في العصور الوسطى يعتقد أن الغول إنسان ملعون، بينه وبين الشيطان عقود ومواثيق، تبدأ بتحديد مدة سبع سنوات، وقد تمتد سبع سنوات أخرى، ومن نصوص هذه العهود ألاّ يستحم الإنسان طوال هذه السنوات، ولا يلمس الماء جسده. وكانت هذه العقود تكتب على جلد بقرة، أو ثور، وتوقّع بدم يؤخذ من سبابة اليد اليسرى (٤٩).

وكان الاعتقاد أن جلد الرجل الغول ليس جلدًا بشريًا، وإنما جلد ذئب مقلوب، ويتشكل في هيئة الذئب.. وظهرت في اللغات الأوروبية كلمات الغول الذئبي Werewolf في الإنجليزية، والألمانيّة، و-Loup garou وفي الفرنسيّة. وقد جرت العادة في الريف أن يصطحب رب الأسرة بناته إلى بيته بنفسه؛ لحمايتهن من الغيلان الذئبيّة. . وهذه الغيلان عادة تبدو أناسًا عاديين بالنهار، وحيوانات ليلاً وتسكن، في الأغلب، قرب ينابيع الماء، التي يستحمون فيها؛ ليتم تحولهم من حالة إلى أخرى. وإذا ما أطلق الرجل النار على الغول الذئبي يمكن أن يرجع هذا الغول إلى حالته الإنسانية.

ويذكر كولين دى بلانس في كتابه القاموس الجهنمي، أن صديقًا له أخبره من دون خجل، أنه شاهد في صباح أحد أيّام عام ١٥٤٢م مئة وخمسين غولاً ذئبيًا في أحد مواقع القسطنطينية (٥٠).

أما الأمكنة المفضلة للغيلان - إلى جانب ينابيع الماء - فهي الحقول والغابات.. وإلى جانب الغول الذئبي الذكر كانت تهمة التغوّل هي أبشع تهمة توجه للمرأة في العصور الوسطى.. وهذا الأمر انتهزه كثير من الأزواج للإيقاع بزوجاتهم.. فكلما أراد الزوج أن يتخلص من زوجته، كان يدعي أنه عندما ذهب إلى الصيد اصطاد ذئبًا (أو أي حيوان آخر) ثم فوجئ بأن هذا الحيوان ليس في الحقيقة سوى زوجته الغولة. ولأن الزوج يفترض فيه أنه مواطن شريف، ورجل مؤمن، ليس أمامه إلا أن يبلغ عن زوجته للعدالة.. وهكذا أحرق كثير من الزوجات البريئات، حتى إننا

LA GUERRE DES MONSTRES

لنجد البابا جريجوري السابع، في عام ١٠٧٧م يناشد ملك الدانمرك هارالد هاين أن يرحم النســـاء من المعاملة الوحشية، التي يعاملن بها في بلده، حيث أصبح كل رجل ينظر إلى زوجته على أنها ساحرة، أو غولة.

وفي رومانيا كانت المرأة التي ترتدي فستانًا لونه أخضر ساحرة، أو غولة، تأكل الأطفال، وترقص مع الشيطان في الغيطان؛ وذلك لأن اللون الأخضر هو لون الشـيطان في عـرفـهم، ومن ترتديه تعـد سالوموناري، أي: من قبيلة الشيطان.

وفي ألمانيا تم في عام ١٤٨٧م إحراق ٨٠ امرأة غولة في أوسن بروك، و٧٩ في أوفنبرج، و٩٧ في سالزبرج.

ومن الأقاصيص المحفوظة في سجلات القضاء الفرنسي بمدينة ريوم - مقاطعة أوفرني - قصة محاكمة زوجة تتحول إلى غولة ذئبيّة كل يوم جمعة، وأنها تأكل الأطفال في هذا اليوم متحدية القانون الكنسي الكاثوليكي، الذي يحـرم أكل اللحم يوم الجمعة، كما يقولون. وقد كانت هذه المرأة - واسمها أيرين - زوجة لنبيل فرنسي اسمه نيكولا دي باريو اكتشف مصادفة أن زوجته الحبيبة هي غولة. ويقول ملف المحاكمة: إن النبيل كان قد أرسل أحد أتباعه لصيد الأرانب في الغابة وبعد مدة عاد الصياد وفي يده كف امرأة، قال عنها: إنها كف غولة لقيها في الغابة وحاولت الاعتداء عليه. وفي أثناء تناول الطعام لاحظ النبيل أن زوجته تأكل بيدها اليسرى، وتخفي يدها اليمنى، وحينما تحرى الأمر اعترفت الزوجة بسرها، وأمنت على قصة الصياد قائلة: إنها تفعل ذلك من دون وعي منها؛ لأنها مسحورة.. فما كان من الزوج - خشية منها - إلا أن يبلغ القضاء عنها، فتتم محاكمتها وإحراقها في ١٢ يوليو عام ١٥٨٨م.

وفي عام ١٦٠٠في إقليم لورين بفرنسا.. اتهم رجل بالاشتغال بالسحر والتغوّل بعد تهمة وجهت إليه من أعدائه، والطريف أن هذا الرجل نفسه كان قاضيًا، وسبق له أن أصدر أحكامًا بحرق ٨٠٠ امرأة اتهمت بمثل ما اتهم به.

ولقد ظل هذا الفكر سائدًا في أوربا حتى صدرت قوانين في القرن الثامن عشر تلغي عقوبة الموت حرقًا للسحرة والغيلان.. وإن كان إلصاق التهم في هذا الشأن لم تنته.. من ذلك أن رجلاً يدعى أندريه مارشال اتهم في عام ١٨٠٤م إبان عهد نابليون بونابرت بأنه غول، وقدم للمحاكمة في مدينة دييب بفرنسا، وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة. ولأن هذه الأفكار قد شغلت الأوربيين قرونًا متعددة، فقد ظهر عند محللي الأساطير والأنثروبولوجيين ما عرف باسم الليكانثروبي؛ أي: الجنون التغوّلي، وهو الإيمان بإمكان تحوّل الإنسان إلى لوب جارو Loup-garou، وفيرفو لف Werewolf، بمعنى الغول الذئبي.

ومن غريب المفارقات أن يتحول لفظ الغول في الآداب الفرنسية؛ ليعبر عن معنى الغزل بين العشّاق.. فحين يتغزل الرجل في امرأته، أو حبيبته يقول: يا غولتي، أي: يا حبيبتي، وربما كان المعنى أنها قد ملكت عليه كل نفسه، وكأنها التهمته.

وهكذا، بينما نرى أن هذه الصور التخيّليّة

الغول - على زعم بعض المتفلسفين - حيوان شاذ من جنس الحيوان لم تحكمه الطبيعة، ولما توحّش من مسكنه طلب القفار، وهو يناسب الإنسان والحيوان البهيمي في الشكل

والأسطورية عن الأجناس المتشيطنة والجن والهواتف المرئية وغير المرئيّة اخذت في اوربا بعدًا اجتماعيًا وعقائديًا شريرًا ومرعبًا بين السادة، حكامًا وكهنة، والعامة من الناس، أو بين العامة وبعضهم بعض.. نرى أن مثل هذه التخيّلات لم يخرج أغلبها عند العرب عن كونها آثارًا، أو ظواهر عقائديّة وفكريّة عامة على مستويات مختلفة من الثقافة والإدراك، وبحسب المعايير الزمنيّة، التي مرّ بها تناول هذه الأساطير فيما بينهم، أو في كتابات المؤرخين والأدباء والشعراء.

وبينما يكتفي العربي - أسطوريًا - في مواجهته هذه الأجناس المتشيطنة بالتعوذ منها؛ لاجتناب شرورها، فإن الأوربي اتخذ منها سبيلاً لكل مظاهر الشرّ من إغراق في ادعاءات الخيانة، والسحر، والشعوذة، بما يؤدى إلى القتل والحرق وإهدار حياة الناس، وهي السمة الغالبة التي سايرت الفكر الأوربي منذ العصور الوسطى حتى عهد قريب.

المراجع والهوامش

١- يقولون قتر فلان قترًا: ضاق عيشه وقتّر على عياله في النفقة.
٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي، ج٢، ص١٥٧.
٣- المصدر نفسه، ص ١٥٥.
٤- هو الشاعر ثابت بن جابر الفهمي الذي عاش في الحجاز في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي، وقيل عنه: إنه كان نموذجًا من نماذج الشعراء اللصوص، الذين دأبوا على الإغارة على هذيل.. وإنه يزعم أنه لقي الغول في رحى بطان ببلاد هذيل في ليلة ظلماء فأخذت عليه الطريق، فظلّ بها حتى قتلها، فلما اصبح حملها تحت إبطه، وجاء بها إلى أصحابه، فقالوا له: تأبطت شرًا. فلصقت به.. وقد اشتهر أيضا بأنه شاعر الغيلان والجن.
٥- ابهم، أسود، والخيعل أو الخيتعور من أسماء الغول التي لا يدوم شكلها على حال واحد.
٦- قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية: د. احمد أمين، ص٢٩٩.
٧- البجاد: كساء مخطط.
٨- مروج الذهب، ج٢، ص١٥٦.
٩- موسوعة أساطير العرب، ج٢، ص ١٠.
١٠- النحل: الحقد والجمع ذحول، وطلب بذحله أي بثأره والصملاق باطن الجفن والجمع صماليق.
١١- حياة الحيوان الكبرى للدميري، ج٢، ص٣٤٢.
١٢- مروج الذهب، ج٢، ص١٥٦.
١٣- موسوعة أساطير العرب، ج٢، ص١٤.
١٤- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني.
١٥- مروج الذهب ج٢ص١٥٦.
١٦- الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، ج١، ص٣٧٨.
١٧- حياة الحيوان الكبرى، ج٢، ص٣٧٨.
١٨- الحيوان، للجاحظ (المجلد الأول)، ص١٠٢، وموسوعة أساطير العرب، ج٢، ص٤٤.
١٩- الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية ج١ص ٣٧٩.
٢٠- مروج الذهب، ج٢، ص١٥٧.
٢١- وقطرب لقب محمد بن المستنير النحوي.. كان من أهل العربية، وكان حريصًا على الاشتغال والتعليم، فكان يبكّر إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة، فقال له يومًا.. ما أنت إلا قطرب فبقي عليه هذا اللقب.
٢٢- حياة الحيوان الكبرى، ج٢، ص١٥٠.
٢٣- مروج الذهب، ج٢، ص١٦١.
٢٤- المصدر نفسه، ج٢، ص١٦٠و١٦١.
٢٥- أوردنا القصة بأسلوب د. حسين فوزي في كتابه (حديث السندباد القديم) ملخصة عن التفاصيل الأكثر في ألف ليلة وليلة.
٢٦- العامة في مصر يشبهون في كلامهم من يأكل كثيرًا بالغول، فيقولون: مفجوع زي الغول، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ص٣٠٠.
٢٧- ألف ليلة وليلة، ج٢، ص٩١٨ وما بعدها، طبعة دار الشعب.
٢٨- ذخيرة العجائب العربية، ص١١١/١١٢.
٢٩- المصدر نفسه، ص ٢٠٥/٢١٨.
٣٠- قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية: ص٦.
٣١- الدلجة: السير في أول الليل.
٣٢- المسالك والممالك للإصطخري
٣٣- موسوعة أساطير العرب، ص ١٣.
٣٤- المصدر نفسه، ص ١٦.
٣٥- الحيوان للجاحظ، المجلد الأول، ص ١٠٢.
٣٦- المصدر نفسه، ص١٠٢.
٣٧- حياة الحيوان الكبرى، ج٢، ص٢٤٧.
٣٨- مروج الذهب للمسعودي، ج٢، ص١٥٩.
٣٩- المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٩.
٤٠- المصدر نفسه، ص١٥٨.
٤١- موسوعة أساطير العرب، ج٢، ص٧٥.
٤٢- المصدر نفسه، ج٢، ص٧٦ نقلاً عن الجاحظ.
٤٣- المرورات: المفازات التي لا نبات فيها.
٤٤- مروج الذهب ج٢ ص١٦٠.
٤٥- اليهود وألف ليلة: د. جمال البدري.
٤٦- مجلة الدنيا الجديدة: عدد ٧٤ مايو عام ١٩٤٦م، ص٥١.
47- Advanced Dungeons&Dragons. P.84
48- Devils&Demons Dictionary. P.90
٤٩- جاء ذلك في كتاب القاموس الجهنمي لمؤلفه: كولين دى بلانسي، وهو عالم في علم الحيوان.
٥٠- معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوربا، ص ٢٢٠.



شموخ

خالد عبدالله الغانم

الرياض - السعودية

إذا ما عوى كلب رميت له عَظْمًا
وَنزَّهْتُ نفسي أن أكون له خَصْمًا
ولي أسوةٌ بالشمسِ إذ عَمَّ جودُها
فـاهدتْ سناها للبصيرِ وللأَعْمَى
وكم يكشف الجُهَّال سوآتِ جهلِهمْ
فـأسترُ مـا أبدوا وألبسه حِلْمًا
همُ نصبُوا حولي شبـاكَ عـداوةٍ
وقد حَسِبُوا كبري بما نصبوا طُعْمًا
وليس سواهُ حاجزي عن مرادهمْ
وخـوفيَ أن ألقى بمحـوِهِمُ إثْمًـا
أضنُّ على صيدٍ هزيلٍ بأسهمي
ووافرُهُ أهديهِ من جعبتي سَهْمًا
وكم حاول الأعداءُ إخمادَ شُعْلَتِي
فـألفيتُهمْ أمسوا بموقدها فَحْمًا
وكم حشدُوا حولي جيوشَهُمُ وهل
تُطيقُ جيوشُ الليلِ أن تطفئَ النَّجْمَا؟
شكرتُهُمُ إذ أوقــدوا ليَ نارَهُم
فقد أنْضَجَتْ فيَّ الإرادةَ والعَزْمَا
إذا طالَ صمتي فـانتظر ما وراءَهُ
فصحراؤُهُ تُخْفي لعابرها لُغْمَا



الحب الغزير

محمد طاهر الجلواح

الأحساء - السعودية



عنّفيني إذا قرأتِ حروفي

واطرُديني إذا ارتكبْتُ كبيرا

بَشرّيني بصفْعةٍ فوق روحي

وامسحي الأرضَ بي، وكوني هديرا

يتــــلاشى بكُلّ ذلك وَهْمٌ

كنتُ قد خِلْتُهُ بقلبي.. عبيرا!!

رنّدي بالثناء شعري ولكنْ

ليس يطفي هذا الثناءُ السعيرا

أنا مَــوْؤُودُكِ، وأنتِ تُرابي

وأصيلُ الترابِ يُحْيي القبورا

لَوّنيني بريشة الدفء حتى

يستوي الزمهرير كَوْنا صغيرا!

نَغَمٌ هَمْسُكِ الخَجولُ، ودفءٌ

غير اني اخاف منك النفورا

ما الذي يثلج اللهيب بقلب

غَيْرُ مَحْضِ اللقاء.. يأتي بشيرا

رُبَّ حُبٍّ أتى كَوَمْضٍ بريق

وتُنَمّيهِ العيونُ.. حُبّا.. غزيرا!!!



حنظلة!

عبدالغني محمود عبدالهادي

عمان - الأردن

مع تثاؤب فجر ذاك النهار، انطلق بشاحنته قاصدًا مزرعة أبي عفّاش، قابل جحافل الزواحف في الطريق، الجرذان، والحراذين، والسحالي، والعظايا بأنواعها، وأحجامها وألوانها. وأضف إلى القائمة الأفاعي ذات الأجراس، والأصلات التي لم يرها منذ أن وطئ أرضها المنسية! قبل خمس سنوات مضين! وكذلك الضباع، وبنات آوى، والقردة، والسعادين، حتى ليكاد يقول إنها قد عقدت صداقات وطيدة بعضها مع بعض، وقد اعتادت على هدير سيارته، فيراها واقفة مصطفة على جانبي الطريق الأفعواني، الملتف على خاصرتي الجبل كأنه لفحة يتشحُ بها متحديًا من يتسلقه بسخرية!.

بعضها صار يلوح له مرسلاً ابتسامة بلهاء، تنم على خشم سارح بما يسيل من أنفه المندفع من علي وجهه الطويل كحذاء الأسكيمو! ورأس أرنبته المدوّر الأحمر، يغامزه مضيفًا ألفةً تعطيه تنهيدة ارتياح، مع ما فيها من غموض وقلق وترقب!

كل هذا عدا ما لم يذكره من هوام وضوار تحلو لها مواكبته، محلقة مصفقة، أو منفردة! وهو هو يعاين الأفق من حوله، يرسل ناظره ساهمًا كأنه يشق طريقه في أجواء الفضاء، أو يحلم بالتحول إلى طيار!

أكمل تفكيره، وجد نفسه مفروضًا عليه هذا العمل، لكنه كثيرًا ما سأل نفسه، هل حقًا أنا من ألقيت بنفسي في هذا الخضم والأتون؟ حقًا أنا أم أسرتي المنكوبة، التي وجدتني كبش الفداء منذ أن فتُحت على هذه الدنيا ابن خمس عشرة! أما كان يمكنهم انتظاري حتى أكبر قليلاً، أودع طفولتي كما يودعها أطفال ديزني لاند! ويحهم إذًا لم كل هذا الصلف والجبروت اللامسؤول؟! وعادت به الذكريات، متدفقة كينبوع جبلي يمر به بشكل يومي! غير أن ما يلفت ناظر حنظلة في هذه المنطقة من الطرف الجنوبي الغربي للربع الخالي، القردة، والسعادين، التي يحلو لها أن تضاحكه صباح مساء بعيونها الواسعة وألسنتها الحمراء بل أنوفها، وكأنها حررت عقد صداقة معه! وتريد أن تنسيه هذا الهم الذي لم يحلم به يومًا!

ذات يوم حمل قرار الخروج مبكرًا كعادته، لهثًا وراء الرزق، صعد إلى شاحنته المنهكة المتمايلة كالنعش، وانطلق تبتلعه الطريق في صعود وهبوط، وتمايل وتحايل، في موكبه اليومي الذي بات مألوفًا له أكثر من قبل.

حرارة (الموتور) تخزه، وشمس النهار تجلد شاحنته بسياطها اللاهبة، ليجد نفسه وسط أتون من حديد، ينضجه يزعجه، زفراته لا تشفع له، بل تزيده جفاف حلق، وتجوية، وهذا ما يشكل جسمه باستمرار، ليغدو شيئًا ما، قابلاً لمشروع المستقبل، فقد يغدو سوبرمان يخرج محلقًا من حجرة القيادة طائرًا بين قمم الجبال التي تتأبطها جبال تهامة والحجاز، فمن يدري إذن، إذا ما فاجأته يومًا ما مفاجأة، كسيل عرم يخسف من تحته الأرض، فتغور به الطريق فاتحة فاهًا على مصراعيه، تبتلعه بشاحنته الهادرة، فيتحول ساعتئذ إلى مستحاثات وعضويات تزيد

التربة خصوبة وعذوبة! فيصبح هدية للبيئة آنذاك! كل هذا وحنظلة سادر في غيّه، مبتعد عن مركزه كمجرم فالت مطرود منه، يسير في فلكه برعونة تبحث عن مآل، والطاهر رزق حلال زلال، وشفاء عذب المنى، يمنّي نفسه به، أو هكذا تصله أخبار أسرته! فقائمة الطلبات لا تني يجري سيلها تجاهه، وقد خلف وراء ظهره عشرة أنفس، ما زالوا غلمانًا، يطلبون لقمة العيش وها هو ذا اليوم يغذ المسير، متجاوبًا مع رغبات هؤلاء النفر الذين باتوا يملؤون رأسه صراخًا وعويلاً، وتصورات تدفقت ذاكرته المتعبة بهؤلاء.

ركن قليلاً على جانب الطريق وقد استقام إلى جانب سدرة ضخمة شديدة الاخضرار، أخرج الرسالة من جيبه الواقعة على القلب.. وراحت أصابعه ترتجف شوقًا إليها، وعيناه تلتهمان الأحرف والكلمات، تتلو العبارات التي خطتها له زوجه وأم عياله، تناشده الصبر والإمهال من أجل العيال، تذكره بأنهم ما زالوا بحاجة إليه، وأنهم في سن النشأة والتكوين، وأنها من تلعثم حنظلة ساحت دموعهُ هو الآخر بشكل مفاجئ، مثل أمطار المنطقة وسيولها، غصّت حنجرته وحشرجت بكلمات تمتم بها، لم تكد تسمعها أذناه.

وي لهذا القدر، الذي يحرق أكبادنا فيحرمُنا من رؤيتهم! لقد صنع مني لعبته، ليلهو بي كيف يشاء، وحرمني من فرص العيش والتعليم، وأهداني ابنة العم لتحتمل الهم، وقال لي انطلق لتعش تعسًا مبعدًا! لقد بات علي



اليوم أن...

تمتمات ودمدمات انهالت عليه سيلاً دافقًا من على سفح جبل، أحاط به كحارس قديم قاس لا يرحم.

استسلم لمنطق القدر والمشيئة، جعل يمسح دموعه، اصطدمت كفه بشاربه المفتول، المبعثر من حول فمه كضمة بقدونس! تذكر أنه رجل، والرجال في بلده المنكوب بالاحتلال والضياع، محكومون بالأمل والطموح والتغريب، فكلهم شركاء في مثل مصير كهذا يا حنظلة، وما عليك إلا التدافع والتحدي والانصياع معًا!!

التمعت عيناه الوسيمتان، من بعد انطفاء، وأشرقتا بشمس التحدي لتذيب سهوب العذاب، والترقب، والتحق بغرفة القيادة، يدير المحرك، يتأبط الحلم من جديد، ينطلق معيدًا أسطوانة الشاحنة التي صارت تملأ ذاكرته فتزحمها صخبًا على صخب، وتحملها تعبًا على تعب!

تسير به الشاحنة مترجرجة عن يمين وعن شمال، يحيط به جمهور المخلوقات من كل نوع، تصطف من على حافتي الطريق في موكبها اليومي الذي اعتاده، بل تطل عليه من على شجر السدر، والطلح، وغيرهما، منسية إياه بعض همه المحاصر له، فها هي ذي القردة تبادله ضحكات بلهاء سمجة لا يعرف لها معنى!

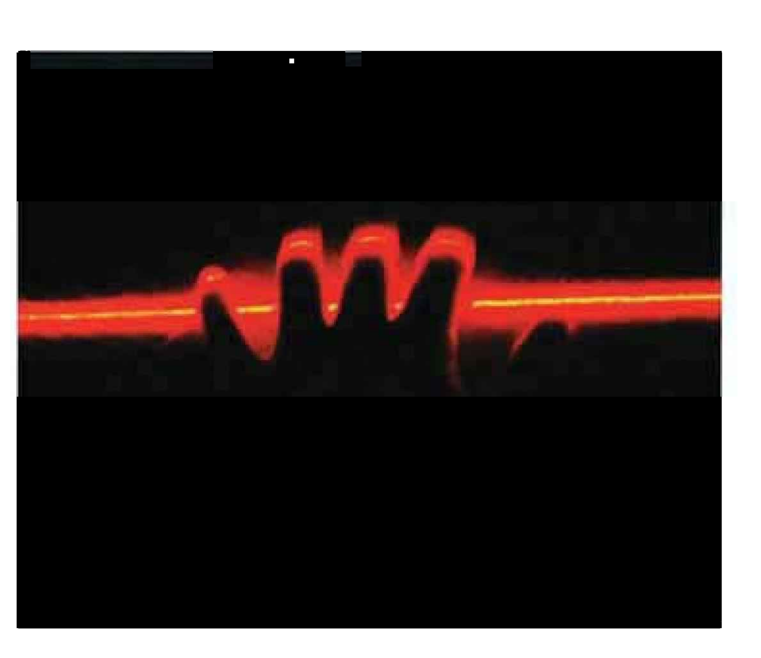
أهي تستهزئ بي، أم تستحسن مرحبة؟! ليتها تجرب هذا الهم فتقدرني حق التقدير.. وتشاطرني بعضًا منه.. ليتها...

مجموعة الفلاحين، تتوزع في حقولها من حوالي الطريق، الحصادون يرتلون وينشدون ببراءة، فرحين بموسم حصادهم، ضارعين لتحقيق حلمهم..

أحدهم وقد عمر، وقف يلوح له من على قارعة الطريق رافعًا عكازته بيده..

- يا ولدي .. يا ولدي!

يقف له، يستطلعه، يصعده في ظهر الشاحنة وقد طلب أن يقربه إلى البيت، أخذ الكهل يشعل لفافة التبغ، ويمجها بسحبات طويلة كعادته، لتعيد له وهجه وتدفقه، وتسمعه دقات قلبه القابع خلف ضلوعه المعمرة .. مجات عالية أخذ الكهل يسحبها وعيناه تبرقان، موزعًا ناظره في أرجاء الجبل الأشم! كوفيته الحمراء من تحت عقاله تتطاير مهلهلة كراية انتصار لصمود الشاحنة المتهالكة، وقرب الكهل المتهالك كذلك إلى بيته، ولكن بعدُ حنظلة من هذا كله في ذات الوقت! فيا لقدر يلهو بنا، ويرسم.. ويا لاحتمالات الواقع لا تنطبق بما يجري في دواخلنا.. هاجس حنظلة يتدفق في أعماقه مثل شلال نياغارا!



يتكفل بردم حجارة الرصيف ليدخلها رادمًا هوة استحكمت فيه!!

أعمدة من الدخان أخذت تقتحم كابينة القيادة، فتلف حنظلة مجللة إياه، تتاهت إليه برائحتها، أيقظته واخزة، محررة إياه من سرحانه وراء سراب حلمه المتع.. المنتفض.

يرتعش، يتزلزل يقفز من وراء المقود، ليساعد الكهل ينزله مطمئنًا لتبدأ ألسنة النار بالتهام الشاحنة، مبخرة أحلام المنى، آتية على ما تبقى منها في أروقة رأسه المتعبة، التي يحملها كالكرة الأرضية منذ أربعين سنة أو يزيد!

كل هذا الاحتراق والتطاحن و(توهان) يرى ما يرى غير مصدق! وقد أتى الحريق على معظم الشاحنة، رضا لخاطر لفافته المدللة التي ما فتئت تتدحرج بين أصبعيه بنعومة وتحرق بنزق!

أدرك (توهان) ما جرى، وكان اقترب في حركة مسرحية من حنظلة يربت كتفيه مهدئًا له، مطمئنًا، ومبررًا:

- يا ولدي ما يخالف، ساعوضك عن شاحنتك بعون الله.. فيأخذه إلى الديرة والعشيرة، وينزله ضيفًا كريمًا بأمان الرحمن بعد يومين أو ثلاثة هي زوادة الضيافة، قوّم له السيارة، فكتب له ثمنها في شيك مصرفي يحمل قيمة شاحنة جديدة - آنذاك - كانت بثمن خمس سيارات من سيارات اليوم!

انطلق حنظلة كسبع الفلا، يشتري سيارة من أفضل الأنواع وأمتنها، ليغدو مكملاً مسيرته التي شقها قبل سنوات مضت!

ازداد رزق حنظلة بمشروعه الجديد المتواصل، وازدادت معه كذلك فاتورة عائلته، وها هو ذا يرسل المال أولاً بأول لأم العيال، وللأبناء وطابورهم يهدر مثل قاطرة النيلين!

في الليلة السابعة بعد الألف، خلا بنفسه في غرفته الأثرية، جعل يراجع حساباته بعد مكالمة من ابنه حسام، طمأنه فيها على دراسته في قسم الإنتاج السينمائي، وأنه بصدد عمل شريط سينمائي تكريمًا لأبيه.. لم يع حنظلة بعد ما عناه حسام! وجعل يفكر بهذا حتى أطل عليه فجر جديد في الليلة التاسعة والعشرين، مكالمة أخرى استوضح فيها حنظلة الفكرة من حسام فأجابه:

أجل يا والدي، أنت حري بالتكريم ككل الحناظل؛ لأن في الحنظل دواء، وهو بذلك طعام الجمال، يعلمها ويكسبها الصبر والصمود والتحدي.. أنت يا أبتي جملنا ومحملنا، أنت تستحق من جراء هذا كله تكريمنا وأنت على قيد الحياة!

حنظلة: أجل يا بني ولكنها الأبوة والانتماء إلى أسرة فقدت الوطن فصارت في المهب، ألا يكفيها هذا!؟

حسام: بارك الله فيك يا والدي، وكثر من أمثالك، ولسوف أكرمك بما وعدتك إذن.. ولسوف تكون من المكرمين دنيا وآخرة بإذن الله.

وانهمرت دموع كليهما بصمت، كلاهما ينشج هارمونية الواقع المرير الذي يطرزه بدفق فؤاده، وبنات أفكاره المزركشة، في رقصة استعراضية ماثلة تعيد إلى النفس مناها، وتبعث لها أملها من جديد..

ليعود السؤال من جديد: هل انتهى حد المأساة عند هذا المستوى، أم هي دوامة التحدي تتواصل معلنة عن رحلتها اليومية صباح مساء!؟

وليكثر المشاهدون، ويعل التصفيق، وتشرق الحناجر بالهتاف!!



طه عمران وادي
القاهرة - مصر

... نام الزوج، وهي تحاول أن تتناوم، رغبت في أن تضمه إلى صدرها، لكنها حبست الأشواق في قلبها. تطاول الليل كأنما لا نهار بعده. البرد اشتد، والخوف امتد، والدم تجمد في العروق. الظلام يحتوي على غرفة النوم في ليلة من ليالي الشتاء الحزينة، لو أن الأولاد هنا لذهبت إلى حجرتهم، لكنهم ذهبوا إلى بيت الجد والجدة، ليقضوا معهما بعض أيام إجازة نصف السنة. تمنت أن تعود أيام زمان، أيام بيت العز، بدت المسافة بعيدة جدًا بين الماضي والحاضر.

تتقلب ذات اليمين وذات الشمال، لا فائدة.. الرجل مستغرق في النوم مثل أصحاب الكهف. منذ سنوات - لا تعرف مداها - كان الزوج ينتهز فرصة نوم العيال حتى يقضي معها ليلة سعيدة، أحيانًا، يخيل لها أنه لم يعد الرجل الذي كانت تعرفه، شيء ما شل حركته وأضعف رؤيته. تمنت أن تضم القريب البعيد إلى صدرها، أن تحس الدفء وتشعر بالأمان. الإنسان يكون ضعيفًا حين يشعر بحاجته إلى الآخر، وهو أشد حسرة وألمًا حين يرغب فلا يجد.

انتفضت فجأة، الباب يفتح في هدوء ويغلق، ما حدث حقيقة أم وهم؟! الخوف والبرد والرجل النائم سر أزمتها. استعاذت بالله العظيم من وسوسة الشيطان الرجيم. دفنت رأسها تحت المخدة، وغطت كل مكان في جسدها بالبطانية واللحاف. ثنت رجليها ويديها لكي تدفئ الأجزاء بعضها بعضًا. بدأت تعدُّ من واحد إلى مئة، حين وصلت إلى رقم (٦٧) أحست حركة غير عادية في الصالة، الحركة هذه المرة ليست وهمًا، وهناك شخص، أو أكثر يحرك مائدة الطعام، حتى يستطيع أن يفتح دولاب الصيني والبوفيه بسهولة، انتفضت جالسة أخذت تهز زوجها عنتر بقوة: أصحَ.. قم يا رجل.

شدَّ الغطاء حول رأسه قائلاً: اتهدّي ونامي.

- حرامي.. لا.. حرامية.

- بطلي تخاريف يا امرأة.. اعقلي.

يا مصيبتك السوداء يا سامية. جوزك يأكل أرزًا باللبن مع الملائكة، أو العفاريت.. يا عيني عليَّ وعلى وكستي. هدأت الحركة فاستعادت بعض أنفاسها الضائعة. قرأت (آية الكرسي) تطاولت بجوار الزوج. اقتربت أكثر حتى تقتل هموم البرد والخوف والظلام. لكن النوم لم يطرق لها جفنًا، والأمان لم يلمس لها قلبًا. ويل للساحي من النائم. قم يا عنتر.. قم، لا فائدة .. لا أمل، لا حول.. ولا.. لا..!..

بين الخوف والبرد، أدركت أن هناك أمرًا غير عادي. أرهفت السمع مرة.. ومرة ومرة، ليس الأمر وهمًا.. أكيد.. في البيت لصوص، تسكن في هذا البيت منذ مدة طويلة. ولم يحدث أن شعرت بما شعرت به تلك الليلة. باتت وحدها كثيرًا من دون زوج أو ولد، لكنها لم تكن تخشى شيئًا. منذ مدة ماتت صاحبة البيت، فاستغنى الورثة عن البواب، وصار باب العمارة مفتوحًا في الليل والنهار.

تحول البيت إلى سوق بعد أن أخذ الورثة يكثرون من

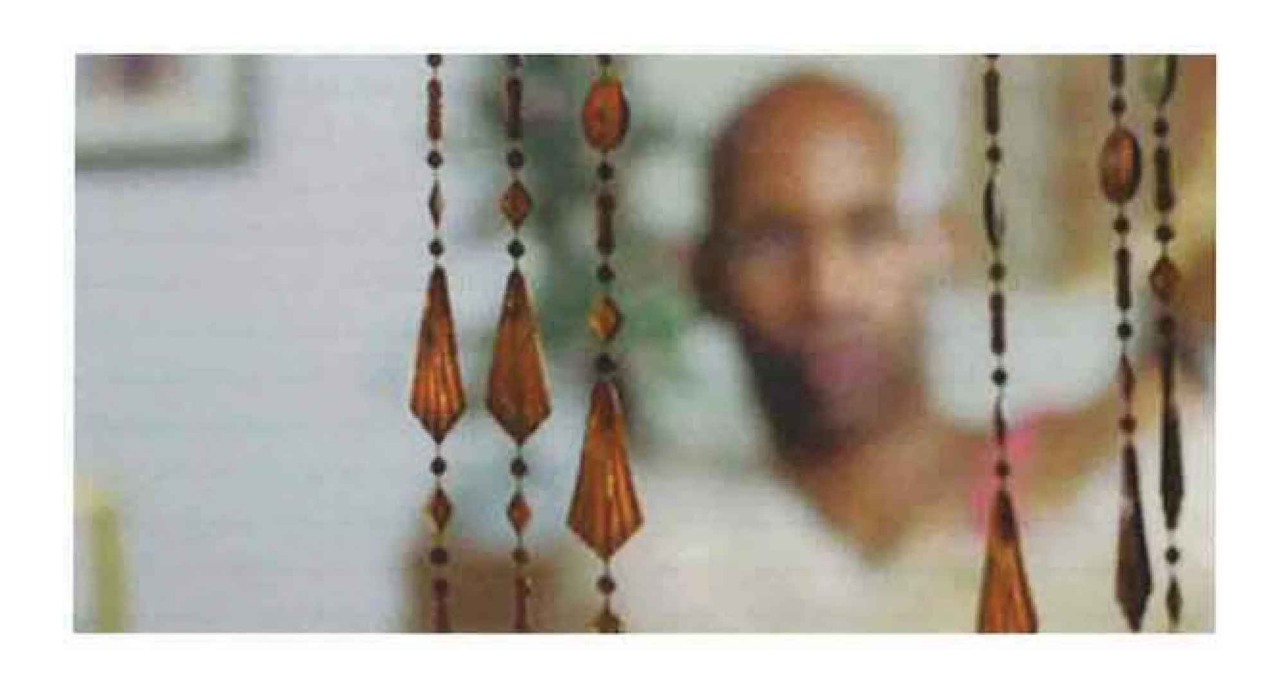
تأجير الشقق المفروشة لمن هب ودبّ. بالقرب من البيت ظهر - فجأة - دكان سمسار عمومي، مستعد لشراء أيّ شيء وبيعه وتأجيره.. أي شيء، حتى لو.... المهم الفلوس، كله (بيزنس) (Business) كما يقول. هذا المحل كان شقة عامرة، تسكن فيه عائلة طيبة.

دكان المعلم يعقوب - صار وكرًا لكل شيء.. كل شيء.. وهو الآن (شيخ منسر) يقبض من البائع والمشتري.. ومن المؤجر والمستأجر.. بل إنه - أحيانًا - يحضر لبعض السيّاح النساء والخمور، ثم يبلغ الشرطة.

منذ ماتت صاحبة البيت، وفُتحت وكالة المعلم فوّاز يعقوب أصبح كل شيء جائزًا.

ازدادت الحركة في الخارج، وارتفع صوت الهمس، مشت على أطراف قدميها، أحكمت ربط حزام روب (الكستور). وضعت أذنها اليسرى مكان المفتاح، الذي ضاع منذ وقت بعيد. حين أيقنت أن الحركة حقيقة، أغلقت الترباس بخفة وهدوء، تعجبت لما حدث، اللصوص - أيام زمان - كانوا يسرقون؛ لأن أصحاب البيت ليسوا فيه، لكن لصوص هذا العصر يسرقون البيوت وأهلها حاضرون، قفزت من الأرض إلى السرير، واستقرت بجوار الزوج النائم، لم تكن قادرة على الكلام، أخذت تهزّه بقوة فقزع قائلاً: مالك يا امرأة.. أكيد ركبك عفريت الليلة.

وضعت يدها - في الظلام - على فمه. احس أن أطرافها باردة، بينما تمتمت هامسة بأنات مذبوح: حرامية..!!.



- ما هذا التخريف؟

اصطكت أسنانها، وهي تتمتم في ضعف وخوف اسـ.. اسمع.. وسـ.. سو.. سوف.. تتـ.. تتأ.. تتأكد..

حاول عنتر أن يصغي لما يحدث خارج الغرفة، وأخيرًا.. أدرك أن زوجته على حق، الآن تذكر أنه.. منذ سنة وسامية تطلب كالونًا جديدًا وترباسًا قويًا، حتى يحكموا إغلاق الباب. تذكر مثلاً كانت تردده أمه - رحمها الله: «الباب المغلق يمنع القضاء المستعجل». الحركة المضطربة في الصالة تزداد وضوحًا. اللصوص.. يمشون.. يتحركون.. يتكلمون.. يسرقون. شعر بالعجز والغيظ في آن واحد: ماذا نفعل؟

لم يستطع أن يقول، أو يفعل شيئًا.. بل لم يعد يعرف كيف يفكر؟! معاني الخيبة والحسرة شلت قدراته، هزته مرة ومرة، وهي تردد هامسة: الوقت ليس في صالحنا.

توقف الزمان.. وتجمد الإنسان، لم تكن زوجته مستريحة لرد فعله. يستحيل أن تتركهم يسرقون بيتهم بهذه الطريقة، كل شيء في متاع البيت له ذكريات عزيزة حتى ملعقة الشاي. بسرعة خاطفة ومن دون تفكير - حركت مفتاح النور، فتحت الباب، اندفعت نحو الصالة وقفت بينهم لم يتحركوا.. ولم يبد عليهم أي تعبير عن الخوف. بنظرة سريعة رأت أنهم أحضروا التلفاز، والفيديو، والمسجل، والصيني، والفضيات، وتمثال فرعوني قديم. لصوص أم تتار.. هؤلاء الرجال الخمسة؟! صاحت من دون وعي، شعرها المنكوش يغطي بعض أجزاء من وجهها المرتعش: ماذا تفعلون يا كلاب..؟!

اظهر واحد منهم مسدسًا، والآخر مطواة قرن غزال، بينما قال ثالث يبدو انه زعيم العصابة: لو أنك رجل لكان لنا معك تصرف آخر.

صاح رابع أعور، وضع على عينه الفارغة عصابة سوداء من الجلد: اخرسي يا امرأة؟.

- إذا لم تتركوا المتاع وتغادروا البيت فسوف أصرخ و...

مسرعًا جرى نحوها الأعور، وضع يده اليسرى على فمها، وغرز خنجرًا في نهاية الرقبة، غلى الدم في عروق عنتر، الذي كان يرقب الموقف من حجرة النوم، مشى خائفًا يترقب، وتمتم مرتعشًا، والضوء يمشي عينيه: خـ.. خـ.. خـ.. خذ.. خذوا.. أ.. ا.. أيّ.. شـ.. شيـ.. شيـ.. شيء.. لـ.. لكـ.. لـ.. لكـ..لكن.. اتـ.. اتـ.. اتـ.. اتركـــــوا.. ز.ز.زو.زوجتي.

جاء صوت الزعيم من خلف القناع: اثبتَ أنك عاقل، وسوف تعود سالمة في الصباح. وإلا..

اقترب منه حامل المسدس، وهو يصوبه ناحية الرأس: لا نريد أن نجعل أطفالك يتامى يا عنتر.

لصوص عصر الكمبيوتر.. يعرفون من يسرقون .. وماذا يسرقون؟!.. كله بيزنس. تبادل مع الزوجة نظرات حزن وخوف وقلق. تأمل امرأته، وهو يجتر همًا وحسرة. امرأته لو فك حزام روب النوم، لظهرت عريانة.. كما ولدتها أمها. تلك عادتها - صيفًا وشتاء - ومنذ تزوجت. صاح كالملدوغ: خذوا

أي شيء.. اتركوا زوجتي.. أرجوكم.. ارجو..

قطع كلامه الزعيم في ضيق: لا نحب أن نقول الكلمة اكثر من مرة أثبتْ أنك عاقل، وسوف ترى.

أي عــقل.. وأي جنون.. يا الله.. يا مــلائكة.. يا عفاريت.. ماذا أعمل.. يا ناس.. يا هوه؟! بدأ اللصوص يرتبون كل شيء في هدوء، وحزموا كل الأمتعة التي جمعوها. شد انتباهه ضحك متواصل من لص متعجرف، لم يتكلم من قبل: شكرًا يا عزيزي.. لقد فتحت باب الحجرة المغلقة، حتى نأخذ الذهب والملابس.. ها.. ها.. هاها.. ولكن أين هو؟

خشي أن يعذبوا زوجته أو يعذبوه، فأجاب سريعًا: في الكمودينو بجوار الشباك.

تساءل الأعور: معك فلوس؟

- لا.. لا والله.

قال شيخ المنسر: إنه موظف.

مع برودة الخوف مرت اللحظات بطيئة.. ثقيلة. بينما اللصوص يحملون المتاع كانت الزوجة غائبة عن الوعي.. الفم مكمم والخنجر في رقبتها. تاه عنتر في الزمان والمكان.. لم يعد سوى عينين تتحركان في ذهول وحسرة. ظن - وبعض الظن خيبة - أنهم سوف يتركون زوجته بعد أن يأخذوا ما يريدون. لكنهم - بهدوء قبيح - جروها معهم، وهم يلوحون بالمسدس والخنجر والمطواة. قال كبيرهم وهو يغلق الباب: اثبتْ أنك عاقل، وسوف تعود لك في الصباح. نحن لصوص.. لكننا شرفاء..!!

سقط الزوج باكيًا.. مذهولاً. أخذ ينظر في دهشة وحسرة ذات اليمين وذات الشمال. ولا يزال البرد شديدًا والليل طويلاً. لم يكن حزينًا على ما سرقوه.. وإنما الذي يهزّه - من الأعماق - منظر زوجته، وهي تتلوى بين يدي اللص، والخنجر مغروس في رقبتها، ظل يبكي.. ويلطم خديه، تحول البيت العامر إلى خرابة موحشة. بينما هو يبكي.. ويلطم خديه، تراءى طيف أمه يأتي من وراء الغيب، وينظر إليه في أسى وحسرة: لا تبك مثل النساء على بيت.. لم تحافظ عليه محافظة الرجال...!







منتيمير شايمييف والنهضة الإسلامية في جمهورية تتارستان

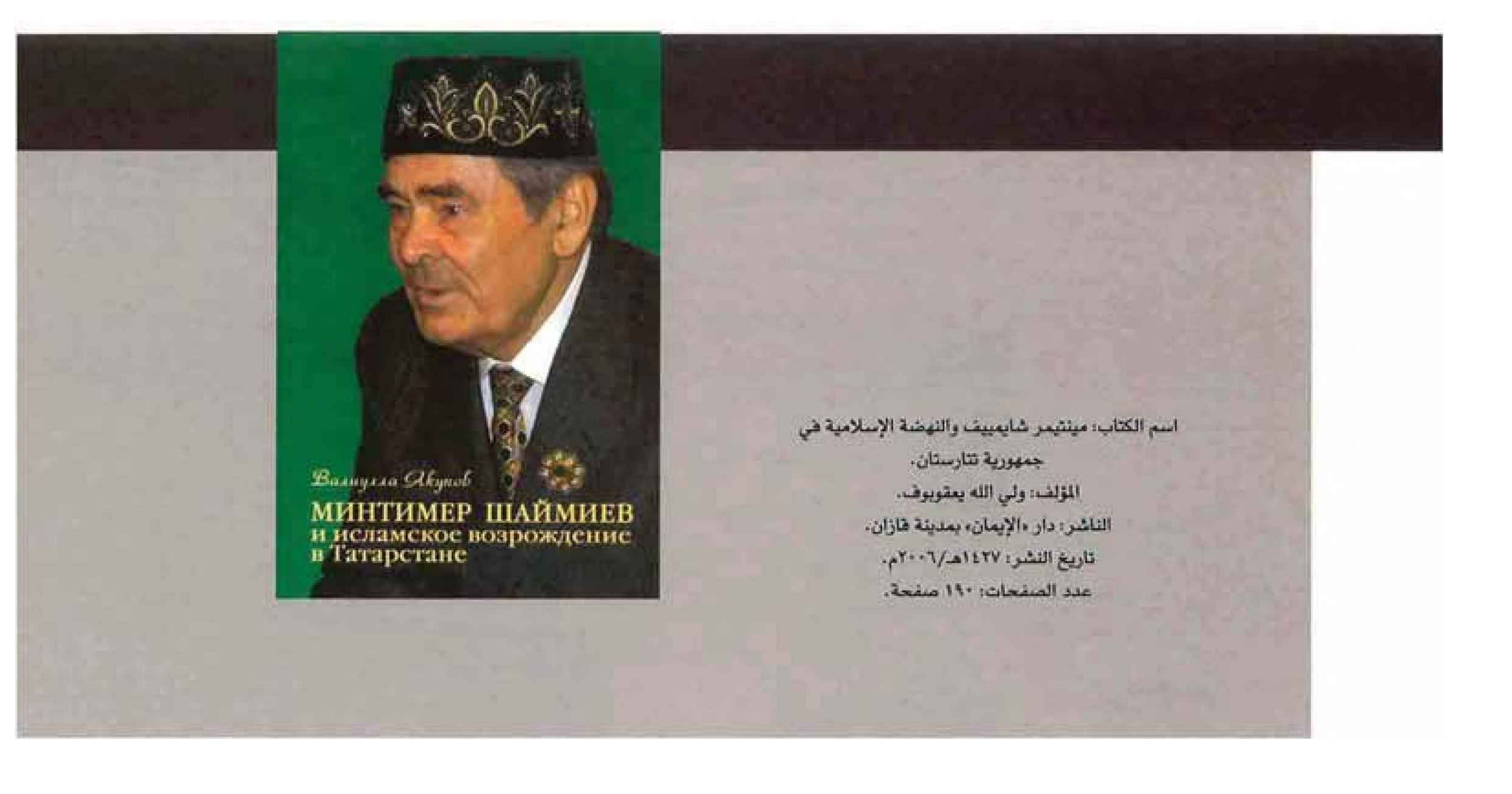
إيلنور بن عبدالبر فيض الله

قازان ـ تتارستان

نال الرئيس التتارستاني منتيمير شايمييف جائزة الملك فيصل العالمية لهذا العام، في فرع خدمة الإسلام، وبهذه المناسبة يسر «الفيصل» عرض كتاب يتناول جهوده في تحقيق النهضة لبلاده، واهتمامه بتقديم صورة مشرقة تعكس وجه الإسلام الحقيقي.

وصل الإسلام إلى منطقة حوض نهر فولغا في القرن التاسع الميلادي مع قوافل التجار المسلمين من وسط آسيا. وقد أسلم شعب البلغار، وأرسل إليهم الخليفة العباسي المقتدر (٢٩٠هـ - ٣٢٠ هـ) من يفقههم في الدين، واعتنق المش - ملك البلغار - الإسلام رسميًا. وكان للإسلام أثر مهم في توحيد القبائل البلغارية، وفي تكوين الدولة المركزية بعاصمتها في مدينة بلغار. وبذلك أصبحت هذه المملكة تمثل منطقة شمالية للعالم الإسلامي.

تعرَّض العالم الإسلامي في القرن الثالث عشر الميلادي للزحف المغولي، وفي عام ١٢٧٣م - بعد ثلاث حملات غير ناجحة - استطاع سوبتاي - قائد الجيش المغولي - أن يستولي على مملكة البلغار، وقامت في المنطقة، على يد المغول، إمبراطورية القبيلة الذهبية، التي أصبحت أول دولة مغولية إسلامية، ثم انقسمت هذه الإمبراطورية إلى ثلاث دويلات، وقامت في هذه المنطقة دويلة قازان، لم يدم عمر هذه الدولة طويلاً، إذ سقطت في عام ١٥٥٢م على يد الروس. وبدءًا من هذا التاريخ تعرض المسلمون في هذه الدويلة لحملات التنصير بالقوة والقسر، ولكن هذه السياسة أخفقت، وظهر نوع من التسامح الديني في عهد الإمبراطورة كاثرين الثانية. وطبع في عهدها القرآن الكريم أول مرة في مطبعة في مدينة سانت بطرسبورغ. وفي عام



اسم الكتاب: مينتيمر شايمييف والنهضة الإسلامية في جمهورية تتارستان.
المؤلف: ولي الله يعقوبوف.
الناشر: دار «الإيمان» بمدينة قازان.
تاريخ النشر: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
عدد الصفحات: ١٩٠ صفحة.

١٩١٧م استولى السوفييت على الحكم في روسيا بعد قيام ثورة ناجحة، لكن سياستهم الدينية لم تكن واحدة؛ فقد أعلن البلاشفة في أول أمر التسامح الديني، ثم تحولوا إلى سياسة منع الدين، فأغلقت المساجد والمدارس الإسلامية، ودمرت المكتبات والمطابع الإسلامية. وتشكلت عام ١٩٢٠م في هذه المنطقة جمهورية تتاريا، ومنحت الاستقلال الذاتي. بعد زوال الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م، بدأ الناس يهتمون بهويتهم القومية والدينية.

موضوع الإسلام في روسيا الاتحادية من ضمن الموضوعات المدروسة قليلاً، مع وجود مناطق في روسيا، أغلبية سكانها مسلمون. ويتصور كثير من الناس اليوم روسيا الاتحادية أنها دولة مسيحية بحتة على المذهب الأرثوذكسي. ولكن الحقيقة تكمن في أن ما يعادل ٢٣٪ من سكانها يدينون بالدين الإسلامي، ويشكلون ٣٨ قومية مختلفة.

المسلمون في تتارستان

جمهورية تتارستان هي إحدى جمهوريات روسيا الاتحادية، تقع على بعد ٨٠٠ كم شرق موسكو، وتمثل نقطة التقاء جزء روسيا الآسيوي مع جزئها الأوربي، ويشكل المسلمون ٦٠٪ من سكانها. أما المسيحيون فهم ٤٠٪. ومدينة قازان هي عاصمة الجمهورية، ومنتيمير شايمييف هو رئيس الجمهورية. وهذا الكتاب الذي نحن بصدده «منتيمير شايمييف والنهضة الإسلامية في جمهورية تتارستان» يعالج العلاقة بين حكومة تتارستان والإسلام، والدور الذي يؤديه الرئيس. شايمييف في هذه العملية. ويستطيع الإنسان العادي،


Отель “Мопка 5”

لا يختصر الإسلام في تتارستان في القرى فقط، فقد بنيت مساجد كثيرة في المدن أيضًا. ففي مدينة قازان - عاصمة الجمهورية ــ يؤدي ٣٥ مسجدًا وظيفته، ويحتل مسجد قول - شريف مكانة خاصة بين هذه المساجد

من خلال قراءة هذا الكتاب، أن يتصور وجهة نظر شايميف، لكونه سياسيًا مسلمًا، عن وضع الإسلام في روسيا الاتحادية والعالم.

مؤلف هذا الكتاب ولي الله يعقوبوف - النائب الأول لمفتي جمهورية تتارستان، ورئيس الأوقاف، ورئيس دار «أيمان» للنشر والتوزيع وهو شخصية إسلامية ذو نفوذ، لا في تتارستان وحدها، بل وخارجها. اعتمد المؤلف في عمله على كتاب «تتارستان: التقدم من خلال الاستقرار، مكون من سبعة مجلدات لمنتيمير شايمييف نفسه.

جمعت في هذا المصدر مقالات، خطابات، وحوارات صحفية، وتقارير، ومعلومات (مواد) ومؤتمرات صحفية تعود إلى مدة رئاسة منتيمير شايمييف الجمهورية، يمثل هذا الكتاب الموضوع بين

يتصور كثير من الناس- اليوم- روسيا الاتحادية أنها دولة مسيحية بحتة على المذهب الأرثوذكسي، ولكن الحقيقة تكمن في أن ما يعادل ٤٣٪ من سكانها يدينون بالدين الإسلامي، ويشكلون ٣٨ قومية مختلفة

يدي الباحث الصورة المتكاملة لتطور جمهورية تتارستان في سنوات حكم منتيمير شايمييف. وهذا الكتاب مصدر مهم لتاريخ تتارستان الحديث.

وقد قسم المؤلف الكتاب إلى ثمانية أبواب. سبعة أبواب أولى صغيرة في الحجم، وتغطي نصف الكتاب، وفي حقيقة الأمر تتكون من مقدمة للباب الثامن، التي تغطي نصفه الثاني. يدور الحديث في هذه الأبواب السبعة عن شخصية منتيمير شايمييف، عن ترجمة حياته، ونظرته للدين، وطبيعته عن الشعب التتاري، وعن سياسة الجمهورية بعد انحلال الاتحاد السوفييتي، وإقامة العلاقات مع عدد من دول العالم الإسلامي، وعن تجديد الدين الإسلامي في تتارستان، وعن الحياة الريفية في تتارستان وخصائصها.

عنوان الباب الثامن من الكتاب «مؤسسة الرئاسة في تطبيق العلاقات الحكومية - الإسلامية». يتناول المؤلف فيه بالتفصيل إسهامات الرئيس منتيمير شايمييف في السياسة الدينية في جمهورية تتارستان، وعلى مستوى روسيا. وقد يبدو لبعض القراء مستحيلاً وجود سياسيين كبار، الذين يستجيبون لهجمات على الإسلام بحسرة. لكل مدة تاريخية شخصياتها، الذين يتميزون بنباغتهم، ومواهبهم، وحكمتهم، ويعطون لزمنهم صبغة خاصة. وإذ نسأل، ما الشخصية المعروفة لدى التتار عند تخوم القرنين العشرين والحادي والعشرين؟ فالجواب واضح، سوف تبقى هذه المدة في التاريخ مثل التي مرت في ظل نشاط رئيس جمهورية تتارستان منتيمير شايمييف

ترجمة حياته

ولد منتيمير شايمييف في يناير عام ١٩٣٧م في قرية أناك في جمهورية تتارستان. وهو نموذجي إلى


من معالم قازان

كان وجود المعابد - أو عدم وجودها على مدار التاريخ - مؤشرًا على مستوى الوعي الديني في الدولة والمجتمع. فمثلاً، كان ٢٣ مسجدًا فقط تؤدي وظيفتها في جمهورية تتارستان قبل عهد إعادة البناء. وقد أعادت الحكومة للطوائف الدينية المباني التي كانت - تاريخيًا - ملكًا لها، كالمساجد، والكنائس والمدارس

حد ما لأغلبية التتار. نموذجي أولاً لانحداره من الريف، حيث تربى تربية المجتمع التتاري التقليدي، بكل مبادئها الإسلامية في الأصل. ثانياً، هو محب للحياة العائلية، وهو متزوج من سكينة خانوم، ولهما ابنان راديك وأيراط. أما فيما يتعلق بصفاته الشخصية، فهي تتطابق بكاملها مع خصال قومية للتتار. ونقرأ في إحدى صفحات الكتاب وصفًا لطبيعته: «منتيمير شايميف في طبيعته ليس ثورياً، بل هو محافظ عاقل. وهو لا يسعى إلى التغيير من أجل التغييرات، بل يتمسك بالقديم ما دام هو قابلاً للحياة، وينفع المجتمع. يقترن اسم شايميف في الأوساط السياسية بكلمة «الحكمة»، ويرى شايميف منبع حكمته في الشعب التتاري: «أرى أن هذه الحكمة ليست حكمتي، وإنما هي حكمة الشعب، وأكرر - أتوصل إلى التفاهم بفضل فردية روح الشعب في حكمة الحياة وفطنته».

قبل أن نبدأ بمعالجة إسهاماته في النهضة الإسلامية نتوقف حول نقطة مهمة، يتطرق إليها المؤلف، وتلفت انتباه القراء، ألا وهي تصريحاته عن الدين التي يراها بعضهم متحفظة، إذ يقول المؤلف عن ذلك: «قيلت هذه التصريحات في السنوات الساخنة تلك، وينبغي علينا أن نقبلها من خلال النظر إليها في سياقها الزمني، وفي مجرى الوضع التاريخي المعين. ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن نسبة غير المسلمين في تتارستان - في ذلك الوقت - كادت تصل إلى نصف سكان الجمهورية. كذلك كانت الجمهورية تواجه ضغوطاً قوية من سلطات الحكومة الروسية. والأحداث الجارية في ذلك الوقت الانتقالي في تتارستان، بما في ذلك تصريحات ساستها، كانت (تقع) تحت الأنظار الثاقبة لوسائل الإعلام الروسية، ولذلك أي تصريح خاطئ للرئيس

في نهاية عام ١٩٩٤م توترت الأوضاع بشكل ملموس بين أبناء مسلمي روسيا. وقد بدأ هذا الانشقاق بصفوف الإدارة الدينية لمسلمي روسيا الاتحادية في عام ١٩٩٢م الذي خفت حدّته إلى حد ما خلال هاتين السنتين، واتسم هذا الطور بصراع موقفي بين الفرق، وباجتذاب المساجد



الرئيس شايمييف مع رئيس مجلس مفتي روسيا راوي حضرة عين الدين ومفتي جمهورية تتارستان عثمان حضرة شاقاييف



في أثناء افتتاح مسجد قول شريف



في أثناء تدشين معرض «الفن الإسلامي» من مجموعة إرميتاج

منتيمير شايمييف كان من الممكن أن يصبح سببًا للانتقاد الشديد، ولهذا السبب لم يسمح منتيمير شايمييف لنفسه بتعريض سمعة تتارستان للهوان. وبعد أن هدأت الأوضاع نسبياً، نراه يعترف بانتسابه إلى الدين الإسلامي».

عودة إلى موضوع دور منتيمير شايمييف في النهضة الإسلامية في تتارستان. فالمؤلف لا يدّعي أن النهضة الإسلامية قامت بجهوده هو فقط، لكنه يشير إلى أن له إسهامًا لا ينكر في هذه النهضة في جمهورية تتارستان. ومن الأمور المهمة في هذا الكتاب هو: أن المؤلف يقتبس أقوال شايمييف لتأكيد ما ذهب إليه. ويبرز المؤلف النقاط الآتية:

سياسة حكومة جمهورية تتارستان الدينية

تعيش في جمهورية تتارستان - اليوم - طائفتان كبيرتان هما: المسلمون والمسيحيون. نقرأ في الكتاب أسس السياسة الدينية في تتارستان بصياغة منتيمير شايمييف: «تبقى مراعاة توازن مصالح الإسلام والمسيحية أحد المواقف المبدئية في السياسة الدينية للدولة»، ونعلم أن المؤسسات الدينية في روسيا الاتحادية منفصلة عن الدولة حسب القانون، لكن شايمييف يرى أن المؤسسات الدينية غير منفصلة عن المجتمع، ولذلك لا يجوز تهميش دورها الاجتماعي، ولهذا السبب تدرك رئاسة الجمهورية ضرورة التعاون البناء مع الطوائف الدينية لحل المشكلات الاجتماعية، على الا يكون ذلك



التسامح سمة العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في تتارستان



وجه من تتارستان

حائلاً دون التوصل إلى وحدة المجتمع.

أشار المؤلف في عدة مواقع من عمله إلى أنه تشكلت في أذهان الناس في العالم - اليوم - صورة سلبية للمسلمين والإسلام القاطنين في بعض الدول، مثل يوغوسلافيا. ويرى أن جمهورية تتارستان استطاعت تفادي مصير هذه الدول بفضل السياسة الحكيمة لرئاسة الجمهورية. وفي الجمهورية لا ينتظرون ظهور تعقيد في العلاقة بين الطوائف، بل يقيمون مؤتمرات عن حوار بين الأديان، ويدعون متخصصين دوليين ورجال دين كبارًا، وهذا الأمر يساعد على معرفة تامة لكل نزعات جديدة في هذا المجال. وتعمل الجمهورية على استباق في هذا المجال من الحياة الاجتماعية في الجمهورية. ينظر الغربيون إلى إنجازات تتارستان في هذا المجال بإعجاب. ويستأثر اهتمام القارئ بهذا الصدد قول شايميف: لقد أصبحت جمهوريتنا في فضاء الاتحاد السوفييتي السابق الجمهورية الوحيدة التي استطاعت أن تجد حلاً لمجموعة من المشكلات المشتركة بين الدول، بطريقة حضارية، ومن دون إراقة الدماء. يبدي الغربيون اهتمامًا بطرائقنا لمعالجة تلك المشكلات ويسمونها (أي: الطرائق) بـ «نموذج تتارستاني».

يجب علينا مساندة هذا الاهتمام؛ لكي تصبح صورة تتارستان المحترمة للإسلام، «عامل النمو السياسي والاقتصادي للجمهورية». (عامل نمو جمهوريتنا سياسيًا واقتصاديًا). التعايش السلمي بين الديانتين الكبيرتين - الإسلام والمسيحية - هو بالنسبة إلينا عامل الاستقرار. هو عامل عظيم. أنا إنسان، الذي اجتاز كثيرًا من اللحظات المتأزمة في سنوات إعادة البناء (البيرسترويكا)، وأستطيع أن أقول: إن كثيرًا من الحركات المتطرفة والأحزاب حاولت إثارة الناس، وخلق ظروف التصادم.

لكن رؤساء الإدارات الدينية لم يبدوا أي محاولة

لم ينكر شايميف إمكانية التعاون مع إدارتين دينيتين مختلفتين. لكن بشرط عدم تشنير الجمهورية بالعنف. ويدعو كلا الطرفين إلى العمل السلمي. ويعد أنه في هذه الحالة فقط يمكن ضمان التعاون المثمر



استقبال الرئيس شايمييف أعضاء الاجتماع العام للإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان بمناسبة عيد الأضحى



شايمييف مع فاروخ حضرة فيازوق بالقرب من مسجد «بلغار» في أثناء زيارة شايمييف لعدد من مساجد قازان

في هذا الاتجاه». وعلى أساس هذه السياسة الدينية الحكيمة تم بناء مسجد قول - شريف، وترميم الكاتدرائية بلاجوفيتشينسكي في كريملن مدينة قازان بقرار واحد من منتيمير شايمييف، وهما رمزان للتعايش السلمي بين الديانتين في الجمهورية.

بناء المساجد

كان وجود المعابد، أو عدم وجودها على مدار التاريخ، مؤشرًا على مستوى الوعي الديني في الدولة والمجتمع. فمثلاً، كان ٢٣ مسجداً فقط تؤدي وظيفتها في جمهورية تتارستان قبل عهد إعادة البناء. وقد أعادت الحكومة للطوائف الدينية المباني التي كانت تاريخيًا ملكًا لها، كالمساجد، والكنائس والمدارس. وخلال مدة وجيزة زاد عدد المساجد على ١١٠٠ مسجد.

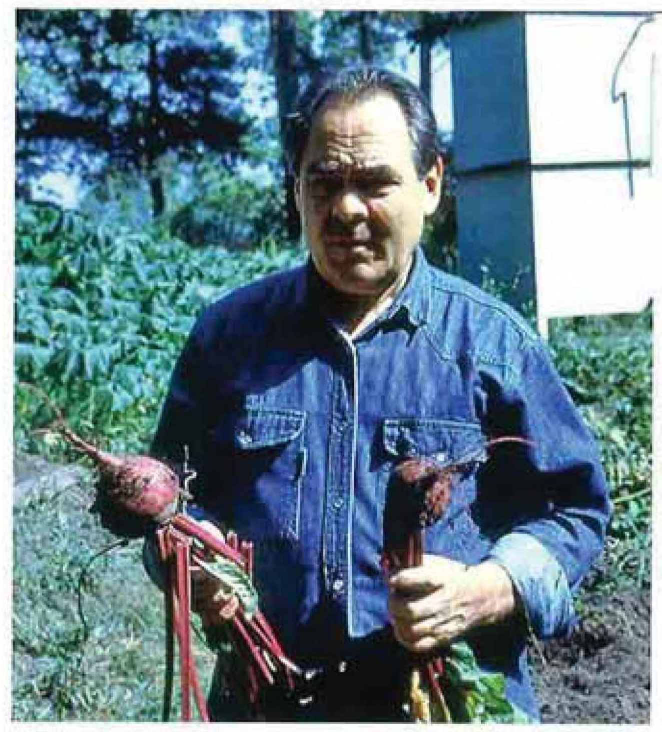
ويشير المؤلف إلى أن هذه الفورة في بناء المساجد تمت بتأييد من شايمييف، ويفهم كل عاقل أنه لم يقدر رؤساء إدارات الأقاليم في الجمهورية أن يأخذوا على عاتقهم المسؤولية للموافقة على مشروعات البناء البارزة كبناء المساجد. ويجب أن يتذكر مسلمو الجمهورية هذه المبادرة الحسنة الصادرة منه. وقد تم تشييد أغلب هذه المساجد في القرى، ويعود سبب ذلك إلى تمركز المسلمين التتار فيها. كذلك تم مد أنابيب الغاز إلى القرى. فاهتمام حكومة جمهورية تتارستان بالريف لم يكن عبثًا، بل لعدة مقاصد اقتصادية من ناحية، كاهتمام الجمهورية بالأراضي الزراعية، ومقاصد قومية، ودينية من ناحية أخرى، ولأن القرية في العهد السوفييتي ظلت ملجأ أخيرًا للغة التتارية وثقافتها. أما التتار الذين عاشوا في المدن فكانوا معرضين للذوبان بين الروس.


التعليم ركيزة لتطوير تتارستان

يصف شايمييف ذلك بقوله: «كانت القرية وسوف تبقى - مع نمط الحياة المعتاد - أساسًا لكثير من بداياتنا المعنوية. مشاهيرنا في العلم، والفن، والثقافة، والتدريس، والصناعة ولدوا وتربوا في البيوت القروية. كانت القرية دائمًا منبعًا للحياة الروحية في مجتمعنا. «ولا يختصر الإسلام في تتارستان في القرى فقط، فقد بنيت مساجد كثيرة في المدن أيضًا. ففي مدينة قازان - عاصمة الجمهورية - يؤدي ٣٥ مسجدًا وظيفته، ويحتل مسجد قول - شريف مكانة خاصة بين هذه المساجد. يقع هذا المسجد في كريملين المدينة، ويعد أكبر وأجمل مسجد في تتارستان. تم وضع الحجر الأساس له يوم عيد الفطر من عام ١٩٩٦م، وتم افتتاحه عام ٢٠٠٥م، إذ تزامن مع ذكرى مرور ألف سنة على تأسيس مدينة قازان. يمثل بناء هذا المسجد إقامة العدالة التاريخية، على حد قول منتيمير شايمييف؛ لأن بناءه هو في الحقيقة إعادة بناء مسجد للإمام قول - شريف، الذي كان قائمًا هناك قبل ٥٠٠ سنة. ولم يقتصر مشاركته في بناء المساجد على تتارستان فقط، اشترك عام ١٩٩٧م في افتتاح المسجد التذكاري بموسكو. وخصصت حكومة تتارستان مبلغًا قدره مليار روبل لبناء ذلك المسجد. والمبلغ نفسه لبناء المسجد الجامع بمدينة سانت بطرسبرغ.

جهوده في توحيد الإدارتين الدينيتين الإسلاميتين في إدارة دينية واحدة

في نهاية عام ١٩٩٤م توترت الأوضاع بشكل ملموس بين أبناء مسلمي روسيا. وقد بدأ هذا الانشقاق بصفوف الإدارة الدينية لمسلمي روسيا الاتحادية في عام ١٩٩٢م الذي خفّت حدّته إلى حد

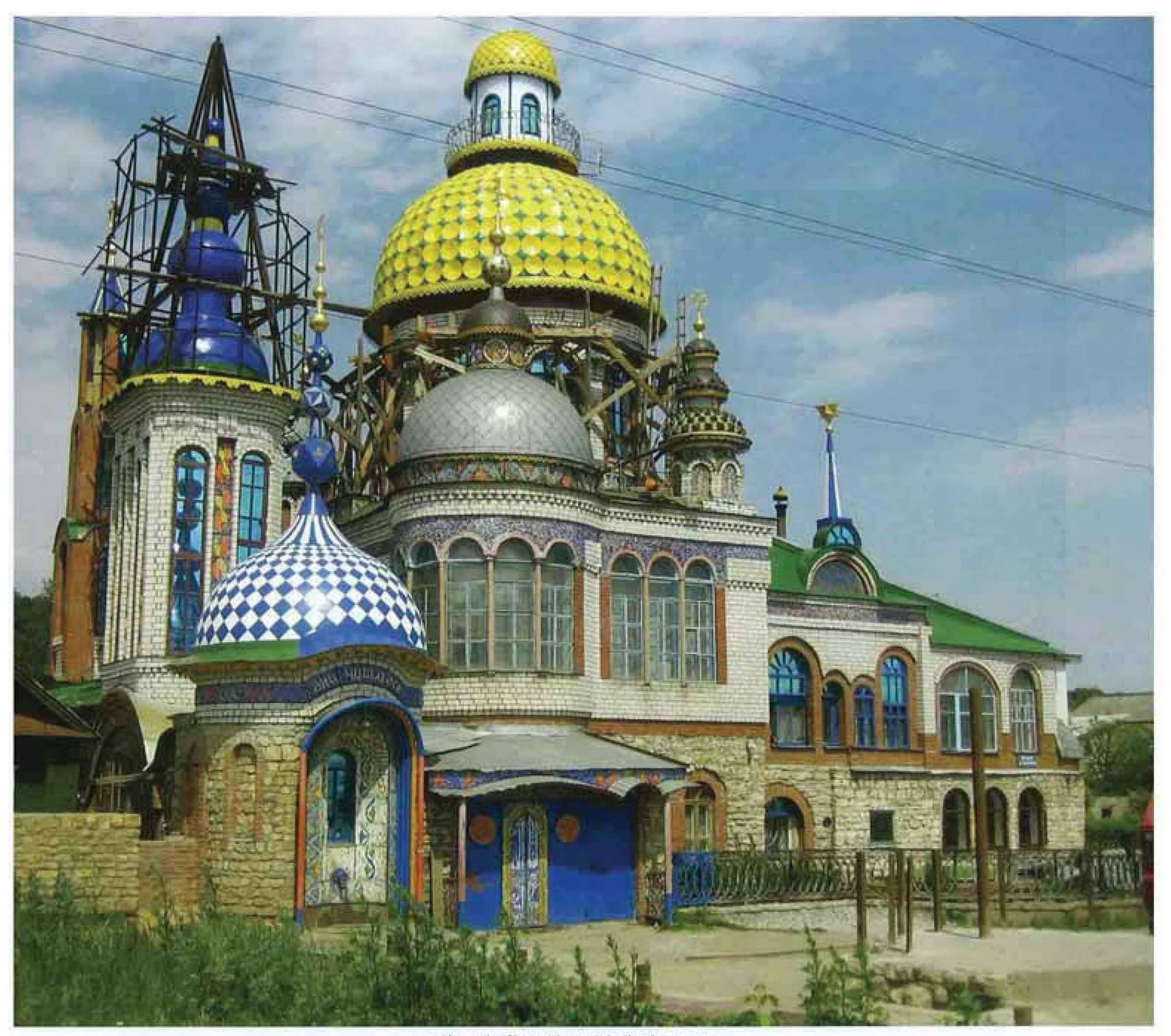

الزراعة من اهتمامات الرئيس شايمييف

ما خلال هاتين السنتين، واتسم هذا الطور بصراع موقفي بين الفرق، وباجتذاب المساجد بعضهم من بعض. وفي نهاية عام ١٩٩٤م تأزم الوضع بسبب الأزمة الجديدة في الإدارة الدينية المركزية لمسلمي روسيا. فقد أصبح إنشاء (تأسيس) الإدارة الدينية الإقليمية لمسلمي جمهورية تتارستان. من طرف الإدارة الدينية المركزية لمسلمي روسيا الاتحادية في خريف عام ١٩٩٤م، التي أصبحت إدارة منافسة للإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان، عاملاً حافزاً إلى توتر الأوضاع في الجمهورية. هذا التصرف من طرف الإدارة الدينية المركزية أحدث رد فعل قويًا من طرف مسلمي الجمهورية.

فعقد المؤتمر الثالث للإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان في شهر يناير عام ١٩٩٥م، وكان احد قرارات هذا المؤتمر هو جعل مسجد مرجاني مقراً للإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان. ومسجد مرجاني هو المسجد المركزي في تتارستان، وكان آنذاك تابعًا للإدارة الدينية المركزية لمسلمي روسيا الاتحادية. وقد تم الاستيلاء على هذا المسجد بمساعدة طلاب المدرسة الإسلامية الواقعة وراء بحيرة قابان بمدينة قازان. وقد رأى منتيمير شايمييف أن هذا النزاع في أساسه يعود إلى أسباب دنيوية بحتة، الغطرسة، والمصالح الاقتصادية.

ويقول: «بدأ ذلك من الإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوربي وسيبيريا، التي ترأسها طلعت تاج الدين، وكانت تصرفاته سببًا لبداية الانشقاق، وكان جميع مسلمي القسم الأوربي وسيبيريا تحت نفوذ الإدارة الدينية بمدينة أوفا. حدث فيها انشقاق خطير، أثر في مسلمي جمهوريتنا أيضًا. توجد المساجد التي تؤيد - اليوم - الإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوربي وسيبيريا بمركزها في مدينة أوفا، والمساجد الأخرى تعترف بحضرة علي - رئيس الإدارة الدينية التي أنشئت في الجمهورية في تلك المدة - وتم بعد ذلك الاستيلاء على مدرسة (محمدية)، وهذا الأمر الذي عقّد العلاقات بين حكومة الجمهورية والإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان.

انضمت روسيا الاتحادية إلى منظمة المؤتمر الإسلامي بصفة مراقب في ٢٩ يونيو عام ٢٠٠٥م. ترجع بداية هذه العملية إلى احتفال بافتتاح المؤتمر العاشر لمنظمة المؤتمر الإسلامي في أكتوبر عام ٢٠٠٣م. بناء على دعوة من رئيس وزراء ماليزيا السابق مهاتير محمد



مبنى يرمز إلى التعايش بين الدينين الإسلامي والمسيحي

لم ينكر شايميف إمكانية التعاون مع إدارتين دينيتين مختلفتين، لكن بشرط عدم تشنير الجمهورية بالعنف، ويدعو كلا الطرفين إلى العمل السلمي، ويعد أنه في هذه الحالة فقط يمكن ضمان التعاون المثمر. وأعرب منتيمير شايميف استعداده للمشاركة في بحث طرائق مقبولة لحل مشكلات المسلمين. لم يقدر رؤساء الإدارات الدينية في جمهورية تتارستان التوصل إلى الوفاق مدة ثلاث سنوات. التقى شايميف رؤساء الإدارات الدينية التي تأسست في الجمهورية، ويجب أن نقول: إنه توصل معهم إلى قرار يؤكد ضرورة إجراء المؤتمر لتوحيد الإدارات الدينية في إدارة واحدة تحت رئاسة مفتي واحد. ويؤكد المؤلف أن تدخل منتيمير شايميف في وقت ملائم كان عاملاً حاسمًا لعدم تأجيل إجراء هذا المؤتمر

التوحيدي. وقد تم تحديد موعد إقامة المؤتمر التوحيدي، وخصصت حكومة الجمهورية لعمل هذا المؤتمر مبنى مسرح باسم علي عسكر كمال، وفنادق، ووسائل النقل للمؤتمرين؛ لتسهيل عمل المؤتمر. ويقر المؤلف أنه في ١٤ فبراير من عام ١٩٩٨م توحدت إدارتان دينيتان في إدارة واحدة، وانتخب عثمان إسحاقوف مفتيًا عليها.

ألقى منتيمير شايمييف كلمة فيه. يؤكد المؤلف أن إجراء هذا المؤتمر يعد أهم حدث في السنوات الأخيرة من حياة مسلمي الجمهورية، وكذلك يؤكد الدور المهم الذي يؤديه منتيمير شايمييف في إجرائه. استقرت الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان بعد مؤتمر توحيدي في مسجد المرجاني مؤقتًا. وبمبادرة من شايمييف تم اقتراح تقديم مبنى في وسط مدينة قازان ليكون مقرًا جديدًا لها. وقد شيّد المبنى على الطراز الإسلامي، وحضر عدد كبير من الضيوف افتتاح المقر.

إقامة العلاقات مع العالم الإسلامي

بدأت جمهورية تتارستان في التسعينيات من القرن العشرين إقامة علاقاتها مع دول العالم الإسلامي. وخصص المؤلف الباب الخامس من الكتاب لمعالجة هذا الموضوع، ويصف المؤلف فيه الزيارات الرسمية التي قام بها شايمييف ووفود حكومة الجمهورية إلى كل من تركيا، والإمارات العربية المتحدة، والعراق، وجمهورية إيران الإسلامية، وأوزبكستان، وأذربيجان، وماليزيا، وكازاخستان، والمملكة العربية السعودية. وكانت زيارته إلى المملكة العربية السعودية عام ٢٠٠٦م، التي افتتحها بالعمرة. كذلك زار عدد من رؤساء الدول الإسلامية جمهورية تتارستان. وقد أثارت الإنجازات الاقتصادية والصناعية، كاستخراج البترول، وصناعة البتروكيماويات، والشاحنات، والطائرات بالدرجة الأولى اهتمام الدول الإسلامية. ينظر المؤلف إلى وجود النفط في الجمهورية على أنه من العوامل التي تقرب تتارستان من الدول الإسلامية.

ومن المعلوم أن الجزء الأكبر من الموارد النفطية في العالم اكتشفت في المناطق التي يقطنها المسلمون. وتؤدي حقيقة وجود صناعة إنتاج النفط - حتميًا - إلى إقامة العلاقات مع الدول المنتجة للنفط، ومن البديهي أن أغلب تلك الدول هي الدول العربية. ويقول شايمييف بهذا الصدد: «نعيد إقامة العلاقات التاريخية مع الشعوب الإسلامية. وإذا لم ندعم العلاقات الطبيعية، ولم نُقِم الجسور في العالم الإسلامي؛ لكان ذلك غريباً. ومثلاً التقيت منذ زمن قريب رئيس مصر، وملك ماليزيا، ورئيس جمهورية إيران الإسلامية».

ويشير المؤلف إلى أن منتيمير شايمييف بعد عدد من أسفاره وضع مهمة استخدام نهر فولغا طريقًا تجاريًا سوف يربط جمهورية تتارستان مع العالم الإسلامي.

وإلى جانب الثمار الاقتصادية، كان لتلك اللقاءات

اهتمام حكومة جمهورية تتارستان بالريف لم يكن عبثًا، بل لعدة مقاصد اقتصادية من ناحية، كاهتمام الجمهورية بالأراضي الزراعية، ومقاصد قومية، ودينية من ناحية أخرى. ولأن القرية في العهد السوفييتي ظلت ملجأ أخيرًا للغة التتارية وثقافتها





صورتان قديمتان: أبراج في قازان (أعلى) مسجد قازان (أسفل)

أثر في نفسية شايمييف. وكان يجري في أثناء لقاءاته مع رؤساء الدول الإسلامية التطرق إلى ما يحدث في العالم الإسلامي. وللقائه مع طرغت أوزال أكبر أثر فيه، الذي كان يتكلم على الدور الذي يؤديه الإسلام في العالم، وعن نظرة العالم تجاه الإسلام والشعوب الإسلامية.

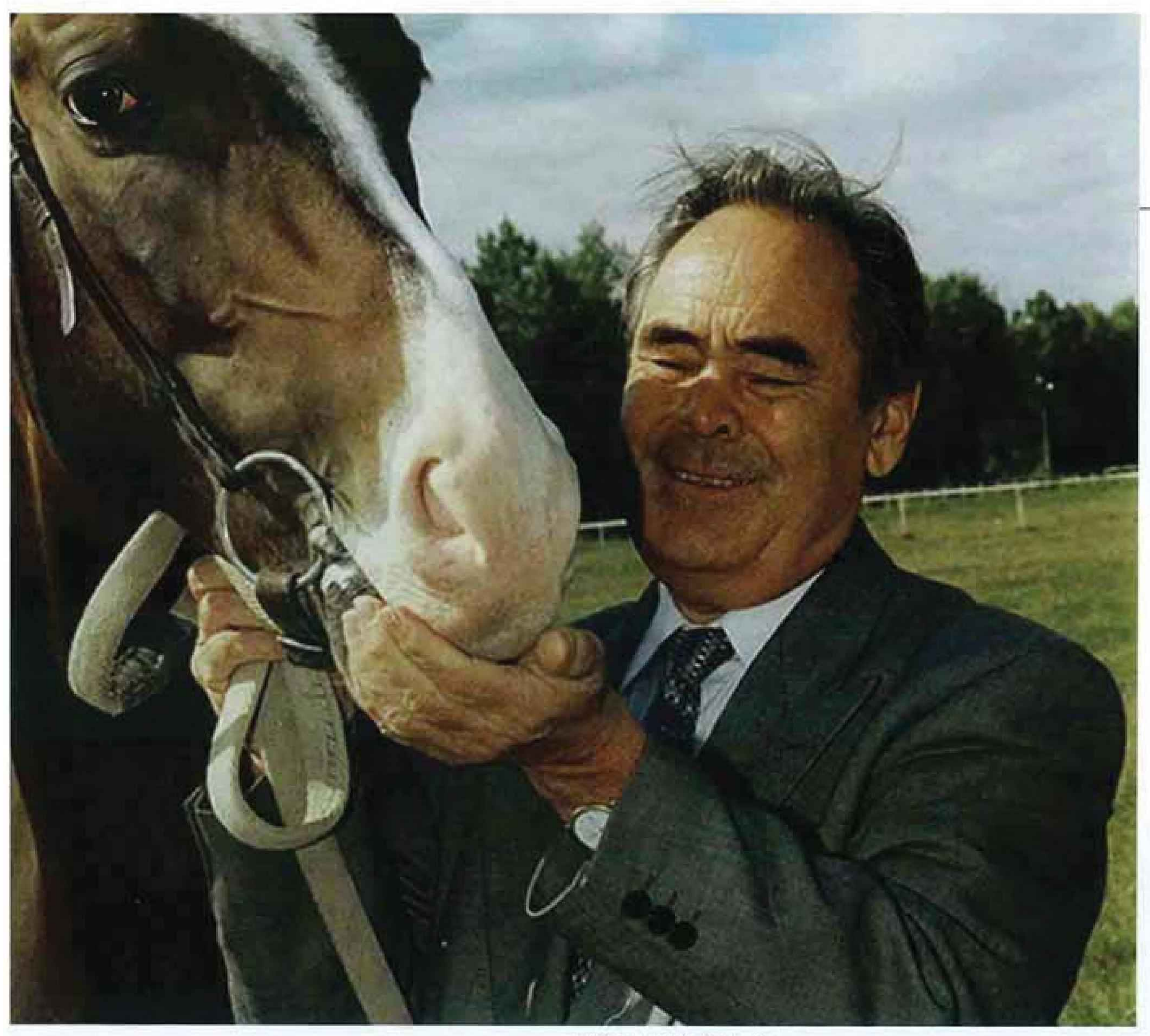
وبدأ شايمييف بعد هذا اللقاء يتابع ما يحدث حول الإسلام في العالم باهتمام كبير، وبدأ يفهم أن رؤساء عدد من الدول، في الحقيقة، لا يريدون أن يروا في الإسلام إلا الشر، من دون التفكير في تصرفاتهم. كان منتيمير شايمييف صاحب مبادرة انضمام روسيا إلى منظمة المؤتمر الإسلامي بصفة مراقب، وهو الذي مهد سبيلاً لحضورها في المنظمة.

وجدير بالذكر أن علاقات الصداقة بين شايمييف وأكمل الدين إحسان أوغلو تكونت في أثناء أعمال مؤتمر «الثقافة الإسلامية في منطقة فولغا - أورال» المنعقد في ٨ يونيو عام ٢٠٠١م بمدينة قازان. كان إحسان أوغلو في ذلك الوقت يترأس مركز الدراسات والبحوث الإسلامية بمدينة إستانبول لدى منظمة المؤتمر الإسلامي، وحاليًا هو الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي. زار أكمل الدين إحسان أوغلو مدينة قازان بعد زيارته تلك لها عدة مرات، وكذلك شرف بحضوره افتتاح مسجد قول - شريف، بما منحه أهمية عالمية. صرح شايمييف في شهر نوفمبر عام ٢٠٠٣م في حديث لوكالة «إنترفاكس» بضرورة تعاون وثيق بين روسيا الاتحادية ومنظمة المؤتمر الإسلامي حيث قال: «أصبح العامل الإسلامي في الأعوام الأخيرة أكثر بروزاً في روسيا كما هو في العالم كله. وإذا كانت عبارة (إسلاموفوبيا) كثيرة الاستخدام، فحاليًا في روسيا يتكلمون علانية عن كون بلادنا جزءًا من العالم الإسلامي».

انضمت روسيا الاتحادية إلى منظمة المؤتمر الإسلامي بصفة مراقب في ٢٩ يونيو عام ٢٠٠٥م. ترجع بداية هذه العملية إلى احتفال بافتتاح المؤتمر العاشر لمنظمة المؤتمر الإسلامي في أكتوبر عام ٢٠٠٣م، بناء على دعوة من رئيس وزراء ماليزيا السابق مهاتمير محمد.

الجامعة الإسلامية الروسية

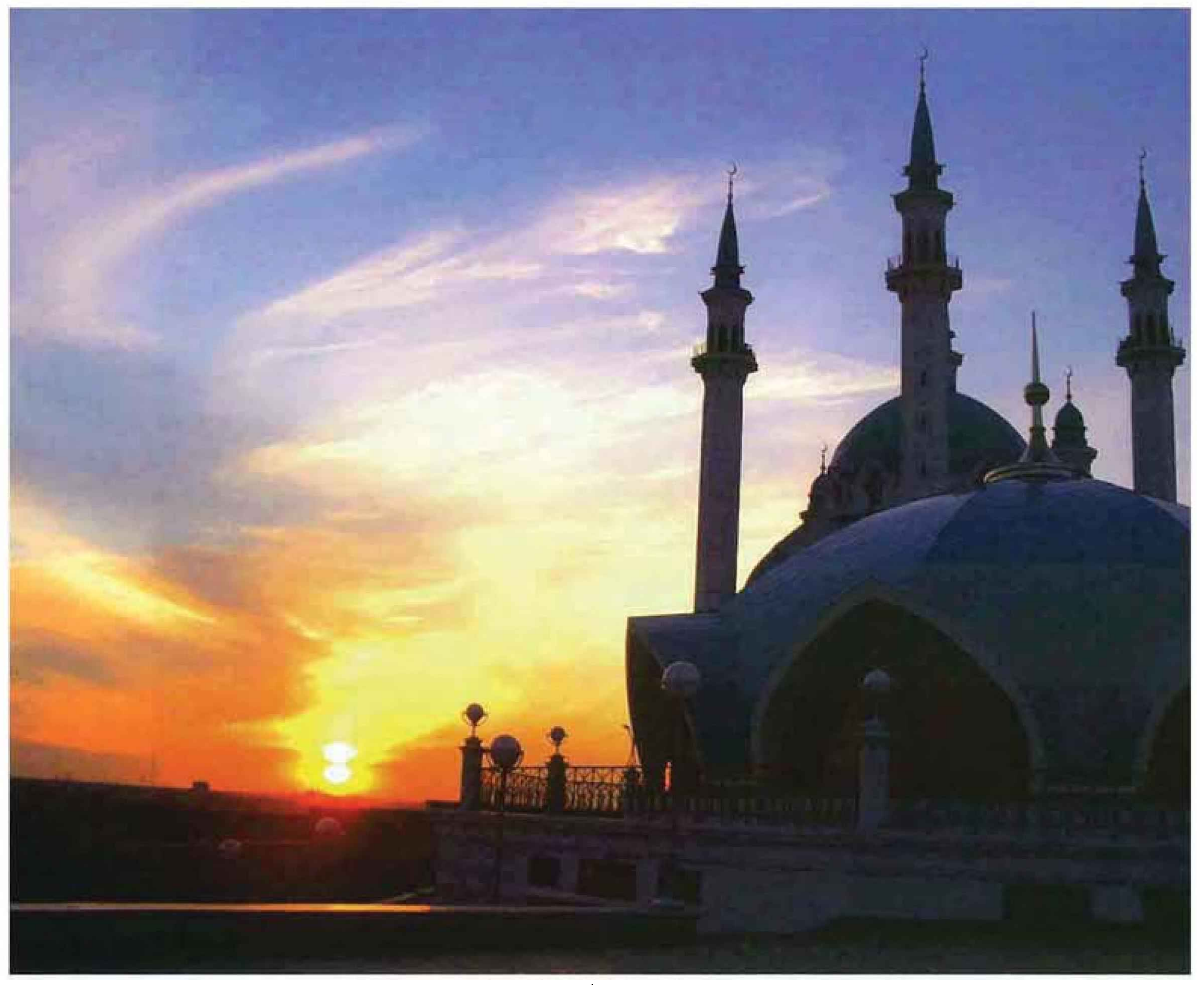
كثرة المساجد في تتارستان كانت سببًا لإعداد الأئمة



الفروسية إحدى هوايات منتيمير

للمساجد للقيام بدورهم الدعوي. افتتح في فترة التسعينيات عدد من المدارس الإسلامية لإعداد الأئمة والمعلمين للقيام بالعمل الدعوي والتعليمي. قال شايمييف عام ١٩٩٦م بهذا الصدد: «تجاوز عدد المساجد ٥٠٠ مسجد، ولكن لا توجد الكوادر المؤهلة للعمل فيها. ونرى من الأفضل أن يتم إعداد رجال الدين المسلمين في جمهوريتنا». وفي عام ١٩٩٨م، بعد المؤتمر التوحيدي، افتتحت في مدينة قازان الجامعة الإسلامية الروسية بالتعاون المباشر بين سلطات جمهورية تتارستان والإدارة الدينية الإسلامية لجمهورية تتارستان. خصصت الحكومة مبنى مناسبًا لهذه الجامعة بفضل موقف حاسم لمنتيمير شايمييف، وبفضل التمويل المنتظم أصبح من الممكن إيصال الجامعة إلى مستوى مؤسسة دراسية معاصرة. يتم في الجامعة حاليًا تدريس طلاب من المناطق المختلفة من روسيا، بمن فيهم طلاب من الجنسيات القوقازية.

إسهامات مينتيمير شايمييف في توجيه السياسة الدينية لروسية الاتحادية



مسجد قول شريف أكبر مساجد تتارستان

اضطر شايميف - على حد قول المؤلف - إلى أن يأخذ على عاتقه مهمة صياغة ودفاع عن المصالح العامة للمجتمع الإسلامي في روسيا. وكان تقويمه موضوعيًا، وفيه نقد جريء للاتجاهات السلبية في سياسة المركز الفيدرالي، وتحذير عن اتجاهات سلبية ممكنة في أثناء نمو المجتمع الإسلامي نفسه. وفي أي حال من الأحوال، هو نصير لهذا المجتمع الإسلامي الكبير، ويناقش ذلك بمهارة مع الدوائر المتخوفة من الإسلام، ولم يبق هذا الموقف المبدئي خفيًا، وبدأ يتمتع بسمعة طبيعية في أوساط مسلمين من المناطق الكثيرة في روسيا الاتحادية، ومن ضمنها جمهوريات شمال قوقاز.

لم يَخَفْ ولم يتردَّدْ شايمييف في استخدام نفوذه الشخصي في الذود عن مصالح الأمة الإسلامية الروسية، حيث كانوا يستمعون - في الحكومة الروسية - إلى رأيه عند اتخاذ القرارات، وبفضل جهوده أخذ

جزء من مصالح مسلمي روسيا في الحسبان، في عملية سياسية جارية في روسيا. يقول شايميف: «لكن المؤسسات الحكومية الفيدرالية لا تنظر إلى مشكلات المسلمين مثلما نريده». مثلاً: يشير المؤلف إلى تدخل شايميف في مسألة تدريس مادة «أسس الثقافة المسيحية» في المدارس الثانوية، واقترح تبديل تلك المادة بمادة «أسس الديانات العالمية». كان لتدخله في هذه المسألة في ذلك الوقت أثر في عرقلة إدخال تلك المادة في المدارس على مستوى فيدرالي، ثم تلا ذلك اقتراح بتدريس تاريخ الأديان العالمية في المدارس. تحرص رئاسة جمهورية تتارستان على عدم السماح لديانة معينة بميل لمصلحة طائفة ما. فالتوازن بين الأديان هو مبدأ ثابت لديها.

وسائل الإعلام

كان منتيمير شايميف يفهم الدور الذي يمكن أن تؤديه وسائل الإعلام في تثقيف الناس بالدين الإسلامي. يستحق نقده الموجه لوسائل الإعلام أن يوضع في الحسبان «نكون صريحين، اهتمام القنوات الروسية اليوم بثقافة الشعوب القاطنة في روسيا وبعاداتها وأديانها قليل جداً. كلّفنا إنشاء برنامج إخباري - تثقيفي جهداً جهيداً «دائرة المعارف الإسلامية. ألف يوم ويوم». يستخدم شايميف نفوذه لحماية مصالح المسلمين في وسائل الإعلام الفيدرالية، بما في ذلك التلفاز. عاد عدة مرات في تصريحاته إلى مسألة صورة الإسلام في الإعلام حيث قال: «هذا مستحيل. شيطنة الإسلام - خطأ خطير. يدين اليوم مليار وخمسمئة مليون نسمة بالدين الإسلامي. ويجب أن نأخذ في الحسبان أن أكثر من ٢٠ مليون نسمة في روسيا يعدون أنفسهم مسلمين. وفي الواقع، روسيا هي إحدى كبرى الدول «الإسلامية».

يفصل شايميف بين الإسلام والإرهاب حيث يقول: «لا يجوز ربط الإرهاب بالإسلام. كل الأديان تعلن فكرة رحمة الرب العامة، وتدين الجور على الناس». يدخل شايميف في مناقشات مع الذين يحاولون تشويه صورة الإسلام ويقر أن «الإسلام في طبيعته دين سلمي ومتسامح». يقرر أنه «تشكلت في العالم اليوم صورة سيئة عن الإسلام إلى حد ما»، ويحلل الأسباب المؤدية إلى هذا الوضع بقوله: «كانت المنظمات السياسية المتطرفة إلى حد ما سببًا لذلك، حيث كانت تستتر بالإسلام، وفي حقيقة الأمر تنزع الثقة منه. وتساعدها بعض الدوائر السياسية المتخوفة من تأثير الإسلام في انتشار هذه الصورة إلى درجة كبيرة». ثم يقترح شايميف اتخاذ الخطوات المعينة لتجاوز هذا الوضع وتفاديه: «أرى أن مهمتنا تكمن في توصيل الحق إلى الناس عن طبيعة الإسلام، وتشكيل صورة جديدة للإسلام بوصفه دينًا مسلمًا، معاصرًا، متسامحًا، قادرًا على استجابة إيجابية على التحديات».

افتتحت في مدينة قازان الجامعة الإسلامية الروسية بالتعاون المباشر بين سلطات جمهورية تتارستان والإدارة الدينية الإسلامية لجمهورية تتارستان. خصصت الحكومة مبنى مناسبًا لهذه الجامعة بفضل موقف حاسم لمنتيمير شايميف، وبفضل التمويل المنتظم أصبح من الممكن إيصال الجامعة إلى مستوى مؤسسة دراسية معاصرة



د. محمد المعشني:

اهتمام غربي بلسان ظفار، وإهمال عربي!

أجراه: حسين حسن حسين

قسم التحرير

"لسان ظفار الحميري المعاصر"*. دراسة معجمية مقارنة وضعها الدكتور محمد بن سالم المعشني – الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية في جامعة السلطان قابوس – وهي تثير أسئلة كثيرة حول اللغة العربية الفصحى، وأصلها، ونشأتها، وعلاقتها بالألسن العربية الأخرى.

وتتناول الدراسة ـ تحديدًا ـ علاقة لسان ظفار الحميري باللغة الفصحى، وقد حاولنا في هذا الحوار استجلاء بعض الحقائق عن هذه العلاقة، وقد تطرق الحوار إلى بعض القضايا اللغوية المعاصرة، التي تتصل بواقع الثقافة العربية، وما يحيط بها من ظروف تتأثر بها سلبًا وإيجابًا.

◆ ما حقيقة تنوع اللسان العربي؟

– من الخطأ التسليم بأن العرب ليس لهم غير لغة واحدة هي اللغة العربية الفصحى؛ لأن واقع تنوع ألسنة العرب اعترف به حتى أولئك الذين كانوا أشد تعصبًا وانحيازًا للعربية الفصحى، فيقر الطبري بأن العرب وإن جمعهم جميعًا اسم أنهم عرب، فهم مختلفو الألسن بالبيان، ومتباينو المنطق والكلام، وتوحي تسمية اللغة العربية الفصحى – ضمنيًا – أن هنالك لغة عربية، أو لغات غير فصيحة، بل إن هذه التسمية تميزها من سائر اللهجات واللغات العربية الأخرى التي تكلم بها العرب.



وقد قال عالم علماء العربية أبو عمرو بن العلاء (ت: ١٥٤هـ): «ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا»، فهو يؤكد أن اللسان الحميري لسان عربي، لكنه ينفي بأن يكون اللسان العربي الجنوبي مطابقًا للسان العربي الذي نزل به القرآن.

ويرتبط بخطأ وجود لغة واحدة للعرب، خطأ حصر كل القبائل والأمم العربية لغة، وجنسًا، وزمانًا، ومكانًا، في نجد والحجاز، فقد سجل التاريخ وجود قبائل عربية في مصر والشام والعراق منذ قبل الميلاد ويقرون متطاولة، فقد كانت الجزيرة العربية موطن العرب الأول - كما يصورها العلماء - مثل الخزان الكبير الذي إذا امتلأ يفيض على حوله.

لقد درست في كتابي مفهوم العربية الجنوبية القديمة المنتشرة في أمكنة واسعة من الجزيرة العربية، وعلاقتها بالعربية الفصحى التي غطت بلاد الجزيرة، وتُوحد العرب فيها، ونزل بها القرآن الكريم، وأصبحت هي لغة الجميع الذين توحدوا فيها من جميع القبائل والأماكن.

والواقع يشير إلى أن هناك بعض الأماكن في جنوب



عمان .. تراث غني يستحق البحث والدراسة

الجزيرة العربية لاتزال على لون من الحميرية في سلطنة عمان، واليمن.

ولأنني سبق أن وضعت كتابًا معجميًا عن العلاقة بين الجبالية والفصحى، فقد اخترتها نموذجًا.

والفصحى - التي أعنيها - هي التي تعكسها المفردات، أو اللغة المعجمية القديمة، التي أغلب كلماتها لم يعد مستخدمًا. وقد اتضح لي أن عوام الناس من الأميين وكبار السن في منطقة ظفار يستخدمون ألفاظًا تراثية قديمة، لا يعرفها - أحيانًا - إلا الفئة الخاصة من المتخصصين، وهي من رحم اللغة العربية الجنوبية القديمة التي اندثرت في أماكن جبلية وصحراوية بعيدة عن مراكز التأثر، وهي لا تستخدم إلا في نطاق التعامل اليومي مثل العاميات الأخرى، وقد بقيت اللغة الفصحى هي لغة العبادة والكتابة والفكر. وهناك لغات أخرى

موجودة على شكل لغات محكية بسيطة.

◆ لماذا لسان ظفار الحميري، وليس لغة ظفار، أو لهجتها؟

- كلمة لسان تستخدم في التراث اللغوي القديم، وفي نصوص القرآن الكريم بمعنى اللغة في فهمنا المعاصر، في حين تستخدم كل من كلمتي لغة ولهجة بمعنى واحد، وهو تلك التنوعات المحلية والفروق الصوتية للغة الواحدة.

وبما أننا نعتقد أن لسان ظفار الحميري المعاصر يشكل لغة مستقلة قائمة بذاتها، فقد آثرنا تسميته باللسان؛ لأنها الأدق والأنسب للتعبير عن هذه الحقيقة اللغوية، مع أننا لا ننكر بأن هذا اللسان الحميري المعاصر قد يكون يومًا ما لهجة من لهجات اللسان العربي القديم قبل أن يستقل بنفسه، ويصبح لغة قائمة بذاتها، كما هو اليوم.

أما إيراد كلمة ظفار في التسمية، فكان القصد منه الإشارة إلى ارتباط هذا اللسان بشكله الحالي بظفار.

أما نعت هذا اللسان بالحميري؛ فكان لهدفين، الأول: الخروج من ضيق التسميات المحلية لهذا اللسان، وهي تسميات حديثة العهد من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنها تحصره في حيز مكاني ضيق من ظفار، وتربطه بفئة محدودة من الناس، مع أنه يمثل امتدادًا للغة حمير، أو العربية الجنوبية التي كانت منتشرة في مناطق واسعة من جنوب الجزيرة العربية واليمن.

والهدف الآخر هو تأكيد عراقة هذا اللسان، وارتباطه العميق بالمنطقة، وتراثها، وتاريخها.

الفضائيات والإذاعات لها ما لها، وعليها ما عليها، فهي تستخدم اللغة العربية الفصحى المعيارية في نشرات الأخبار، والندوات، والأمور السياسية والثقافية، وهي التي تغلب عليها، وقد أوجدت لغة فصحى مفهومة للجميع

◆ ما موقع لسان ظفار الحميري في الدراسات اللغوية قديمًا وحديثًا؟

- لا توجد معلومات كافية في المصادر العربية عن لسان ظفار الحميري، ومعظم ما ورد عن لغة الشحر، والشحر حسب معجم البلدان لياقوت الحموي «تمتد من رأس حاسك حتى رأس ساجر، وأهم مدنها في القرون الإسلامية الأربعة الأولى: حاسك، ومرباط، وظفار، ورخيوت»، وهذه المدن كلها تقع في إقليم ظفار، وظفار آنذاك هي ما يعرف اليوم بصلالة.

وكل ما ورد عن بلاد الشحر هو في الأغلب كلام عام من قبيل أنها بلد عاد الأولى، وأرض الأحقاف، ولغة أهلها هي اللغة العربية الجنوبية، وأنها كانت ذات نشاط تجاري كبير قائم على تجارة اللبان التي أورثتها شهرة عالمية، وثراءً عريضًا.

ولا توجد في المصادر العربية معلومات كافية عن لسان ظفار الحميري المعاصر، ومعظم ما أوردته تلك المصادر ينحصر في وصف لغة الشحر بالغرابة والصعوبة.

وشهد القرن العشرون صدور بعض الإصدارات العربية، التي تشتمل على إشارات عابرة ووصف عام للسان ظفار الجنوبي، بينما اهتم العلماء الغربيون من المستشرقين بهذا اللسان، وأصدروا عددًا من الدراسات والمقالات، منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي.

وكان قنصل فرنسا بجدة فرنسل Frensel، أول غربي عرف وجود لسان ظفار الحميري المعاصر، وقد سماها Ehkili نسبة إلى القبيلة المعروفة في ظفار.

◆ ما الذي يضيفه كتابكم «لسان ظفار الحميري المعاصر»؟

استغرقت في وضع هذا الكتاب نحو ست سنوات، بحثًا في معجمات العربية القديمة والحديثة، ودراستها، وجمعت المفردات المشتركة بين لسان ظفار واللهجات بشكل مباشر عن طريق السماع، فضلاً عما وجدته في بعض الكتب التي درست اللهجات.

وفيما يتعلق بمفردات لسان ظفار الحميري المعاصر، فقد جمعت مفرداته من خلال معرفتي الشخصية، ومعجم جونستون عن هذا اللسان، كما استعنت ببعض من كانوا يعرفون هذا اللسان ويتقنونه من أهل المنطقة.

وبدأت في هذا الكتاب بالحديث عن أصل العربية الفصحى وظروف نشأتها، وتناولت موضوع ألسن العرب واختلافها، ثم عرفت بلسان ظفار الحميري المعاصر.

وبعد ذلك بدأت بالمفردات المشتركة بين الفصحى وهذا اللسان، ثم تناولت المفردات المشتركة بينه وبين اللغة السبئية، التي حفظتها لنا النقوش القديمة، ثم تناولت المفردات المشتركة بين هذا اللسان واللهجات اليمانية المعاصرة.

وختمت الكتاب بدراسة المفردات المشتركة بين بعض اللهجات العمانية وهذا اللسان.

وعلى الرغم من هذا الجهد لا يمكن القول: إن هذا العمل استوعب كل المفردات المشتركة بين لسان ظفار الحميري المعاصر وغيره من ألسن العرب ولغاتهم، وآمل أن أتمكن في طبعات آتية إيراد المفردات التي تطابقت في اللغة العربية الفصحى أو اللهجات العامية، أو اللغات العربية المنقرضة مع لسان ظفار الحميري.

◆ إلى أي حد يمكن لهذه اللهجات أن تستمر في المدى البعيد؟

- لا شك أن انتشار التعليم بين المتحدثين بهذه اللهجات والألسن القديمة، واختلاطهم بالمحيط، والهجرات الداخلية وغيرها، سيقضي - قطعًا - على هذه اللغة، وقد بدأت النتائج واضحة الآن، إذ لم تعد الأجيال الصغيرة تفهم هذه اللهجات، ولم تعد تتعامل بها، لذا، فإن أمامنا بضعة أجيال، وبعدها لن نجد إلا قلة قليلة سوف يتحدثون بها، ويفهمونها؛ لأن للغات واللهجات شرط للاستمرار والانتشار، كما أن هناك أسبابًا للاندثار، ومآل هذه اللغات واللهجات القديمة سيكون مثل مصير سابقاتها، أمام اللغة النموذجية المشتركة، التي أصبحت سبيلاً للرزق، والاكتساب، والتعليم، بل إن هؤلاء يشعرون بالانتماء إليها؛ لكونها لغة دينهم وعباداتهم، ولا يشعرون بخسارة كبيرة؛ لأن من يفقد شيئًا جزئيًا ولديه الكل، يشعر أنه خسارة تعوض.

واعتقد أن زمنًا قصيرًا يفصلنا عن انقراض هذه اللهجات والألسن، وأتمنى أن تكون هناك دراسات لتفسير بعض الظواهر اللغوية القديمة، والبناء على ما قاله السابقون في مثل هذا الأمر، والإفادة من المناهج اللغوية البحثية المعاصرة خدمة للعلم، ورصدًا للتراث، والتنوع الثقافي الذي يجب أن يؤطر بأقلام عربية، ومنهجية سليمة، حتى يكون هذا عاملاً مفيدًا في حركة الثقافة والبحث المعاصر، الذي تشهده بعض الجامعات والمراكز البحثية.

◆ كيف يمكن لمثل هذه الدراسات إغناء اللغة العربية؟

من الخطأ التسليم بأن العرب ليس لهم غير لغة واحدة هي اللغة العربية الفصحى: لأن واقع تنوع ألسنة العرب اعترف به، حتى أولئك الذين كانوا أشد تعصبًا وانحيازًا للعربية الفصحى

- لمثل هذه الدراسات فائدة في تعضيد آراء بعض السابقين من العلماء. نحن نعرف أن علماءنا الأوائل لم يكونوا متفقين على رأي واحد في معظم المسائل، والآراء، والقضايا اللغوية والصوتية والصرفية.

أضرب مثلاً بأداة التعريف في العربية، فالعلاّمة الخليل بن أحمد الفراهيدي يرى أن أداة التعريف هي كلمة (ال)، بينما سيبويه ومعظم العلماء والنحاة يرونها (اللام)، وهناك رأي للمبرد يقول: إنها الهمزة، أنا أجد في هذه القبائل من يستخدم الهمزة بمفردها أداة للتعريف، ونلحظ أيضًا من لا يستخدم إلا (اللام).

وهناك أيضًا بالنسبة إلى صفات الحروف ومخارجها مثل: (الضاد)، إذ يوجد من يتحدث عن (ضاد) جانبية احتكاكية رخوة تخرج من الشدق، ومن جانب الفم، وبالفعل يوجد في هذه القبائل من يستخدمون الضاد الجانبية، وأنا أشعر أنهم يستخدمونها بأوصاف تتطابق إلى حد كبير مع ما تكلم به السابقون.

وتوجد إلى جانب ذلك ظواهر مستقلة في مثل هذه اللهجات والألسن، يمكن أن تدرس صوتيًا وصرفيًا، ويستفيد منها الباحثون المعاصرون، من خلال تطبيق مناهج علمية حديثة، وذلك ما يزيد من ثراء اللغة، ويدعم البحث العلمي.

◆ ما مدى خطورة الدعوة إلى دراسة هذه اللهجات والألسن على اللغة العربية الفصحى؟

- من غير شك ولا جدال، أن العربية الفصحى هي اللغة التي ينبغي أن تتضافر الجهود لإعلاء شأنها، ونشر ظلالها في كل الأماكن والمؤسسات التعليمية والمحافل والمنابر؛ لأنها اللغة التي تصلح للعلم، ولا يمكن أن يدرس العلم بغيرها؛ لأن قدرتها على استيعاب الكتاب العظيم (القرآن الكريم) بمعانيه، ومضامينه، وأسراره، وأشكال إعجازه المختلفة، تجعلها قادرة على استيعاب كل القضايا العلمية والفكرية الدقيقة.

أما في مسألة دراسة اللهجات، فينبغي أن نفرق بين دراستها للبحث العلمي، والأسباب التي ذكرتها سلفًا، وبين ما يطرح من بعض الجهات والأطراف الداخلية والخارجية المتعاضدة للدعوة إلى إحلال العاميات محل الفصحى، بل برزت دعوات من قبل لاستخدام الحرف اللاتيني في بعض الدول، وكان هؤلاء يطرحون - من دون حياء - أن سبب تخلف العرب في وجود اللغة العربية الفصحى، ولكن هذه الدعوات وئدت؛ لأنها لا تحمل عناصر البقاء، ولأن اللغة العربية الفصحى خالدة بخلود كتاب الله عز وجل، وبوجود تراث إسلامي لا يمكن لأحد أن يزيله.

ويحضرني هنا قول الشاعر:

كناطح صخرة يومًا ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعلُ

ولكن هذا لا يمنع أن تكون دراسة اللهجات في إطار علمي بحت، ولا يؤثر ذلك في العربية، وإنما الالتفات يكون إلى من يريدون إقصاء الفصحى والقضاء عليها.

◆ ما رأيكم في مسألة تدريس العلوم باللغة العربية؟

- هناك تقرير صدر منذ سنوات عن منظمة الأمم المتحدة مضمونه، أنه لا يمكن لعلم حديث أن يدرس بشكل سليم إلا باللغة الأم.

الشعر الشعبي يكاد يكتسح الخليج، وله مجالاته، ورموزه، وجمهوره الواسع، ولكن لا يمكن وضع هذا الشعر في سلة واحدة؛ لأن من الشعر النبطي مثلاً ما يقترب كثيرًا من اللغة الفصحى، ومستواه الفني راق وجميل

ومما أثار استغرابي أن هذا التقرير أشار بإصبع الاستغراب والاستنكار إلى أن العرب هم الأمة الوحيدة التي تدرس العلوم في معظم جامعاتها بغير اللغة القومية.

ومما استقر في أذهان المشتغلين في حقل العلوم اللغوية، وتدريس اللغات القومية، وأثبته أكثر من دراسة، أن استيعاب العلوم لا يتأتى بشكل سليم إلا باللغة القومية، وأن الإبداع الحقيقي للمتلقين سبيله هو تلقي العلوم باللغة الأم؛ لأن الطالب الذي يتعلم بغير لغته، عليه أن يفهم اللغة أولاً ثم عليه فهم الفكرة ثانيًا، بينما إذا تعلم العلوم بلغته القومية ليس أمامه إلا الجانب العلمي.

ولدينا بعض التجارب الناجحة، ففي مصر، كان في عهد محمد علي باشا تجربة متميزة، إذ تمت ترجمة العلوم الحديثة إلى اللغة العربية، وكانت العلوم تدرس بالعربية في جامعة فؤاد الأول، وكان يتخرج فيها أنجح الأطباء . كما يقال .. كما أن تجربة سورية الحديثة في هذا المجال ناجحة ومشرقة، وتستدعي الوقوف عندها والاستفادة منها؛ لأنها، على الرغم من الصعوبات الفنية والمالية والإدارية، استطاعت أن

لسان ظفار وغيره من الألسن إلى انقراض مع توالي الأجيال




د. محمد المعشني

تقدم نموذجًا ناجحًا، ونتمنى أن تستمر هذه التجربة على الرغم من محاولات محاصرتها، والتضييق عليها. ومن المؤسف أن يكون هناك من يريد استنساخ

أعتقد أن زمنًا قصيرًا يفصلنا عن انقراض هذه اللهجات والألسن. وأتمنى أن تكون هناك دراسات لتفسير بعض الظواهر اللغوية القديمة. والبناء على ما قاله السابقون في مثل هذا الأمر. والإفادة من المناهج اللغوية البحثية المعاصرة خدمة للعلم

تجارب الآخرين، وتطبيقها على واقع مختلف، بدعوى التقدم والتطور، وقد جربت الأمة العربية تعليم العلوم بغير العربية، ولم تجن شيئًا على مدى أكثر من قرن، ومن بعد ذلك لا سبيل غير تعريب العلوم، وتعليمها، وتعلمها باللغة العربية.

◆ ما أبعاد الازدواج اللغوي الذي يعيشه الإنسان العربي؟

الازدواج اللغوي - كما تعلم - أن يكون للشخص شكلان من أشكال اللغة، لغة يستخدمها للكتابة والتدوين والإبداع، ولغة يستخدمها في الحديث اليومي في السوق والبيت، وما من لغة - في اعتقادي - إلا ولها شكلان، والعربية الفصحى ليست بدعًا بين اللغات، فهناك لغة تستخدم في الكتابة، والتدوين، والتعبير عن القضايا العلمية والإبداعية، بل إن الأدب العربي في الأصل لا يمكن أن يكون إلا بهذه اللغة العليا، ومقابل ذلك، هناك أشكال من الخطاب تتمثل في اللهجات والأحاديث بين الناس، وقد تزامن الشكلان - فيما أظن - من الجاهلية، ولي بحث في هذا الموضوع مضمونه أنه لا يمكن الزعم أنه لم يكن في العربية غير شكل واحد.

وأقول: لا ضير ولا حرج من وجود الشكلين، شكل مجاله لغة الخطاب والحديث، وشكل مجاله المنابر والكتابة والتدوين وميادين الإبداع.

لكن مكمن الخطورة، يتمثل في استخدام اللغة العامية في غير بيئاتها ومواقفها، مثل أن يأتي الخطيب على المنبر ويتكلم بالعامية، أو أن يتحدث أستاذ الجامعة، أو الإعلامي بالعامية، والأخطر أن يكتب باللغة العامية، ورأينا بوادر ذلك في منطقة الخليج، إذ إن هناك مجلات نسائية وشبابية وفنية بدأت تستخدم الكتابة بالعامية، والشاهد أن هذه اللغة لا يفهمها إلا ابن البيئة صاحبة هذه اللغة، وهنا تكمن الخطورة.

ومن أشكال الخطورة أن يلجأ المعلمون، وأهل الفكر، والدعاة، والعلماء، إلى تعميم اللغة العامية المحكية في كل المواقف، وهذا سيجعل اللغة الفصحى غريبة، ويجعل بين المتلقين حواجز.

وقد أصبحنا نجد مختصين في اللغة يدرسونها لطلابهم مستخدمين اللغة العامية، ومثل هذا التوجه يصيب الأجيال بتصدع ذهني؛ لأننا نتحدث عن أهمية المحافظة على اللغة الأم، وندعو إليها، ثم لا نعمل ولا نحاول أن نلزمهم إياها.

◆ إجابتكم تقودنا إلى السؤال ما العلاقة بين اللغة والفكر؟

- أعتقد أن متطلبات النهضة التي ننشدها العودة إلى الذات، والعودة إلى عناصر الهوية، ومن أساسها اللغة؛ لأنها ليست قواعد فحسب، وإنما هي الفكر والاتجاهات والماضي والحاضر والمستقبل، إذ من السهل أن نعلم أبناءنا القواعد النحوية والصرفية، كما أن من السهل أن نحفظهم نصوصًا، ولكن الأصعب أن نجعل منهم مبدعين يستخدمون لغتهم، ويطوعونها لإبداعهم، وهم محبون لها، وفخورون بها.

◆ ألا ترون أن الفضائيات قربت بين العاميات؟

- لا شك أن وسائل الإعلام المعاصرة، وبالتحديد الفضائيات والإذاعات لها ما لها، وعليها ما عليها، فهي تستخدم اللغة العربية الفصحى المعيارية في نشرات الأخبار، والندوات، والأمور السياسية والثقافية، وهي التي تغلب عليها، وقد أوجدت لغة فصحى مفهومة للجميع، واستطاعت أن توجد تفاهمًا واضحًا بين العرب على المستوى اللغوي.

ولكن من جانب آخر، نرى أن الفضائيات أصبحت تستخدم العاميات، بتوسع من خلال المسلسلات، مع تغييب الفصحى في هذا الجانب، كما توجد فضائيات تستخدم العاميات في الربط بين البرامج، وهناك جهات تتعمد استخدام العامية وتصر عليها إصرارًا، على ما فيها من وهن وإغراق في المحلية.

وأعتقد أن هناك نية مبيتة لنقل العامية إلى الإعلام، ولكن ستظل العامية عاجزة وغير قادرة على أن تكون لغة إبداع، أو لغة فكر؛ لأنها لا تستطيع التعبير عن قضايا العلم والعصر على نحو دقيق.

وقد أجريت تجربة مع طلابي، فأعطيتهم نصًا خبريًا مكتوبًا بلغة إعلامية أعد بالفصحى المألوفة، ثم طلبت منهم التعبير عن المضمون باللغة العامية، فكانت النتيجة عدم إمكان اللغة العامية التعبير الدقيق عن المعاني المتضمنة في النص، وهذا ما يؤكد عجز العامية - في كثير من الأحيان - عن التعبير عن المعاني النقدية، أو الفكرية، أو الإبداعية، أو العلمية.

◆ ألا ترى أنه لا يمكن إنكار وجود إبداع شعري بالعامية؟

- الشعر الشعبي يكاد يكتسح الخليج، وله مجالاته، ورموزه، وجمهوره الواسع، ولكن لا يمكن وضع هذا الشعر في سلة واحدة؛ لأن من الشعر النبطي مثلاً ما يقترب كثيرًا من اللغة الفصحى، ومستواه الفني راق وجميل.

وأنا لا أستسيغ مثل هذا القالب من الشعر، ولكن

لسان ظفار الحميري المعاصر يشكل لغة مستقلة قائمة بذاتها، وقد آثرنا تسميته باللسان؛ لأنها الأدق والأنسب للتعبير عن هذه الحقيقة اللغوية، مع أننا لا ننكر بأن هذا اللسان الحميري المعاصر قد يكون يومًا ما لهجة من لهجات اللسان العربي القديم

أجد فيه - أحيانًا - إبداعًا ملحوظًا ولغة جميلة، والتزامًا للقوافي، ومراعاة الإيقاع والموسيقا، وهذا أمر نضعه في جانب، ولكن الكثرة المتبقية من أشكال هذا الفن تخلو من اليمد الفني الجميل، ولغتها عامية ركيكة، والساحة الآن تموج بكل المستويات، ولا أحد يملك منع الناس من التعبير، ولكن الزمن سيفرز الجيد من الرديء، ليبقى الإبداع الحقيقي صورة ولغة، أما الظواهر العابرة وسرعان ما تزول؛ لأنها ليست غير فقاعات.

◆ أراك تناولت قضية الأرقام في دراسة علمية، فأي الأرقام هي العربية؟

- الأرقام المشرقية هي التي كانت سائدة ومنتشرة، ولكن فوجئنا من سنوات خلت تعميمًا من جامعة الدول العربية يدعو إلى التخلي عن هذه الأرقام؛ بحجة أنها أرقام هندية، وأكد أن الأرقام المستخدمة اليوم في الغرب هي الأرقام العربية، وقد اندفع كثيرون من المتحمسين - الإخوة المغاربة خصوصًا - لتأكيد هذا الأمر، ولكن معظم التراث العربي يستخدم الأرقام المشرقية، بل قرأت أبحاثًا تؤكد أن الرقم المشرقي هو الأسهل والأجمل والأوفق؛ لأنه يناسب خطنا وكتابتنا.

وأعتقد وجود بعد نفسي في الأمر، وهو ظن بعض الناس أنه لا يمكن أن نتقدم إلا إذا اقتربنا من الغرب، ولا يمكن أن يكون لدينا شيء جميل إلا إذا كان قد مرّ بالغرب، أو مقبولاً لديه، فما دام الغربيون يستخدمون الأرقام المغاربية، فهذا شيء علينا أن نقلدهم فيه؛ لأن هناك من يريدون أن يتباهوا بذلك.

وتوجد دراسات غربية تقر بأن الأرقام التي يستخدمها الغرب ليست عربية، وإنما جاءت إليهم عن طريق العرب، مع أنهم يطلقون عليها الأرقام العربية.

والأرقام المستخدمة في الغرب ليست على شكلها القديم؛ لأن جميع الأرقام تطورت، فإذا كان العرب هم من وضعوا الصفر، وهو يمثل اكتشافًا مذهلاً في الحضارة الإنسانية، فليس بعيدًا أن يكونوا هم من طوروا هذه الأرقام.

وفي المجمل ليس هناك رأي قاطع، ولكن هناك راجح ومرجوح، والذي أراه راجحًا ومعقولاً، وآمنت به، وانتصرت له في كتيب لي هو: أن الأرقام المشرقية هي الأصل والأقرب، ولا حاجة إلى تغييرها، وأن الأرقام المغربية أصبحت غريبة عن خطنا، حتى وإن كانت عربية، فهي لم تعد ملتصقة بنا، وأصبحت عالمية، وليس هناك من ضرورة لنحذو حذو الآخرين، ما دام أن الرقم العربي المشرقي موجود عندنا، ويؤدي وظيفته، وبه كتبنا تراثنا في معظمه، ونستخدمه في حساباتنا، والمشكلة في واقعها تتمثل في العقدة الموجودة لدى بعضنا، ولا توجد فائدة يمكن أن تجنيها الأمة إذا تخلت عن الأرقام المشرقية.

وهذه الدعوة ليست بعيدة عن الدعوة إلى استخدام الخط اللاتيني، وليس بعيدًا أن يأتينا من يقول: إن الخط العربي أصله لاتيني، أو اللاتيني أصله عربي، تمهيدًا لنتخلى عن الخط العربي كما فعلت بعض شعوبنا الإسلامية.

ونحن مع احترامنا للقواسم الإنسانية المشتركة، إلا أن علينا أن نتمسك بهويتنا، وبعناصر تميزنا؛ لأنه لن يبقى لنا

مكمن الخطورة يتمثل في استخدام اللغة العامية في غير بيئاتها ومواقفها، مثل أن يأتي الخطيب على المنبر ويتكلم بالعامية، أو أن يتحدث أستاذ الجامعة، أو الإعلامي بالعامية، والأخطر أن يكتب باللغة العامية

شيء إذا تخلينا عما يميزنا، ويمنحنا ذاتيتنا، وليس في مصلحة أحد القضاء على التنوع الثقافي، والتمايز الحضاري.

◆ في رأيكم ما موقع اللغة في عصر التدافع الحضاري؟

– ينبغي على أي أمة تريد مواجهة تحديات العصر ومتطلبات التدافع الحضاري، أن تعيد ثقتها بنفسها، وأن تنظر إلى ذاتها نظرة موضوعية وصادقة، وأن تستعيد ذاكرتها، ونحن في هذا السياق، نملك لغة من أجمل لغات العالم، بل إنني وقفت على بعض الأقوال لمستشرقين يتحدثون عن هذه اللغة بأجمل العبارات، ويقولون: إنها تمتاز بالإعجاز الذي لا شبيه له في سائر اللغات، فهذه اللغة تحمل من السمات الفنية، والفضائل الذاتية، ما لا يتوافر في غيرها، ومن ذلك ثراء معجمها، ومرونتها وخصوصيتها في الاشتقاق، وقدرتها على التعبير، وطرائق إنماء الألفاظ فيها، فهذه اللغة قابلة للنمو، وثابتة في الوقت ذاته.

الجانب الآخر، أنه لابد أن نعطي العربية حقها؛ بتفعيلها في الجامعات والمراكز البحثية، إذ لا يمكن أن نبدع على النحو الذي نريده، إلا إذا أعدنا إلى اللغة مكانتها وأهميتها،

اللغة العربية في تدافع مع اللغات الأخرى




الأجيال الجديدة في حاجة إلى التعمق في دراسة تراثها ولغتها

ينعكس سلبًا على لغتها، بل إن بعض الناس يرون أن تراجع اللغة يفضي إلى تراجع الأمة، وبعضهم يقول: إن تراجع الأمة يفضي إلى تراجع اللغة، وأرى أن الأمرين مترابطان ولا يمكن الفصل بينهما.

وأشعر - شخصيًا - أن لغتنا في ارتقاء، وهي في وضع أفضل مما كانت عليه قبل قرن مضى؛ لأنها كانت في وضع مزرٍ في عهود الاستعمار، والمدة التي سبقتها، أما الآن فهي في تطور وتجدد وتقدم، ولكنها لم تصل بعد إلى ما نأمله من مستوى يليق بها.

وفعلناها في الجامعات، وتلقينا العلوم الحديثة بها.

ولا يمكن للأجيال والعقول العربية أن تبدع في العلوم إلا إذ صنعت في مصنع هذه اللغة.

ومن مقتضيات هذا التوجه أن نعد أنفسنا إعدادًا جيدًا؛ لإعادة الثقة بهذه اللغة؛ ولتفعيلها، ومن المستلزمات إنشاء مراكز كبيرة ومتخصصة للترجمة؛ لنقل العلوم المعاصرة، ولردم الفجوة العلمية.

وقوة اللغة هي من قوة أهلها الاقتصادية، والثقافية، والسياسية، وأي تراجع حضاري لأي مجموعة بشرية

توجد معلومات كافية في المصادر العربية عن لسان ظفار الحميري، ومعظم ما ورد عن لغة الشحر، وكان قنصل فرنسا بجدة فرنسل Frensel، أول غربي عرف وجود لسان ظفار الحميري المعاصر، وقد سماها Ehkili نسبة إلى القبيلة المعروفة في ظفار

الضيف في سطور

- ◆ الدكتور محمد بن سالم المعشني
- ◆ من مواليد ولاية طاقة في محافظة ظفار بسلطنة عمان عام ١٩٦٧م.

الدرجات العالمية:

- تلقى تعليمه الجامعي في جامعة السلطان قابوس، وحصل على الشهادة الجامعية عام ١٩٩١م.
- استكمل دراسته العليا في جامعة السلطان قابوس، وحصل على درجة الماجستير عام ١٩٩٥م.
- حصل على درجة الدكتوراه في علم اللغة من جامعة مانشستر في المملكة المتحدة عام ١٩٩٩م.

الخبرات:

- عضو هيئة التدريس في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة السلطان قابوس.
- عضو الهيئة التعليمية لكتّاب «أرض عُمان».
- عضو لجنة اختيار البحوث والدراسات والكتب الحديثة ومراجعتها بوزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان.
- ممثل السلطنة في اللجنة العليا لمشروع الذخيرة اللغوية التابع لجامعة الدول العربية.

◆ له عدد من المؤلفات والبحوث، ومنها:

- لسان ظفار الحميري «كتاب».
- إماطة اللثام عن أصول الأرقام «كتاب».
- السمات اللغوية في القصة القصيرة العمانية «بحث».
- الازدواج اللغوي في العربية وتأثيراته «بحث».
- سوابق المضارع في الفصحى، واللهجات العامية، ولسان ظفار الحميري المعاصر - دراسة صرفية مقارنة «بحث».
- الهمزة أداة للتعريف: دراسة صرفية مقارنة «بحث».
- القاف بين القدامى والمعاصرين: دراسة صوتية مقارنة «بحث».



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٦٧) المحرم ١٤٢٨هـ ـ يناير/فبراير ٢٠٠٧م

الفائز الأول: موسى عبدالمجيد محمد عبابنة ـ إربد ـ الأردن.
الفائز الثاني: حسن السيد بسام ـ الدقهلية ـ مصر.
الفائز الثالث: مراد عبده محمد القدسي ـ تعز ـ اليمن.
الفائز الرابع: مرح مروان مراد ـ دمشق ـ سورية.
الفائز الخامس: حفيظة قرشال ـ آسفي ـ المغرب.
الفائز السادس: وليد خالد حسن ـ الدوحة ـ قطر.
الفائز السابع: جمال عبدالله ـ بنان ـ تونس.
الفائز الثامن: عائشة سالم ناصر ـ الرفاع الشرقي ـ مملكة البحرين.

حل مسابقة العدد (٣٦٧)

١ـ الأبليكة هي طريقة لزخرفة الملابس وغيرها بأشكال متنوعة، تصنع من مواد مختلفة كالقماش والجلود.

٢ـ الإخوة رنجلنج هم خمسة إخوة أسسوا أشهر سيرك في تاريخ دور اللهو بالولايات المتحدة، وهم: البرت، وأوتو، وألفرد، وتشارلز، وجون.

٣ـ الاستبصار هو إدراك الأحداث، والأشياء، والناس من دون استخدام حواس السمع والبصر، والشم، والتذوق، واللمس، وهو شكل مهم من الإدراك وراء الإحساس..

أسئلة مسابقة العدد (٣٧٠)

أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) من هو مؤدب أبناء الخليفة عمر بن عبدالعزيز؟

(٢) ما هو الانفجار العظيم؟

(٣) ما الفلوكُس؟

الاسم: المدينة: ص.ب: هاتف:

العنوان: الدولة: الرمز البريدي: ناسوخ:

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) . الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي



- تسليم جائزة الملك فيصل العالمية
- سر لكمة يوسا لماركيز
- مهرجان أفلام المحمول
- فلم روسي عن اليمن القديم

●● خاتمة المطاف: أطفال الشوارع .. إلى أين؟



حفل توزيع جائزة الملك فيصل العالمية





نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز-حفظه الله- رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز - ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران والمفتش العام - في مساء الاثنين ٢٨ ربيع الأول الماضي (١٦ أبريل ٢٠٠٧م) حفل تسليم جائزة الملك فيصل العالمية.

وقد ألقى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز - المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية - كلمة رحب فيها بسمو ولي العهد، ووزيرة الثقافة في البرتغال الدكتورة إيزابيل دي ليما، والفائزين والحضور، وقال: «تحتضن الرياض هذا المساء الإبداع العلمي، كما احتضنت بالأمس الإبداع السياسي على يد الملك الشجاع عبدالله ابن عبدالعزيز، والإبداع هو مشروع الأمة العربية الإسلامية، إذا كان لها أن تتخلص من التخلف والتبعية، وإذا كان لها أن ترتقي إلى مستوى الرسالة التي حملهم الله إياها.

سمو الأمير وأمير السمو سلطان العلو وعلو السلطان أحيي فيك رعايتك للعلم، وتكريمك للعلماء، وأكبر فيك تشجيعك لجائزة أخيك الذي أحبك.

أيها الفائزون بالجائزة.. أهنئكم بهذا الإنجاز العلمي، وأشكركم على ما تقدمونه للبشرية، وما تخدمون به الإنسانية.

أيها الجمع المثقف.. أرحب بعقولكم الحاضرة في أمسية العقول النادرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

بعدها ألقى الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية الدكتور عبدالله الصالح العثيمين كلمة، قدم فيها الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية للعام ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م، ورحب فيها بصاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبدالعزيز والحضور، وقد ألقى - كعادته- قصيدة لاقت الاستحسان، ثم بدأ في تقديم الفائزين، فقال: «بدأت البهجة بتسليم جائزة الملك فيصل العالمية للفائزين بها هذا العام عندما تسلم الفائز بها في خدمة الإسلام رئيس جمهورية تتارستان منتيمير شريف الله شايمييف تلك الجائزة من يد خادم الحرمين الشريفين، بحضور الرئيس بوتين، وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، ونخبة من الأمراء والأعيان، وذلك في مساء يوم الأحد ١٣ من المحرم سنة ١٤٢٧هـ الموافق ١١ فبراير عام ٢٠٠٧م».

وأبان أن ترشيح الرئيس شايمييف للجائزة جاء من مجلس شورى المفتين في روسيا، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وجامعة القصيم، وأكاديمية العلوم في جمهورية تتارستان، ومنح إياها لخدماته الجليلة المتمثلة في جهوده لإحياء الثقافة الإسلامية في بلاده، وتعريف مسلميها بمبادئ دينهم القيمة، وتشييد أكثر من ألف مسجد، معظمها أعيد بناؤها، بعد أن دمرت في عهود سابقة، إضافة إلى تشييد كثير من المدارس والجمعيات الإسلامية، وإنشاء الجامعة الإسلامية الروسية، ولسياسته الحكيمة، التي جعلت من تتارستان مثالاً للتعايش الاجتماعي السلمي، ورمزاً للتسامح، كما جعلتها تحقق نهضة اقتصادية، وعمرانية واضحة المعالم.

وأشار إلى أنه في هذا المساء تكتمل البهجة بتسليم الجائزة للفائزين بها في فروع الدراسات الإسلامية، واللغة العربية وآدابها، والطب، والعلوم، منوهًا برعاية سمو ولي العهد نائباً عن خادم الحرمين الشريفين - حفظهما الله- لحفل تسليم الجائزة.

وأوضح أن الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية وموضوعها: «الدراسات التي عنيت بالعلوم البحتة أو التطبيقية عند المسلمين» البروفيسور رشدي حفني راشد المصري الفرنسي الجنسية - مدير البحث الممتاز في المركز القومي للبحث العلمي في باريس، وأستاذ شرف في جامعة طوكيو - وقد رشحته للجائزة جامعة باريس، وجامعة القاهرة، ومؤسسة آل البيت في عمان، ومجمع اللغة العربية في دمشق، والأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري الفائز السابق بالجائزة، ومنح الجائزة تقديراً لجهوده العلمية في إبراز العلم والبحث عند المسلمين في مجالي الرياضيات، والضوء من علم الفيزياء، في مختلف مراحل الحضارة الإسلامية، بحثًا وتحقيقًا وتعليقًا، وترجمة، مشيراً إلى أن الدكتور رشدي أنتج ما يربو على ستين كتاباً، وأكثر من مئة مقالة بحثية، وتميز إنتاجه بالأصالة، والعمق والدقة، وفي طليعة إنتاجه كتاب العلوم عند العرب بأجزائه الستة، وكتاب الرياضيات التحليلية بين القرنين الثالث والخامس الهجريين بمجلداته الأربعة.

وبعد تسلمه الجائزة، ألقى الدكتور رشدي راشد كلمة قدم فيها شكره للقائمين على الجائزة، وقال: إنها تعني تقديرًا لما أُنجز، وهذا سلوى عما بذل من جهد وعناء، وتعني الجزاء عن لحظات التردد والشك، التي تلازم البحث، وهي تعني أيضًا التشجيع على مواصلة السير في الطريق الشاق الطويل.

وفاز بجائزة الملك فيصل العالمية للغة العربية والأدب وموضوعها «الدراسات التي تناولت البلاغة العربية القديمة في موضوعاتها وأعلامها وكتبها»، البروفيسور محمد عبدالله العمري المغربي الجنسية، والبروفيسور مصطفى عبده ناصف المصري الجنسية.

والبروفيسور العمري أستاذ غير متفرغ في قسم اللغة

العربية في جامعة محمد الخامس، وقد رشحته للجائزة تلك الجامعة، وجامعة الملك سعود، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، ومنح الجائزة تقديرًا لجهوده العلمية المتميزة في دراسة البلاغة العربية، وما يتصل بمفهوم النص، ودراسته، ووظائف البلاغة، والخطابة العربيتين قديماً وحديثاً، مفيداً من الدراسات اللغوية والأسلوبية المعاصرة، وقد استطاع بمعرفته العميقة بالتراث البلاغي العربي أن يقدم انموذجاً جديداً لدراسة البلاغة العربية، وفق منهج محكم وعرض دقيق.

وألقى الدكتور العمري كلمة أعرب فيها عن تشرفه بأن يكون ضمن قائمة نخبة العلماء الحاصلين على جائزة الملك فيصل العالمية، التي استقطبت أدق الأبحاث وأفيدها للإنسانية، في تخصصات حيوية متعددة، التي تعد اعترافًا بجهد مبذول كما تحث الحاصلين عليها على مواصلة السير.

وعن البروفيسور مصطفى ناصف- الأستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة عين شمس- قال الدكتور العثيمين: إن جامعة عين شمس قد رشحته للجائزة، ومنح إياها تقديراً لما تميزت به دراساته البلاغية من قراءة جديدة تتسم بالشمول والتنوع والأصالة، مع ربط تلك الدراسات بالبيئات، التي استمدت منها أصولها، أو التي تداخلت معها تداخلاً وثيقاً، مما ينم على معرفته العميقة بالتطور، الذي أحاط بالبلاغة في العصر الحديث.

وألقى حمدي مصطفى ناصف كلمة نيابة عن والده الدكتور مصطفى ناصف الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للغة العربية.

فأبان أن الجائزة التي نجتمع حولها اليوم أرفع الجوائز قدرًا، وأعلاها شأنًا ذاع صيتها في العالم العربي والإسلامي، بل في العالم أجمع.

وقال الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية: إن جائزة الطب، وموضوعها «سرطان البروستاتا» فاز بها البروفيسور فيرناند لابري الكندي الجنسية والبروفيسور باتريك ولش الأمريكي الجنسية.

وقال: «إن البروفيسور لابري - رئيس قسم الغدد الصماء الجزيئي في جامعة لافال، واستشاري الأمراض الباطنة بمستشفاها التعليمي - قد رشحته أكاديمية لنسي الوطنية للجائزة، ومنح إياها تقديرًا لإنجازاته الرائدة في علاج أورام البروستاتا، بواسطة مضادات العناصر المحررة لهرمونات المناسل، ومضادات هرمونات الذكورة؛ مما أدى إلى الاستغناء عن طرائق العلاج الأخرى، كما قام باستحداث وسائل جديدة للتشخيص المبكر لسرطان البروستاتا، ومعالجته قبل انتشاره».

وألقى الدكتور لابري الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للطب كلمة أعرب فيها عن شكره للجنة الاختيار في الجائزة لنيله هذه الجائزة، وتشرفه بانضمامه إلى



كوكبة الفائزين بالجائزة منذ إنشائها في عام ١٩٧٦م.
وعدَّ منحه الجائزة تقديرًا، ومصدر إلهام للمئات من زملائه والمتعاونين خلال سنوات عمله، علاوة على أنه تشريف لجامعة لافال، التي يعمل فيها، ولمدينة كويبك أقدم مدينة في أمريكا الشمالية التي يقيم فيها.
أما البروفيسور وولش فأستاذ جراحة المسالك البولية بكلية الطب في جامعة جونز هوبكنز، وقد رشحته للجائزة تلك الجامعة، وجامعة أم القرى، ومنح إياها تقديرًا لدوره الرائد في تطوير الاستئصال الجذري للبروستاتا، من دون المساس بالعصبيات المسؤولة عن القدرة الجنسية، والسيطرة على التبول لدى الذكور؛ مما أسهم في تقليل نسبة الوفيات الناتجة عن انتشار المرض، أو النزف الشديد كما أجرى بحوثًا مبتكرة حول الأصول الوراثية لأورام البروستاتا، وسبل تشخيصها في مرحلة مبكرة.
وألقى الدكتور باتريك كريغ وولش كلمة عبر فيها عن امتنانه بتسلم الجائزة نيابة عن كل رجل أصيب بسرطان البروستاتا، أو مات بسببه، أو قد يعاني منه في المستقبل.
وفاز بجائزة الملك فيصل العالمية للعلوم وموضوعها «الكيمياء» البروفيسور السير جيمس ستودارت البريطاني الجنسية - أستاذ علوم النانو في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس - وقد رشحته تلك الجامعة للجائزة، ومنح إياها تقديرًا لدوره الرائد في تطوير ميدان جديد في الكيمياء، يعنى بعلم النانو؛ أي: الأبعاد التي تقارب جزءاً من بليون، خصوصًا في المجال الذاتي للجزيئات، وابتدع طرائق عالية الكفاءة لبناء مركبات جزيئية متشابكة ميكانيكيًا: مما كان له أثر كبير في تغيير مفهوم الأنظمة الجزيئية لدى الكيميائيين، وفتح الباب أمام إمكانية الإفادة من تقانة النانو في تصنيع آلات جزيئية متناهية الصغر، ومتعددة الاستخدامات.
ثم ألقى الدكتور جيمس فريزر ستودارت كلمة قال فيها: لا تثير قوائم الفائزين السابقين بجائزة الملك فيصل العالمية للعلوم الإعجاب فحسب، بل تبعث الرهبة في النفس.
وفي ختام حديثه أشار إلى زوجته الدكتورة نورما التي توفيت متأثرة بسرطان الثدي في عام ٢٠٠٤م، فقال: نحن نعلم كم كانت ستكون زوجة فخورة، وأمًا راضية فيما لو كانت بيننا لتشهد هذا اليوم، إن هذه الجائزة تذكار لحياتها وعملها.
وعقب انتهاء الحفل افتتح سمو ولي العهد، بحضور وزيرة الثقافة البرتغالية، معرض روائع الفن التشكيلي البرتغالي، المقام في قاعة الأمير سلطان الكبرى بمركز الفيصلية، الذي يضم عددًا من الأعمال التشكيلية، لفناني البرتغال. وقد أبدى سموه إعجابه بما يضمه المعرض من أعمال تشكيلية، تبرز الجانب الثقافي لدى شعب البرتغال الصديق.



خدمة معلوماتية جديدة من المكتبة الوطنية

طرحت مكتبة الملك فهد الوطنية على موقعها الإلكتروني خدمة معلوماتية جديدة بعنوان: «كتب تحت الطبع»، للتعريف بأحدث الإصدارات من الإنتاج الفكري السعودي، وآخر الأعمال التي يصدرها الناشرون، والمؤلفون، بما يشمل الفهرسة الوصفية، والموضوعية للكتب والرسائل العلمية الحديثة، التي تضمها «نشرة الإيداع السعودي»، ويتم تحديثها شهريًا، لمن يريد متابعة الكتب الجديدة المنشورة في المملكة.

وقد نظمت الكتب تحت موضوعات: الدين، واللغات، والآداب، والفنون، والعلوم الاجتماعية والتطبيقية، والتاريخ والتراجم، مع ذكر أسماء الناشرين. وتتضمن هذه الخدمة التعريف بآلاف العناوين الجديدة، أو التي على وشك الصدور عند تقدم الناشرين بتسجيل إصداراتهم في «إدارة التسجيل والترقيمات الدولية» قبل دفعها للمطابع وتوزيعها، مما يسهم في سرعة مواكبة صناعة الكتاب السعودي، وخدمة الباحثين والمكتبات.

مكتبة رقمية عالمية تجمع مكتبتي الإسكندرية والكونغرس

وقعت الإسكندرية ومكتبة الكونغرس مؤخرًا في واشنطن اتفاقية لإنشاء أول مكتبة رقمية عالمية.

وجرت مراسم التوقيع بحضور عدد من رجال الثقافة، والفكر، والإعلام، بمبنى توماس جيفرسون في مكتبة الكونغرس، يتقدمهم رئيس مكتبة الإسكندرية د. إسماعيل سراج الدين، ورئيس مكتبة الكونغرس جيمس بيلنغتون، اللذان سلطا الضوء على المشروع الذي سيتم إنجازه في ١٧ أكتوبر/ تشرين الأول المقبل.

ويقوم مشروع المكتبة الرقمية العالمي على «رقمنة» مواد نادرة وفريدة تتضمن مخطوطات، وخرائط، وكتبًا نادرة، وألحانًا موسيقية، وتسجيلات صوتية، وأفلامًا، ومطبوعات، وصورًا فوتوغرافية، ورسومات هندسية من مكتبات، ومؤسسات ثقافية، من جميع أنحاء العالم، وستتاح هذه المواد مجانًا على الإنترنت، من خلال الموقع الإلكتروني للمكتبة الرقمية العالمية.

ويهدف هذا المشروع العالمي إلى دعم التفاهم الدولي، من خلال التواصل الثقافي، وإغناء شبكة الإنترنت بمحتويات ومواد ثقافية غير غربية، وبغير اللغة الإنجليزية، مما يدعم البحث العلمي.



مهرجان أفلام المحمول

«آاكل» عنوان احتل جدران بعض المناطق في القاهرة، ولم يكن إلا جزءًا من أفيش فلم جديد، ولم تكن الإثارة في العنوان فحسب، وإنما المثير حقًا أن الفلم مصور بواسطة هاتف محمول.

وقد عرض الفلم في مهرجان أفلام الموبايل الذي شهدته القاهرة مؤخراً، والذي يعد المهرجان الأول من نوعه في مصر، بل في المنطقة العربية.

نظمت المهرجان مؤسسة «قافلة حالة للفنون والثقافة»، وهي مؤسسة ثقافية مستقلة، بدأت كفرقة مسرح شارع.

ويوضح مدير المهرجان أيمن عبدالرؤوف فكرة المهرجان، فيقول: «بدأت الفكرة بالمصادفة، فقد كنا نقوم بعمل بعض التجارب في تصوير بروفات مسرحياتنا بالموبايل، وكانت هذه التجارب تلقى إعجاب من يشاهدها من الأصدقاء. ففكرنا في عمل فلم، وبالفعل قمنا بتصوير عدد من الأفلام عرضنا ثلاثة منها في ختام مهرجان القاهرة للأفلام المستقلة، فلاقت إقبالاً كبيراً».

وقد عرض المهرجان مئة فلم من افلام الهاتف المحمول، لا يزيد طولها على ثلاث دقائق، وكان أغلب المشاركين



من الهواة، بل هناك أطفال شاركوا في المهرجان الذي حضره عدد كبير من الجمهور، الذي كان أغلبه من الشباب الذين يرون الفكرة جديدة، وجميلة، لكونها تتيح المجال لهواة الفن من دون مزاحمة المحترفين، بينما يرى نقاد عدم القدرة على تجربة لا تزال في بداياتها.

هاري.. هل يموت؟

انهالت طلبات شراء كتاب «هاري بوتر والأقداس المهلكة» للمؤلفة جي كي رولينغ قبل طرحه في الأسواق، وبلغ عدد النسخ المطلوبة ٥٠٠ ألف نسخة، محطمة بذلك الرقم القياسي المسجل لطلبات الشراء في تاريخ فروع مؤسسة بارنز ونوبل إن. وسيطرح «الأقداس المهلكة» رسميًا للبيع في يوم ٢١ يوليو/تموز القادم، وهو الكتاب السابع من سلسلة روايات هاري بوتر التي حققت مبيعات واسعة، ووجدت تجاوبًا كبيرًا من القراء، وتحولت إلى أفلام في هوليود رصدت لها ميزانيات كبيرة. وتعدّ رولينغ أول كاتبة في العالم تحقق مليار دولار بفضل نجاح سلسلة كتب وأفلام هاري بوتر. والسؤال المثار حاليًا: هل ستقتل رولينغ هاري في السلسلة السابعة لتكون الأخيرة؟

فلم روسي عن اليمن القديم

أعلن العالم الروسي البروفسور يفيم ريزفان - نائب مدير متحف الأنثروبولوجيا والأثنوغرافيا التابع لأكاديمية العلوم الروسية - اعتزامه إنتاج فلم وثائقي عن اليمن القديم، وإقامة معرض أثنوغرافي عن تاريخه، في متحف الأنثروبولوجيا والأثنوغرافيا في بطرسبورغ في يونيو/ حزيران المقبل.

وقال البروفسور يفيم ريزفان - الذي شارك في المؤتمر العلمي الدولي للحضارة اليمنية الذي عقد في اليمن مؤخرًا- إنهم ينوون في المستقبل إقامة هذا المعرض في موسكو وفي الخارج، ووصف المؤتمر الأخير الذي عقد في عدن بأنه «مهم وغني المضمون».

وأوضح ريزفان أن هذا العام هو السنة الخامسة والعشرون منذ بدء البعثة السوفيتية اليمنية الشاملة. أكبر بعثة علمية خارج الاتحاد السوفييتي في وقتها. عملها في المناطق الجنوبية اليمنية، وتعدّ وريثتها - اليوم - البعثة الآثارية الروسية في اليمن.

وشارك في هذا المشروع عشرات العلماء السوفييت والروس من مختلف الفروع والاختصاصات، في مختلف المؤسسات، بما فيها متحف الأرميتاج، ومعهد الجغرافية وأكاديمية الفنون، وجامعة موسكو، وغيرها.

واكتشفت البعثة كثيرًا من الآثار التي تدل على قيام دول كبيرة على هذه الأرض قبل ٣ آلاف سنة، وهي مملكات سبأ، وقتبان، وحضرموت، بمدنها الكثيرة.

سر لكمة يوسا لماركيز

بعد عقود ثلاثة مضت على القطيعة بين غابريل غارثيا ماركيز - الأديب الحاصل على جائزة نوبل - وماريو بارغاس يوسا - أحد كبار أدباء أمريكا اللاتينية - كتم خلالها الصديقان الحميمان، والكاتبان أسباب هذه القطيعة الشهيرة، ظهرت صورتان لماركيز في شبابه يبدو فيهما بعين متورمة، وكشف المصور الذي التقط الصورتين الضوء عن جذور القطيعة، فقد التقط رودريغو مويا - الصديق الحميم لغارثيا ماركيز - الصورتين بالأبيض والأسود عام ١٩٧٦م، واحتفظ بهما سرًا، حتى قرر نشرهما بمناسبة عيد الميلاد الثمانين لماركيز - كاسرًا بذلك الصمت المطبق، الذي فرضه على نفسه بخصوص تلك الليلة التي تعارك فيها ماركيز وبارغاس يوسا. وتظهر الصورتان اللتان نشرتا أولاً بصحيفة La Jornada المكسيكية ظلالاً دكناء أسفل العين اليسرى لماركيز وجرحًا بأنفه.

ويوضح مويا أنه كان هناك حشد متباين من الفنانين والمثقفين من أمريكا اللاتينية قد اجتمعوا بمدينة مكسيكو من أجل التحضير لفلم عام ١٩٧٦م، وعقب الفلم اتجه ماركيز لمعانقة صديقه الحميم، بارغاس، إلا أنه تلقى عاصفة هوجاء في وجهه من الكاتب البيروفي.

ووسط صراخ بعض النساء، جلس ماركيز على الأرض محاولاً وقف النزيف من أنفه، فيما هرولت الكاتبة المكسيكية إلينا بونياتواسكا للحصول على ضمادة لعينه. عقب ذلك بيومين، التقط السيد مويا الصورتين.

وثقافتها العالية، وفنونها المعمارية الفريدة.
وأضاف ريزفان قائلاً: «في أعقاب المؤتمر العلمي الدولي في عدن جبت ـ بصفتي معد الفلم مع فريق التصوير ـ ما يقارب ٢٥٠٠ ألف كيلومتر في حضرموت، وشملت الرحلة الأماكن التي ترتبط بعمل البعثة المشتركة. وكان يرافقنا زملاء يمنيون بينهم عالم الآثار المعروف البروفيسور عبدالرزاق راشد المعمري من جامعة صنعاء، الذي شارك في أعمال التنقيب منذ بدء البعثة عمليًا».
وختم البروفسور يفيم ريزفان بقوله: «أتمنى أن يساعد هذا الفلم والمعرض على تعزيز العلاقات العلمية والحضارية بين بلدينا، ويوسع معارف الروس حول ثقافة الجمهورية اليمنية وتاريخها».

تيد الصغير هو الأصغر

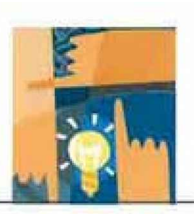
«تيد الصغير جدًا من مملكة اللفت» كتاب ابتكره باحثون كنديون، ويبلغ حجمه ٠,٠٧ ملليمتر في ٠,١٠ ملليمتر، وجرى تصنيعه باستخدام شعاع مركز لعنصر الإيون لنقش الفراغات حول كل حرف على قطع من السليكون البللوري، وبذلك يكون تيد هو أصغر كتاب منشور في العالم، وهو قصة مسابقة لنبات اللفت تحتاج إلى أن يستخدم القراء مجهرًا إلكترونيًا لقراءتها. والكتاب رواية خرافية عن انتصار تيد الصغير الحجم في مسابقة اللفت في معرض ريفي السنوي. وكانت موسوعة غينيس للأرقام القياسية العالمية ضمت سابقًا أصغر كتاب في العالم، وهما نسخة من العهد الجديد «إنجيل الملك جيمس» أعدت في عام ٢٠٠١م، ونسخة من كتاب «الحرباء» لأنطون تشيخوف صدرت في عام ٢٠٠٢م.

وما يشاع أنه في أثناء عيش أسرتي الكاتبين في برشلونة، ترك بارغاس يوسا زوجته وأطفاله من أجل امرأة سويدية، فنصحها ماركيز وزوجته بطلب الطلاق. فيما بعد، تصالح بارغاس وزوجته التي حكت له ما جرى، فكانت اللكمة التي تركت آثارها في الصورتين.

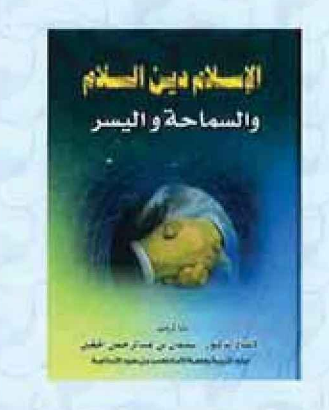
ماركيز مع كاسترو



المعروف أن الصديقين مختلفان في توجهاتهما، فماركيز معروف بميوله اليسارية، وله صداقة عميقة بالزعيم الكوبي فيدل كاسترو، بينما ترشح بارغاس لرئاسة بيرو عن الجناح اليميني، وهو من أبرز منتقدي كاسترو.
ويبدو أن هناك نية لفتح صفحة جديدة بين الصديقين، من خلال كتابة بارغاس يوسا توطئة للطبعة التي تصدر بمناسبة الذكرى السنوية الأربعين لصدور عمل ماركيز الكلاسيكي مئة عام من العزلة، والنص مقتطف من كتاب يوسا الذائع الصيت عن غارثيا ماركيز، الذي كتبه قبل تشوه العلاقة بينهما، والذي قيل: إن الكاتب البيروفي قد أوقف إعادة طباعته منذ هذا الحادث.







الحقيل، سليمان بن عبدالرحمن/ الإسلام دين السلام والسماحة واليسر ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٥هـ، ١٣٦ص.

أُعد هذا الكتاب لتحقيق عدة أمور منها:

ـ إبراز تفوق الدين الإسلامي على سائر النظم، في ضمان الحياة الكريمة الآمنة للبشر جميعًا.

ـ تذكير المسلمين بأن دينهم دين سلام، وسماحة، ويسر، وأنه لا يقر التطرف، والغلو، والتشدد، والإرهاب.

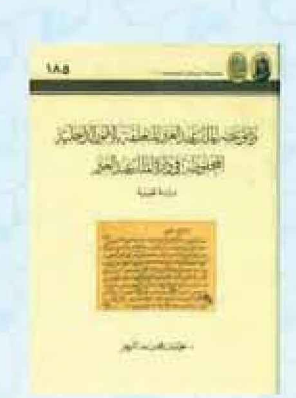
ـ التعريف بالمنهج الإسلامي الصحيح في معاملة المسلمين لغيرهم في كل مجالات الحياة. وتصحيح المفاهيم الخاطئة لدى المتلقي الغربي حول التسامح الديني، والعلاقات السلمية بين المسلمين وغيرهم.

ـ بيان أهم معالم نظام السلام الداخلي في المجتمع الإسلامي، وغير ذلك من الأمور.

والكتاب موجه إلى:

ـ كل مسلم لتعزيز ثقافته؛ ليتمكن من بيان وجه الحق فيما يثار حول موقف الإسلام من السلام، والسماحة، عندما يكون في موقف يتطلب ذلك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تذكيره بأن دينه يدعو إلى السلام، والمحبة، والسماحة مع المخالفين في ضوء تعاليم الإسلام.

ـ المتلقي غير المسلم الباحث عن الحقيقة؛ ليعرف أن الإسلام يحث على التعايش السلمي بين الأمم، ويدعو إلى التسامح، وأنه ليس كما تصوره وسائل الإعلام الغربية، دين إرهاب، وتطرف، وتزمت، وتعصب.



الشويعر، خولة بنت محمد بن سعد، وثائق عصر الملك عبدالعزيز المتعلقة بالأمور الداخلية المحفوظة في دارة الملك عبدالعزيز: دراسة تحليلية ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٤١٢ص.

يهدف هذا الكتاب إلى التعرف إلى الوثائق الخاصة بعصر الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ مؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة، ببيان سماتها، ودراستها دراسة موضوعية، وذلك لاستخراج خصائصها الخارجية، والداخلية، وما تشتمل عليه من معلومات، وتحليل صياغتها، وأساليبها اللغوية، وتوثيق تلك الأساليب. وقد اقتصرت الدراسة على عهد الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ الممتدة من سنة ١٣١٩ ـ ١٣٧٣هـ/ الموافق ١٩٠٢ ـ ١٩٥٣م.

وقد تناول الكتاب أساليب تنظيم الدولة في عهد الملك عبدالعزيز، وتكوين الدواوين في عهده، ثم استعرض عددًا من الوثائق الإدارية، والدينية، والاقتصادية المهمة، وتحدث عن أماكن حفظها، إلى جانب ما هو محفوظ في دارة الملك عبدالعزيز.

ثم قام باستعراض بعض أنماط تلك الوثائق، ودراستها دراسة تحقيقية، تكشف جوانبها المختلفة، كما امتدت الدراسة لتشمل أساليب الملك عبدالعزيز في مراسلاته الخاصة.

وجاءت الدراسة في أربعة فصول، تناولت الباحثة في الفصل الأول «أساليب تنظيم الدولة في عهد الملك عبدالعزيز»، و«تكون الدواوين في عهد الملك عبدالعزيز وتطورها»، و«أهمية الوثائق في تناول تاريخ المملكة العربية السعودية»، و«أماكن حفظ وثائق الملك عبدالعزيز (أرشيفات الدولة)». وجاء الفصل الثاني عن «وثائق دارة الملك عبدالعزيز»، وتناول الفصل الثالث «تحقيق بعض أنماط وثائق الملك عبدالعزيز ودراستها ونشرها»، وجاء الفصل الأخير عن «دراسة لأساليب الملك عبدالعزيز في مراسلاته الشخصية».

وأوردت الباحثة في خاتمة الدراسة عددًا من النتائج والتوصيات.

الأكلبي، علي بن ذيب الجنيبي/ تكوين المكتبة الخاصة ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٧هـ، ٢١٦ص.



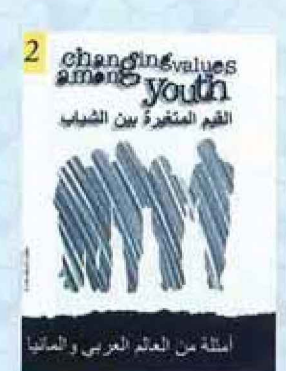
يتناول المؤلف في هذا الكتاب كل ما يراه ذا صلة بموضوع تكوين المكتبة الخاصة، ابتداء من اختيار موقع المكتبة، وتصميم مبناها، وتأثيثه، وتجهيزه، مرورًا بجمع المقتنيات من أوعية المعلومات التقليدية، وغير التقليدية، وكيفية التعامل معها، وتنظيمها فنيًا بما يساعد على الاستفادة منها، والبحث عنها، من خلال الفهرس، وترتيبها على الرف وفق نظام التصنيف، ثم انتقل الحديث إلى المكتبة الإلكترونية، ومكوناتها، ومتطلباتها، ومن ثم النظام الآلي لإدارة المكتبة، وكيفية اختياره، والفائدة المرجوة منه، وبيان ميزاته.

كما تطرق الحديث إلى جزء مهم لجميع أنواع المكتبات، وهو كيفية الحفاظ على الكتب الموجودة فيها، وطريقة صيانتها، وترميمها، ومتطلبات ذلك، ليسهل على صاحب المكتبة القيام بصيانة مجموعته وترميمها كلما دعت الحاجة.

ولم يغفل المؤلف عنصر الأمن والسلامة في المكتبة، إذ ألمح إلى العناصر

المطلوب توافرها في المكتبة لتحقيق الأمن والسلامة فيها.
وأكد الباحث أن المكتبة، بما فيها من أثاث، وتجهيزات، وإمكانات كبيرة، وما فيها من أوعية معلومات بمختلف أشكالها، وشتى موضوعاتها، فإنها تبقى عديمة الفائدة والجدوى، وتعدّ من الهدر الذي لا مسوغ له، إذا لم يوجد من يستفيد منها، ويقرأ ويبحث، ويطالع محتوياتها، لذلك فقد خصص الجزء الأخير من الكتاب للحديث عن القراءة، وأساليب غرس حبها في نفوس الصغار، وتعويدهم عليها، لنصنع بعد ذلك مجتمعًا مثقفًا وقارئًا.

أمي والحب الراحل وقصص أخرى من الأدب الكوري/ ترجمة: جوهي سون وعماد الدين جوهر ـ بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م، ٣٣٦ص.
تنبع أهمية هذه المجموعة القصصية المترجمة من اللغة الكورية إلى اللغة العربية من كونها إضافة ثرة إلى المكتبات العربية، التي تفتقد توافر الأدب الآسيوي بشكل عام، وأدب منطقة شمال شرق آسيا على وجه الخصوص، على الرغم من حضور الأدب العربي في هذه المنطقة بفضل بعض المحاولات التي قام بها عدد من المتخصصين الكوريين؛ وغيرهم.
ويحتوي هذا الكتاب على عشرة قصص قصيرة، يتناول كتّابها قضايا الفقر والتفاوت الطبقي وغيرها من القضايا الواقعية، وفي الوقت نفسه يتناول قضايا الرغبة الإنسانية الغريزية. وقد تأثر هؤلاء الكتّاب بجوّ السياسة الثقافية بعد ثورة عام ١٩١٩م والاستعمار الياباني وسياسته لتذويب الشعب الكوري في الثقافة اليابانية في ثلاثينيات القرن الماضي، وتصف هذه القصص جراح الشعب ويأسه بعد الحرب الكورية في الخمسينيات.
وقصص الكتاب هي: «البطاطس» و«الجبال العارية» لكيم دونغ إن (١٩٠٠ ـ ١٩٥١م)، و«الساقية» لنا دو هيانغ (١٩٠٢ ـ ١٩٢٦م)، و«أدادا البلهاء» لكي يونغ موك (١٩٠٤ ـ ١٩٦١م)، و«الربيع الربيع» و«وابل المطر» لكيم يو جونغ (١٩٠٨ ـ ١٩٣٧م)، و«الأجنحة» للي سانغ (١٩٢٢ ـ ١٩٣٧م)، و«أمي والحب الراحل» لجو يو سوب (١٩٠٢ ـ ١٩٣٥م)، و«عمي الغبي» لتشاي مان سيك (١٩٠٢ ـ ١٩٥٠م)، و«اللهب» لسون أوه هوي.
وقدم المترجمان نبذة مختصرة لكل المؤلفين، كما تطرقا بإيجاز للجوانب الفنية ومدلولات القصص العشر المترجمة.



القيم المتغيرة بين الشباب: أمثلة من العالم العربي وألمانيا/ تحرير: سونيا حجازي وإيكلة كاشر- برلين: مركز الدراسات الشرقية الحديثة، ٢٠٠٧م، ٣٠٧ص.

يحتوي هذا الكتاب على البحوث التي قدمت في المؤتمر الذي نظمه مركز الشرق الحديث ببرلين، ومعهد جوته بالقاهرة/الإسكندرية، بالتعاون مع مؤسسة كونراد إديناور في يونيو ٢٠٠٥م، وقد هدف المؤتمر إلى تنمية التبادل بين الباحثين الألمان والمصريين وغيرهم من العرب، حول دراسة قيم الشباب ومواقفهم.

ويعد هذا الكتاب إضافة قيمة لبحوث الشباب، إذ يضم بين صفحاته خلاصة أفكار الشباب وآرائهم الثاقبة في المجتمع والسياسة بأربع دول عربية هي: العراق، ومصر، والمغرب، وفلسطين، ودولة أوربية هي ألمانيا.

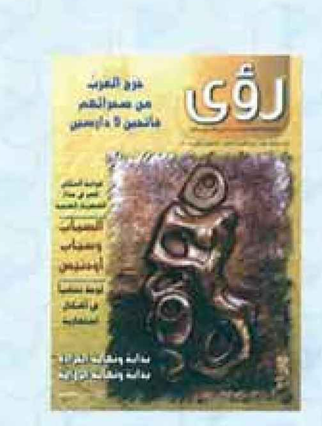
وقد أوضحت البحوث الواردة في الكتاب أن الشباب في كثير من الدول يعانون الحيرة، والارتباك، وعدم القدرة على التكيف، وهو وضع لا يلامون عليه؛ لأنهم لم يساهموا فيه، وغير مستعدين لمواجهته، وبذلك يتعين عند التخطيط لغد أفضل السعي إلى تمكين الشباب، وتزويدهم بالمهارات الحياتية الأساسية.

وجاءت البحوث التي قدمت في المؤتمر كالآتي: «توجهات الشباب ودوافعهم في بغداد بعد سقوط صدام حسين» لأنيا وولنبرج، و«أوجه الاختلاف بين الجنسين في اهتمام المراهقين الألمان والفلسطينيين بالسياسة ونتائج دراسة طويلة تتناول ثقافات متعددة»، لهانز أوزوالد، وبيرنارد سابيلا، وهيلك ريبينستورف، وهانز بيتر كوهن، و«الديمقراطية الفلسطينية: مواقف أولياء الأمور والمراهقين» لبيرنارد سابيلا، و«الاعتبارات المنهجية الخاصة بالدراسات المعنية بالشباب والمراهقين بمصر» لسحر الطويلة، و«حوار مع المستقبل: دراسة عن المراهقين في ثلاث محافظات مصرية» لفرج الكامل، و«التأثير في اتجاهات النوع الاجتماعي لدى المراهقات بالمناطق الريفية: نتائج مشروع بحثي بمصر» لرانيا سالم، و«اتجاهات المجتمع إزاء السلطة: استطلاع آراء ٦٢٢ من الشباب بالمغرب» لسونيا حجازي، و«الطلبة والأسرة والميل إلى الفردية: حالة المغرب العربي» لمختارالهراس، و«دراسة أوضاع الشباب بألمانيا: الدراسة الثالثة عشرة لشركة شل المعنية بالشباب» لريتشارد مونشمير.

وصدر الكتاب باللغتين العربية والإنجليزية.







رؤى (ع ١٤، ربيع الأول ١٤٢٨هـ – مارس ٢٠٠٧م)

فصلية ثقافية تصدر عن النادي الأدبي بحائل.

حفل هذا العدد من المجلة بعدد كبير من الموضوعات في مجالات الأدب، والثقافة، والفنون المسرحية، والعلوم الإنسانية بشكل عام. بدأت بحوار خاص مع الكاتب إبراهيم البليهي، الذي تناول حال العرب تاريخيًا وحضاريًا، وأجرى الحوار خضير الشريهي، وترجم فائز محمود ابًا موضوعًا بعنوان «تنظير ميلوراد بافيتش».

وقدّم د. أيمن بكر قراءة في «غواية المكان»، وهو عمل شعري تجريبي للشاعر السعودي محمد حبيبي، يمزج فيه بين النص اللغوي الألف بائي، والصورة الثابتة والمتحركة، وأصوات موسيقا وأخرى من الحياة. كما قدّم سعود السويدا مراجعة بانورامية بعنوان «مفاهيم نقدية في الشعر العربي الحديث»، وجاءت قراءة عبدالله المطيري بعنوان «الإنسان في حدود مجرد العقل» لكتاب «كائنط راهنًا، أو الإنسان في حدود مجرد العقل» من تأليف الدكتورة أم الزين بنشيخة المسكيني، وتناول معتز طوبر ديوان «شكرًا للموت» للشاعر السوري محمد عضيمة.

وجاء ملف العدد عن: «القاص فهد الخليوي.. الغائب الحاضر»، سلط فيه الضوء على بعض تجربته المنسية والموزعة هنا وهناك، وجاء فيها: «شهادة»، و«سطور من تراث الوأد»، و«إبادة»، و«البوابة»، و«رياح»، و«أجراس»، و«من قرية هجرتها شاحنات القمح»، و«قصص قصيرة جدًا».

ومن القصص القصيرة في العدد: «الشبح» لهناء حجازي، و«أبو الريش» لمنصور المهوس، و«مدينة النفط» لعبدالله حامد الزماي، و«قصص قصيرة جدًا» لهيام المفلح، و«دهاليز امرأة»، لفاطمة فقيه، وغير ذلك من القصص القصيرة.

وهناك قراءات في الفن التشكيلي، مثل: «الفنان تركي الدوسري: لوحة تتشيأ في أشكال استعارية» لمحمد العباس، و«العنفوان والانكسار جويًا.. فنان إسبانيا العظيم» لأحمد إبراهيم أحمد.

ومن القصائد الشعرية في العدد: «في الصف الأول» لعلي الدميني، و«في محارتها تتحرك» لعلي بافقيه، و«قصائد» لآمال بيومي، وغير ذلك من القصائد.

وكان نصيب المسرح في العدد: «قراءة في المسرح السعودي» للدكتورة تهاني الغريبي، و«مسرحية صاموولي» لمحمد السحيمي.

وختم العدد بـ «نافذة أخيرة» جاءت بعنوان «على سبيل الاستثناء» لجارالله الحميد، وجاءت صورة الغلاف لوحة للفنان علي الضمادي.

العنوان:

ص.ب: ٢٨٦٥ حائل ٨١٤٦١

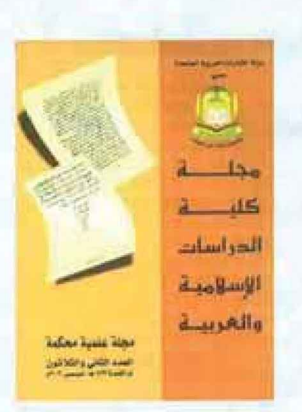
المملكة العربية السعودية

هاتف: ٥٤٣٦٤١٨

ناسوخ: ٥٤٣٠٩٤٤

موقع النادي على الإنترنت: WWW.adabihail.gov.sa

البريد الإلكتروني: rua@adabihahl.com



مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية (ع٣٢، ذو القعدة ١٤٢٧هـ/ ديسمبر ٢٠٠٦م)

مجلة علمية محكّمة نصف سنوية تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي.

جاءت موضوعات هذا العدد متنوعة، لكنها مترابطة في حلقاتها، هادفة لخدمة اللغة العربية وديننا الإسلامي الحنيف، وتقوية الوعي به لدى طلاب الجامعات وعموم القراء.

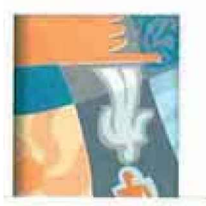
وجاءت أول موضوعات العدد بعنوان «موقف مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) من القراءات المتواترة في كتابه مُشكل إعراب القرآن» للدكتور محسن هاشم درويش، وكتب الدكتور ماجد عبدالسلام إبراهيم عن «الدعوة الإسلامية وفقه الواقع»، وقدّم عمر وفيق الداعوق دراسة تحليلية ونقدية عن «علاقة إخوة يوسف عليه السلام بالأسباط»، كما قدمت الدكتورة أسماء أحمد العويس دراسة فقهية وحديثية عن «وقت الرضاع المحرِّم»، وتناولت الدكتورة روحية مصطفى أحمد «حقوق المطلقة رجعيًا الثابتة في أحكام الرجعة»، وقدم الدكتور سيد حسن عبدالله موضوعًا بعنوان «الجوانب القانونية والاقتصادية للإغراق في إطار اتفاقيات منظمة التجارة العالمية: دراسة مقارنة بالشريعة الإسلامية»، وناقشت الدكتورة مها فتحي السيد محمد «تعارض الأخبار والترجيح بينها وأثر ذلك في الأحكام الفقهية»، وتناول الدكتور عبدالعزيز صافي الجيل «ألفاظ ابن هشام في الأبواب النحوية»، وختمت الدكتورة زينب بيره جكلي بحوث العدد ببحث عنوانه «الوطن في شعر سالم بن علي العويس».

العنوان:

ص.ب ٣٤٤١٤ دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.

هاتف: ٣٩٦١٧٧٧

ناسوخ: ٣٩٦١٢٨٠





أطفال الشوارع إلى أين؟

محمد محمود العطار
كفر الشيخ - مصر

الطفولة هي صانعة المستقبل، وأطفال اليوم هم شباب المستقبل ورجاله، فالطفل هو الثروة الحقيقية للوطن، وهو الأمل في الحاضر والمستقبل.

لذلك أصبح من الأمور المهمة العناية بمرحلة الطفولة، والاهتمام بها، ومحاولة الوصول إلى أفضل الوسائل التي تساعد على وضع الأسس العلمية السليمة لتنشئة الطفل وتربيته، ففي هذه المرحلة يتشكل معظم أبعاد نموه الأساسي، الجسمية والنفسية، والحركية، والاجتماعية، وتتحدد سماته الشخصية، وتظهر أنماط سلوكه.

وهناك أطفال في عمر الأزهار يتجولون في الشوارع، من طلوع الشمس إلى غروبها، باحثين عن القمامة في مقالبها، ويتصارعون على جمعها، يحتاجون إلى الرعاية والحماية، والحب والحنان، فقدوا براءتهم في ظروف غامضة وقاسية، يعيشون على السرقة والعنف، ويستغلهم الآخرون بلا حرج، ويسيئون معاملتهم، أطفال يرون في الكبار أعداء لهم، أطفال لا يبتسم لهم أحد، ولا يدللهم، أو يحبهم، أو يخفف آلامهم. لم يعرفوا معنى الطفولة، فهم كثيرون يملؤون الشوارع خصوصًا في المناطق الشعبية، فهم رحل يتنقلون من رصيف، أو من أسفل كوبري، أو من «خرابة» إلى أخرى، وهكذا، وترحالهم هذا خوفًا من مطاردات رجال الشرطة، وهؤلاء هم الذين سيصبحون رجال المستقبل ونساءه، وهم في الشارع معرضون للعنف، ومستغلون من الآخرين، وهم يرون في الشارع منزلاً لهم، ويبحثون عن الطعام والحماية والشعور بالأسرة من خلال الأصدقاء والرفقاء، وصلتهم مع أسرهم منعزلة، فهم لا يجدون لأنفسهم بيتًا دافئًا بمشاعر الأسرة، ولا يجدون عائلاً مستديمًا.

وأطفال الشوارع - أو كما يسمونهم في نابولي «راس المغزل»، وتعني الذي يدور باستمرار، وفي هولندا يطلق عليهم «دود الخشب»، وفي بيرو «يطلق عليهم «طائر الفاكهة»، أما في كولومبيا فيسمونهم «أولاد الغبار»، وفي زائير يطلقون على أطفال الشوارع «العصافير» - أصبحوا يشكلون ظاهرة عالمية، أعدادهم لا تتوقف عند عشرات الآلاف، أو مئاتها، بل إنهم يتجاوزون المئة مليون طفل في العالم.

إن ظاهرة أطفال الشوارع ظاهرة مجتمعية، يقتضي وصفها في سياق الأبعاد المؤثرة فيها، من اقتصادية، واجتماعية، وتعليمية، ولقد أسهم كثير من العوامل في تضخم الظاهرة، وذلك لاعتمادها على مجموعة من المكونات الاقتصادية والاجتماعية، التي تضافرت معًا، وأدت إلى زيادة ظاهرة أطفال الشوارع، ومن أهم هذه العوامل: الفقر، فهناك ملايين من العرب يعيشون تحت خط الفقر، كما أن عجز الأسرة عن إشباع الحاجات الأساسية الجسمية، والنفسية، والثقافية، للأطفال تعد السبب الرئيس لدفع الأطفال إلى الشارع، كمأوى بديل يمارسون فيه أنشطتهم؛ لإشباع حاجاتهم من أجل البقاء، وهذا يعرضهم للخطر والاستغلال، ويفرز بدوره الرغبة في الهروب من رقابة الأسرة وتسلطها، بينما تتلقف الشلل والجماعات هؤلاء الأطفال؛ لدفعهم إلى التشرد وارتكاب الجرائم، وهناك العوامل المجتمعية التي تؤدي إلى زيادة ظاهرة أطفال الشوارع، والتي من أهمها التسرب من التعليم، وارتفاع نسبة البطالة، وسوء الأحوال الاقتصادية.

وهناك كثير من المخاطر التي يتعرض لها أطفال الشوارع، والتي تنعكس على المجتمع وأهمها: التعرض لعدد من الأمراض مثل: الجرب، والملاريا، والبلهارسيا، والسعال، والأنيميا، وهذا ما يجعل هؤلاء الأطفال يعيشون في آلام مستمرة من دون علاج،

إضافة إلى الاستغلال الجنسي، وتعرض الأطفال لكثير من المخاطر الصحية، بما في ذلك الإصابة بالأمراض النفسية، والأمراض التناسلية، وحالات الحمل غير الشرعي بالنسبة إلى الإناث، إضافة إلى مخاطر الطريق مثل: حوادث السيارات، وركوب أسطح القاطرات، وهذا يعرضهم للسقوط من فوقها، إضافة إلى مخاطر استغلال العصابات هؤلاء الأطفال في الأعمال المتصلة بالدعارة.

وفي عالمنا العربي ماذا سيكون مصير الذين هدمت منازلهم، ويُتموا، وشُردوا في العراء، وأصبحوا من دون مأوى بين ليلة وضحاها، وحرموا من نعم الحب والحنان والدفء؟

ففي الوقت الحالي يعيش أطفال من فلسطين والعراق حياة قاسية، إذ يفتقدون أسرًا تحميهم وترعاهم، وهم بلا طعام ولا مأوى.

والناظر إلى وجه هؤلاء الأطفال يرى جروحًا وندوبًا كثيرة تغطي وجوههم وأجسادهم، وكلها من جراء الظروف القاسية التي يتعرضون لها في الشوارع.

ويخيل إلى من يرى هؤلاء الأطفال أنهم منحرفون، لكنهم في الحقيقة ضعفاء لا حول لهم ولا قوة، اضطرتهم الظروف القاسية إلى أن يصبحوا فريسة سهلة للكبار من المجرمين.

إن أطفال الشوارع في المستقبل سيكونون قنابل موقوتة، تهدد أمن الوطن والمواطن، فعزلتهم عمن حولهم - من جميع فئات المجتمع - ستجعلهم يلتفون بعضهم حول بعض، ويجتمعون تحت شعار واحد، وقانون واحد، ليقومون بتكوين عصابات لتجارة المخدرات، والسرقة.

وعلينا جميعًا ألا نغفل عن هؤلاء الأطفال، فهم عبارة عن طاقة مفقودة تحتاج إلى من يوجههم التوجيه السليم، وإن رعايتهم ودراسة مشكلاتهم وأوضاعهم وظروفهم ضرورة حتمية وإنسانية، لما لهذه الظاهرة من نتائج سلبية على الأمن، والاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي داخل المجتمع، وأطفال الشوارع ظاهرة يجب أن نجد لها حلاً، خصوصًا الأطفال الذين هم في مرحلة الطفولة المبكرة، فهم ما زالوا في كنف الطفولة، ولكنهم لن يظلوا أطفالاً وقتًا طويلاً؛ لأن المأساة التي يعيشونها ستخرجهم من طفولتهم مبكرًا.

كما أنهم غير قادرين على حماية أنفسهم، وعلينا أن نساعد هؤلاء الأطفال، بتقديم الطعام والملبس، وإشعارهم بأنهم ليسوا وحدهم في هذه الدنيا التي ظلمتهم، فنظرة حانية قد تعيد إليهم الابتسامة، وتعينهم على ما هم فيه من شقاء وبلاء، وذلك قبل أن يكبروا، وتموت أحلامهم، ويصعب إصلاحهم.

وأخيرًا، وليس آخرًا، هناك كثير من الجهود المتناثرة، سواء الحكومية، أو الأهلية، أو الخاصة بالمنظمات الإقليمية والدولية لتبني مشروعات تهدف إلى التصدي لظاهرة أطفال الشوارع، وذلك من أجل وضع الحلول للتخفيف منها، أو القضاء عليها، ومن ثم أوصي بما يأتي:

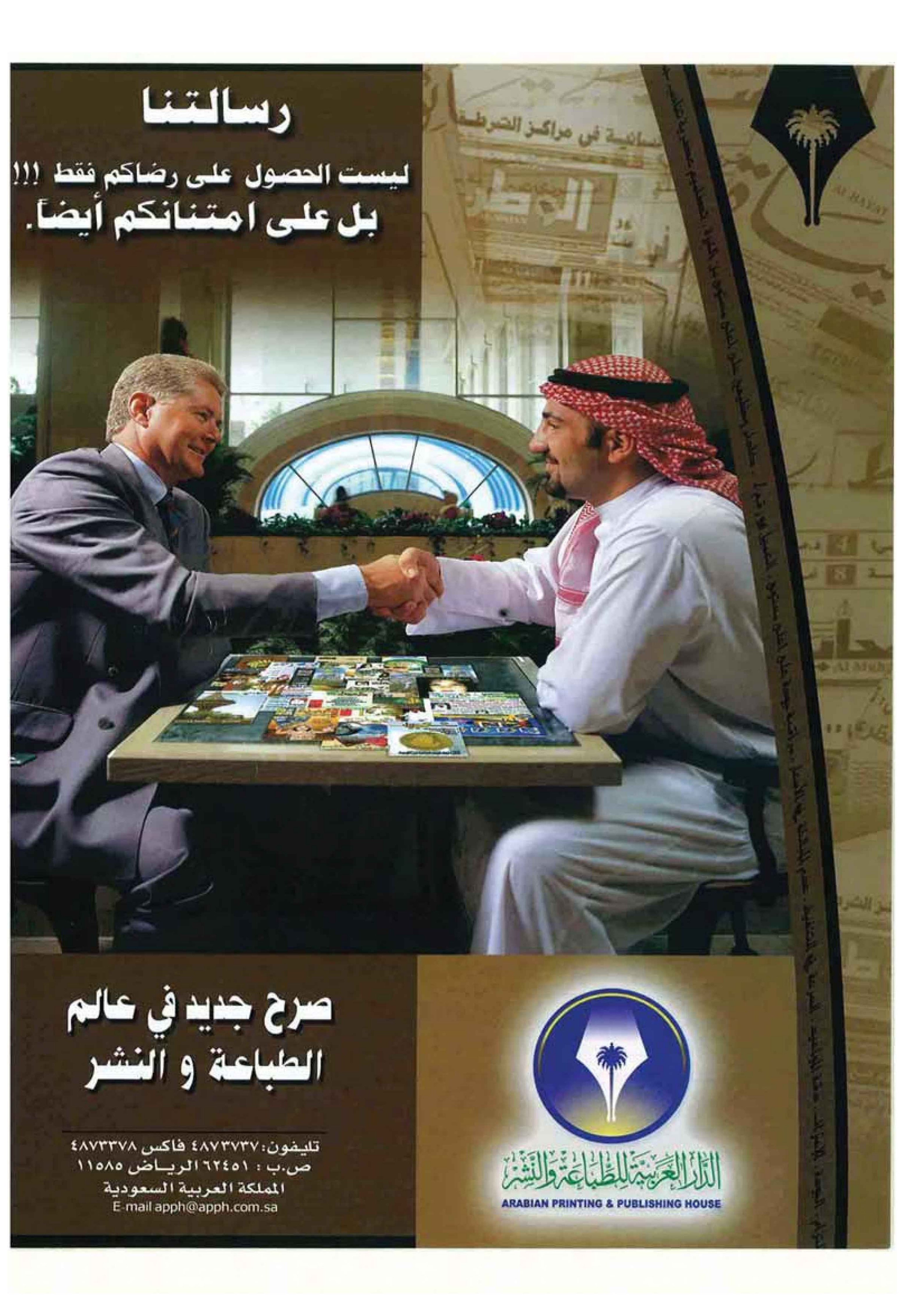
- العمل على وجود آليات للرصد المبكر لاكتشاف الطفل المعرض لأن يكون طفل شارع.

- العمل على إعداد الاختصاصيين الاجتماعيين والنفسيين، المتخصصين في التعامل مع أطفال الشوارع، بناءً على فهم سليم للمشكلة، ونظرة إيجابية إلى الطفل، وتدريبهم على فهم آليات مجتمع الشارع.

- تشجيع الجمعيات الأهلية التي تهدف إلى مساعدة أطفال الشوارع، وإعادة تأهيلهم، ومساعدة الجمعيات على تأسيس مراكز استقبال وإيواء مؤقتين في المناطق الحضرية.

- توفير الرعاية الصحية لأطفال الشوارع، وإعطاؤهم أولوية في المؤسسات الصحية الحكومية، وذلك بمنح الأطفال بطاقات صحية يمكنهم بمقتضاها الحصول على الخدمة.

- العمل على تغيير نظرة ضباط الشرطة إلى الحدث وتوعيتهم بظاهرة أطفال الشوارع بصفتها ظاهرة اجتماعية واقتصادية.



رسالتنا
ليست الحصول على رضاكم فقط !!!
بل على امتنانكم أيضاً.
صرح جديد في عالم
الطباعة و النشر
تليفون: ٤٨٧٣٧٣٧ فاكس ٤٨٧٣٣٧٨
ص.ب : ٦٢٤٥١ الرياض ١١٥٨٥
المملكة العربية السعودية
E-mail apph@apph.com.sa
الدار العربية للطباعة والنشر
ARABIAN PRINTING & PUBLISHING HOUSE